الباب الثاني

أثر الفكر اليهودي على غلاة الشيعة

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

تسرب الإسرائيليات إلى التفاسير ومرويات المسلمين

يذكر ابن خلدون في مقدمته أن أسباب انتشار الإسرائيليات وقصص التوراة والتلمود، يعود إلى كون العرب أمة بداوة متعطشة لعلم أهل الكتاب، ولكونهم أمة أميّة لا تقرأ، فقد كانوا يكثرون سؤال أهل الكتاب، ومن قام أول بهذه العملية اليهود العرب، خاصة من قبيلة حمير كما يذكر؛ وذلك لانتشار اليهودية في حمير قديمًا في اليمن، كما ذكرنا، واستغرق بعض المفسرين للقرآن باستعارة المعلومات الواردة عن اليهود فيما يخص مثلًا أصحاب الكهف: عددهم، أسماؤهم، واسم كلبهم، ولونه؛ كذلك مثلًا عصا موسى من أي الشجر هي؛ وهكذا...

يمكن تتبع مرويات كعب الأحبار، وعبدالله بن سلام، ووهب بن منبه، وأمثالهم من اليهود العرب الذين دخلوا الإسلام في أوائل القرن الأول الهجري، فنقل المفسرون لروايتهم التي استمعوها مما تعلموه من التوراة، وشروحها من تلمود وميشنا وجيمارا. فتقبلها كثيرًا من المسلمين بالقبول والتصديق، ثم اتسع هذا المنهج في العصور اللاحقة، فعم كثير من الفرق الإسلامية، وأخذت تنسب هذه الآراء في تلك الروايات ليست لليهود ومصادرهم، بل ينسبونها إلى أئمتهم وعلمائهم، وقد خصصنا هذا البحث لأثر تلك الأفكار اليهودية على الفكر الشيعي.

وبخلاف ذلك، فقد تأثر بعض اليهود ببعض قواعد الشريعة الإسلامية، وإنه - وإن كانت هذه الفكرة تخرج عن هذا البحث - لكن يحسن بنا الإشارة إليها؛ لإيضاح أن الفكر الإنساني دائمًا عرضة للتأثر بما حوله من مؤثرات.

أثر الإسلام على بعض اليهود

لوجود اليهود بين المسلمين وحصول أوقات من الانتعاش العلمي والحرية، فلم تسلم الديانة اليهودية المتأخرة من التأثر بالقواعد الإسلامية.

وقد بحث الباحث اليهودي تغتالي منيدر، هذا الموضوع، وخلص إلى أن: كتب فقهاء اليهود في العصور الإسلامية تأثرت أولًا بالترتيب الفقهي، والتبويب الذي سلكه علماء الإسلام.

ولكن أهم الأمور التي سلط عليها الباحث الضوء هو ما قام به ابن ميمون وابنه إبراهيم من إدخال بعض العادات والشعائر الإسلامية في الوضوء، والصلاة، والطهارة مثلًا، فأصبح اليهود يقومون بها بوصفها جزءًا من الديانة اليهودية، وهي لم تكن في الأصل من دينهم، أو أنها كانت قد نسيت وتركت لسبب أو آخر، ومن ذلك غسل الجنابة، والوضوء للصلاة خاصة غسل الرجلين، أو لسبب تمتع اليهود بالحرية في عبادتهم بين المسلمين في ذلك الحين، ألغيت صلاة السر، وأصبحت الصلاة جماعية، وفيها إمام للجماعة، فقد نمت هذه بجهود موسى بن ميمون، وأدخلوا في صلاتهم السجود الذي لم يكن يمارس في اليهودية، وكذلك بسط اليدين في الدعاء[1].

وفي موضعه من البحث سنسلط الضوء على موسى بن ميمون اليهودي ورسالته إلى يهود اليمن لاتصالها بانتشار اليهودية، بين عرب اليمن، بحيث أصبحوا الجسر الذي عبرت منه التعاليم اليهودية إلى التشيع.

---

(١) انظر تفصيل ذلك في المقالة التي كتبها الصديق د. هاشم الملاح: التأثيرات الإسلامية في العبادة اليهودية. مجلة الجامعة، العدد ١١، سنة ١٩٧٣ ص ٣٧٠ وما بعدها. (جامعة الموصل بالعراق).

أثر اليهودية في عقائد الفرق الإسلامية عمومًا

مقدمة

لقد تأثرت الفرق الإسلامية بعقائد الأمم السابقة من مجوسية، ويهودية، ونصرانية بشكل عام، وبعض هذه التأثيرات كانت واضحة للدارسين، وبعضها الآخر أدخل خلسة في ثنايا الحجج والادعاءات بين الخصوم.

ولم تخلُ الفرق الإسلامية من التأثر بالديانة اليهودية، وفق مستويات مختلفة، ولما كان هذا البحث طويلًا يخرجنا عن البحث الأساسي هنا، نشير إلى مسألة خلق القرآن بوصفه أحد الأمثلة:

قيل: إن بدعة القول بخلق القرآن، التي جاء بها المعتزلة، وأصبحت عنوانًا لمذهبهم الفكري كان أصلها يهوديًّا، من فكرة خلق التوراة التي نادى بها قديمًا لبيد بن الأعصم اليهودي، وقيل: إن أول من صنف في خلق التوراة هو طالوت اليهودي، ختن لبيد بن الأعصم.

وأخذ القول هذا عن طالوت أبان بن سمعان، وأخذ عن أبان الجعد بن درهم، من أوائل شيوخ المعتزلة، وأخيرًا وصلت إلى القاضي ابن أبي دؤاد المعتزلي[1].

وقد رصد ابن خلدون أقوال بعض من أسلم من اليهود، فأدخلوا في تفسير القرآن الكريم ما هو عندهم من شروح وتفاسير للتوراة. (تساهل المفسرون في مثل ذلك وملؤوا كتب التفسير بهذه المقولات)[2].

(١) ابن الأثير: الكامل، جـ٧، ص٢٦.

(٢) ابن خلدون: المقدمة، ص٣٦٧.

موضوع الإسرائيليات

تتمحور موضوعات الإسرائيليات في كتب تفسير القرآن الكريم أو الحديث الشريف، حول ما ذكرته تلك المصادر مجملاً، ومقارنته مفصلاً بما ورد في التوراة أو التلمود من ميشنا، وجيمارا، وشروحها، وقد تتجاوز ذلك عند الكذابين إلى إضافات وخزعبلات ومعجزات وخوارق لا يصدقها العقل، بل فيها من اختراع الخيال الإنساني الكثير، وأهم تلك الموضوعات تدور حول:

١ - خلق الكون: خلق السماوات والأرض، مدة هذا الخلق، السنة، والشهر، واليوم، وما هي وظيفة السماء، ومم تتكون السماوات وما عددها.

٢ - خلق الإنسان: مادة خلق الإنسان، كيفية الخلق هذا؛ زمان ومدة هذا الخلق، أحوال آدم وحواء، وكيف خلقت منه حواء؛ الشيطان وكيف وسوس لهما ودفعهما إلى الأكل من الشجرة المحرمة؛ الصعوبات التي حلت بهما جراء هذا العصيان، دور الشيطان والحية في هذه الخطيئة والغواية، تمحور الغواية حول المرأة وخطيئتها، ما هذه الشجرة المحرمة؛ وماذا أكلا منها، كما تذكر أسماء الأنبياء وأقوامهم وما حصل لهم في دعوتهم.

ليس من أهدافنا في هذا البحث الدخول في هذه الموضوعات، وسأترك الخوض فيها إلى العرض الذي سأعرضه حولها من مصادر الشيعة؛ لأن ذلك هو الجديد في البحث، أما مباحث تلك الموضوعات عند السنة فكثيرة هي ومفصلة، تناولها العلماء قديمًا وحديثًا، وعلماء المسلمين لم يروا بأسًا من رواية الصحيح من الإسرائيليات، وإنما كان عتبهم على نقل أكاذيب أهل الكتاب، على الأنبياء والافتئات على الله سبحانه في الخلق، وذكر الخرافات والخوارق.

الإسرائيليات في كتب التفسير

كتب التفسير أصناف من حيث موقفها من الإسرائيليات، فمنها:

١ - تفاسير تذكر الإسرائيليات بأسانيدها. أي سلسلة رواتها، وتترك للقارئ حرية الحكم على السند والمتن، ومن أمثلتها: (جامع البيان في تفسير القرآن) لمحمد بن جرير الطبري.

٢ - تفاسير تذكر الإسرائيليات بأسانيدها ثم تعقب عليها بالنقد والتمحيص، سواء برفضها بسبب السند أو المتن أو قبولها، فمثلًا لاتفاقها مع ماجاء في القرآن الكريم وهكذا، ومن أمثلة ذلك: (تفسير القرآن العظيم) للحافظ ابن كثير.

٣ - تفاسير تذكر الإسرائيليات دون سند ولا تعقب عليها، بنقد ولا تمحيص، ومن أمثلتها، تفسير مقاتل بن سليمان، الذي حوى الكثير من الخرافات والخوارق الخارجة عن حكم العقل، وقد يذكر سند بعضها، ويكون السند مطعونًا به ولكنه لا يبين ذلك، بل يسكت عن ذلك، ومثله كذلك تفسير الثعلبي، وتفسير الخازن[1].

٤ - تفاسير تذكر الإسرائيليات، ولكن تنتقدها وتكذب غير الصحيح منها، وتنبه القارئ إلى ما فيها من خرافات وخزعبلات، وتحذر من تصديقها، ومن أمثلتها: تفسير روح المعاني لأبي الثناء محمود شكري الآلوسي البغدادي (ت ١٢٧٠ هـ)، ومن هذه التفاسير أيضًا تفسير المنار للشيخ رشيد رضا، الذي ينتقد رواة الإسرائيليات بشكل عام، وفي رأي الذهبي أنه كان عليه أن يتبين ويدقق في الراوي، ومدى الوثوق به، حيث

(١) محمد حسين الذهبي: الإسرائيليات في التفسير والحديث ص١٨٠-٢٢٠.

أنكـر الذهبـي على رشيـد رضا هجومـه على كعب الأحبـار، ووهب بن منبه، ولم يمحـص مروياتهم الصحيح منها والسقيم، وأن الناس ربما كذبوا عليهم، ونسبوا لهم إسرائيليات لم يذكروها، فصاحب المنار عند الذهبـي يطعن حتى في بعض الصحابة الذين نقلوا بعض الإسرائيليات كأبي هريرة[1].

*****

(١) محمد حسين الذهبي: المصدر السابق، ص ٢١٩، وقد أحالنا الذهبي إلى تفسير المنار، جـ١. ص٨.

obeikandl.com

تفاسير الشيعة والإسرائيليات

تفاسير الشيعة كثيرة، سنعرض نماذج للتفاسير التي تعكس أفكار الشيعة الغلاة، ثم نذكر نموذجًا لتفاسير المعتدلين، ولا نريد أن نستغرق في هذا الأمر هنا؛ لأننا سنذكرهم بالتفصيل حينما نستعرض مسألة تحريف القرآن الكريم، وموقف تفاسير الشيعة منها، كما أننا سنستعرض موضوع الإسرائيليات عند الشيعة، حينما نتناول بالتفسير تأثير الفكر اليهودي على آراء وأفكار الشيعة، فتحيل القارئ لهذه المواضع خشية التكرار، ولكن يستحسن أن نذكر هنا في عجالة جملة من تفاسير الشيعة الاثني عشرية والتعريف بها، إجمالاً، فمنها ما نهجت منهج الغلاة وتأثرت بمروياتهم، ومنها ما هو معتدل نسبيًّا، مع احتفاظه بأركان وأسس الاعتقاد عند الإمامية.

١ - **التفسير المنسوب للحسن العسكري** من إملاء ابن سيار وابن زياد، يتناول تفسير الفاتحة وأغلب سورة البقرة، وهو يرشح بالغلو لآل البيت، وفيه من المعجزات والخرافات ما لا يصدقه العقل، وأكثر تركيزه على عقيدة الإمامة بأنها بالنص لعلي، وأن الإيمان بها هو أساس الاعتقاد، ومن دونها تفسد جميع الأعمال مهما كانت خيرة.

تذكر رواية عن الإمام الباقر، أن اليهود في المدينة كادوا للنبي ﷺ ولعلي، منهم مالك بن الصيف، وكعب بن الأشرف، وحيي بن الأخطب، وأبو ياسر بن الأخطب، وأبو لبانة بن عبدالمنذر، وقالوا للنبي ﷺ: (لا نؤمن بك حتى ينطق هذا البساط الذي تحتنا، وهذا السوط بيدنا، وهذا الحمار الذي أمامنا! فرد النبي ﷺ: (ألا يكفيكم ما نطقت به التوراة، والإنجيل، والزبور، وصحف إبراهيم بنبوتي، وذكر وصية أخي علي بن أبي طالب، فأنطق الله

الثلاثة بذلك، ومع ذلك لم يؤمن هؤلاء، فنزلت الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ (البقرة: ٦)[1].

يتبين للباحث هنا أن رواة الشيعة قد استخدموا أسماء يهود المدينة والكتب المنزلة لغرض أساسي هو ولاية الإمام علي، وتعضيدها بالتأويل الباطني بالقرآن والكتب المقدسة، فقد كان هذا في متناول اليد، وقريب من أفكار أولئك الرواة.

وإنصافًا للحق فإن كثيرًا من علماء الشيعة من رفض نسبة هذا التفسير إلى الإمام العسكري، وتجاهل النقل منه كثير من مفسري الشيعة.

٢ - **تفسير القمي**: لعلي بن إبراهيم القمي (ت ٣٠٧ هـ)، ومن شيوخ الكليني صاحب الكافي؛ لذا فهو مكثر من النقل والرواية عنه، وأكثر علماء الشيعة الإمامية على توثيق القمي مع ما أورده في تفسيره من تحريف للقرآن الكريم، وأكثر التحريف الوارد عنده متعلق بإمامة علي ابن أبي طالب، حيث يضيف الاسم إلى الآيات، من أمثلة: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ (يا علي) فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ﴾ (النساء: ٦٥)، وهكذا يقحم اسم الإمام علي رضي الله عنه، ويستبدل مكانه ربما المعنى في الآية عيسى ابن مريم.

ويؤول الآيات الواردة عن فرعون وهامان بأن المعني بهما: أبو بكر، وعمر رضي الله عنهما.

إن القمي ورواته مثلهم مثل الرواة الآخرين المتأثرين بالأفكار اليهودية الواردة في التوراة وشروحها، ففكرة الرجعة يدلل عليها القمي بآيات قرآنية

(١) محمد بن الحسن العسكري: تفسير القرآن، ص ٣٤.

كثيرة في تفسيره منها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ (القصص: ٨٥)، وفسر القمي قوله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ (النحل: ٢٢) أي لا يؤمنون بالرجعة[١]، وسنتناول الرجعة عند اليهود وعند الشيعة، مقارنة في مصادر أخرى غير تفسير القمي.

والأثر اليهودي على تفسير القمي، وما ينقل من إسرائيليات، حورها رواة الشيعة، ووضعت بفم الأئمة مثل تأويله الآية: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ (الدخان: ٤) إلى فكرة التفويض إلى إمام الزمان إلى ما كتبه الله للخلائق، ومنها أن الأئمة يعلمون الغيب بدليل الآيه: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ (الجن: ٢٦ - ٢٧)، وأشرك القمي الإمام علي بعلم الغيب مع الرسول ﷺ بدليل هذه الآية[٢].

كما فسر القمي بعض الآيات أنها دالة على ظهور الإمام القائم مثل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (الحج: ٣٩)، وظهور المنقذ آخر الزمان، أوردتها التوراة كما سنرى تفصيلًا[٣].

وذهب القمي بالتأويل الباطني إلى معانٍ بعيدة، ولكنها تخدم غرض الشيعة عمومًا، فعند تفسيره لقوله تعالى الموجه صراحة لبني إسرائيل: ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ (الإسراء: ٤)، إنما يعني بها أمة محمد ﷺ؛ لأن الإمام الصادق في زعمه قال: (إن القرآن نزل بإياك أعني، واسمعي يا جارة)، فالمعنى ليس بني إسرائيل[٤].

(١) علي بن إبراهيم القمي: التفسير جـ١، ص٣٨٣، بيروت، مؤسسة الأعلمي ١٩٩١م.
(٢) القمي: تفسير، جـ٢، ص٣٩٠، وص١٤ - ٢٠.
(٣) المصدر السابق: جـ٢، ص٨٤ - ٨٥.
(٤) القمي: تفسير، جـ١، ص١٤ - ١٦.

والقمي مثل علماء بني إسرائيل، الذين خصوا اليهود وحدهم بمغفرة الله، وخاصة لعصاتهم، قال في تفسير الآية: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ (طه: ١٠٨)، أن النبي يشفع لعصاة الشيعة، فكلهم يدخل الجنة[١]، والآية: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ (غافر: ٣)، أنها خاصة بشيعة علي رضي الله عنه. وهذا هو النهج الذي صار عليه شراح التوراة والتلمود من علماء اليهود.

من هو مؤلف تفسير القمي[٢]؟

هو علي بن إبراهيم بن هاشم القمي من علماء القرن الثالث الهجري، ينسب لمدينة قم في إيران، التي قصدها المسلمون عند فتح فارس، وسكنها الأشعريون، وكثير من كندة، وكان فيها كثير من الأشاعثة، وكانت موطنًا لبعض الغلاة من الشيعة، لدرجة أن أهلها طردوهم منها في ذلك الوقت، لقد كان الأشعث بن قيس من أوائل ولاة هذه المنطقة قبل ولاة الإمام علي رضي الله عنه، حينما تولى الخلافة، ويبدو أن القبائل اليمانية ضاربة السكنى السكن فيها منذ تمصيرها، روى الكليني عن القمي كثيرًا في كتابه الكافي.

والد علي إبراهيم كان كوفيًّا، وانتقل إلى قم في أوخر القرن الثاني الهجري، ويبدو أنه من نقلة حديث الشيعة الكوفيين إلى قم، ولعلي بن إبراهيم ابن اسمه أحمد، نقل عنه الشيخ الصدوق ابن بابويه القمي الكثير من أحاديث الشيعة، ولعلي بن إبراهيم مؤلفات كثيرة غير هذا التفسير في موضوعات شتى، ومن هذه الكتب: كتاب الشرائع، فضائل أمير المؤمنين، كتاب المغازي، كتاب الأنبياء.

---

(١) القمي: تفسير، جـ٢، ص٦٤.

(٢) انظر مقدمة ناشر الكتاب ص ٣-١١، (مؤسسة الأعلمي).

وهـذا التفسـير عبارة عن روايـات أكثرها عن الإمـام الصادق أسند القمي الرواية عن أبيه إبراهيم في كثير من الأحاديث.

والرواية عن الصادق تنتهـي إلى زياد بن يحيى الأزدي، أما الروايات عن الإمام الباقر فتنتهي إلى أبي الجارود.

يعـد هـذا التفسير عند كثـير من الشيعـة الإمامية مـن الأصول التي قعدت المذهب.

وتفسـير القمي يرويه تلميذه أبـو الفضل العباس بن محمد بن حمزة، ويقـول الناشـر: إنه هو الذي أدخـل روايات الإمام الباقـر التي أملاها على أبـي الجارود في أثناء هذا التفسير، كما أضاف بعض الروايات المناسبة عن بعض مشايخه، كما يقول الناشر.

وهـذا يعنـي أن التلميذ قد أدخـل نصوصًا جديدة علـى نص شيخه، ويبـدو أن هـذا التلميذ هو الـذي كتب مقدمـة الكتاب، التـي تناولت أصول التفسـير وقواعـده وليته التزم بها. وذلك بعد أن بـين مكانة القرآن وما فيه مـن عبر وحـلال وحرام، وما نقله في هذا المعنى مـن كلام الإمام علي رضي الله عنه المنسـوب إليه، وقـال: إن القرآن خاطب الأئمـة بقوله: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا (القرآن) لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ (أنتم يا معشر الأئمة) شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ (الحج: ٧٨).

ثـم ذكـر أن القرآن منه ناسـخ ومنسوخ و ... ومنه علـى غير ما أنزل الله ... ومنـه آيات بعضها في سورة وتمامهـا في سورة أخرى. ومنه... ومنه تأويلـه قبـل تنزيله، ومنـه... ومنه رخصـة ظاهرها خـلاف باطنها، يعمل

بظاهرهـا، ولا يدان باطنهـا، ومنه ... ومنه مخاطبة لقوم وهو لقوم آخرين، ومنـه... ومنـه رد علـى مـن أنكر المتعـة والرجعـة، ومنه... ومنـه مخاطبة الله ﷻ لأمـير المؤمنـين والأئمـة، وما ذكـره الله في فضائلهـم، ومنه خروج القائم وأخبار الرجعة... ثم قال: وأما ما كان هو على خلاف ما أنزل الله فهو قوله: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ (آل عمران: ١١٠)، فقال الصادق لقارئ هذه الآية: (خير أئمة) يقتلون أمير المؤمنين والحسن والحسين، يريد بذلك، كيـف يكونون خـير أمة وقد قتلوا أولئك الأئمة! وقـال: أما ما هو محرف منه فهو قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ (في علي) وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ (المائدة: ٦٧). قوله ... وأورد جملة من آيات ادعى أنها محرفة.

وذكر أن ما تقدم تأويله على تنزيله، فآية الظهار وآية اللعان معروفة، ثـم ذكـر أن القرآن فيه ردود علـى جميع أصحاب المقـالات والفرق، وبسط تفصيل ذلك، لكنه لم يذكر أي رد على مقولات الشيعة المعروفة، وإن تعددت فرقها، مع أنه ذكر الرد من القرآن على المعتزلة[1].

ثـم يأتـي نص تفسـير القمي بادئًا ببسـم الله ثم أحاديـث يرويها في تفسير بسم الله الرحمن الرحيم، وهكذا...

ويبـدو أن القمي قد كتب تفسيره قبل استقـرار الآراء الفقهية للشيعة الإماميـة؛ لأنـه يورد الكثير مـن الآراء على خلاف ما عليـه أو ما استقر في مذهب الاثنـي عشرية، مثل تفسيره للآيـة: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ (البقـرة: ٢٢٣)، قال: أي متى شئتم، وأن العامة (السنة) قد ذهبوا

(١) انظر مقدمة الكتاب ص١٣ - ٣٩.

في تفسيرهـا حيث شئتم في القبـل أو الدبر، وهكذا يدل من القمي، إما على قلة علمه، أو أنه تعمد إلصاق التهمة هذه بالسنة[1].

والقمي يروي عن رجال مطعون فيهم من أصحاب علم رجال الشيعة، أمثال أبو الخطاب، (انظر الرواية عنه في جـ ١. ص ١٠٥).

وذكـر القمي لتحريف القرآن الكريم كان في مواضع كثيرة خاصة تلك التـي تصـدق مع عقيدة الشيعـة، فمثلًا عندهم أن الأئمـة الاثني عشر هم المفضلـون عن العالمين عند الله، وحينما يأتـي إلى تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (آل عمـران: ٣٣)، يقـول: إن ذلك: في وقتهم فقط؛ لأنه قد حصـل تحريف وأورد النص الآتي: (قال العالم عليه السلام ننزل وآل عمران وآل محمد على العالمين فأسقطوا آل محمد من الكتاب)[2].

*****

(١) انظر مقدمة الكتاب. ص١٣- ٣٩.

(٢) المصدر السابق: جـ١، ص١٠٨.

obeikandl.com

بعض الإسرائيليات في تفسير القمي

خلق الإنسان

في تفسيره للآية: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (البقرة: ٣٤). ينسب الرأي للصادق: أن الله أمر الملائكة بعد خلق آدم بالسجود له، فسجدوا إلا إبليس، حسد آدم على هذه المكرمة. وكان الله قد خلق في الأرض خلقًا غير آدم، فأفسدوا فيها، فبعث الله الملائكة فقتلوهم، وأسروا إبليس ورفعوه إلى السماء. وقال المؤلف في رواية أخرى: إن الملائكة تعجبوا، واعترضوا كيف يجعل الله في الأرض خليفة من جنس يفسد في الأرض، بينما هم لا يفسدون، أي إنهم يصلحون أن يكونوا خلفاء بدل خلق آدم. فرد الرب إني أعلم ما لا تعلمون. فأبعدهم الله من العرش، ولكن نزلت عليهم رحمة الله، ووضع لهم البيت المعمور، ليطوفوا فيه، فهو توبة لأهل السماء، ووضع الكعبة توبة لأهل الأرض، وقال المؤلف: إن الله بعد أن تاب الملائكة من اعتراضهم، عزم على خلق آدم، فأخذ غرفة من الماء العذب، فخلق منه الأنبياء والأئمة الصالحين و ... ثم أخذ غرفة من الماء المالح، فخلق منه الجبارين وإخوان الشياطين، قال: وشرطه في ذلك البداء، ولم يشترط في أصحاب اليمين.

ثم نسب المؤلف القول للإمام أبي جعفر أنه وجد في كتاب الإمام علي ، أن إبليس تحاور مع الرب في طلب غواية بني آدم، وأن يجري بهم مجرى الدم إلى يوم القيامة، فأعطاه الله ذلك.

وأورد روايـة أخـرى أن آدم اعترض على ما أعطـى إبليس من تمكين، وسـأل آدم الـرب مـاذا تعطيني؟ فأجابـه الـرب: الحسنة بعشـر أمثالها، وسيئتكم بمثلها، والتوبة لك ولولدك حتى تبلغ الحلقوم.

ثـم أورد روايـات أخرى يعكس فيهـا أن إبليس هو الـذي وسوس لآدم وحـواء أن يـأكلا من الشجرة المحرمـة، طلبًا للخلد والملـك، فلما أكلا منها سخـط الله عليهما، وسـأل جبريـل آدم: لم عصيت الله؟ فقـال: إن إبليس أقسم بالله ولم أعلم أنه يكذب علي.

كمـا أورد الكاتب روايـة أن موسى سأل أن يجمعه بـآدم، فتم له ذلك فسألـه: لم عصيت ربك؟ فرد موسى عليه، (بكم وجدت خطيئتي قبل خلقي في التـوراة؟ قال: بثلاثين ألف سنـة، قبل أن خلق الله آدم قال هو ذلك، قال الإمام الصادق: حج آدم موسى عليه السلام.)[1].

وأورد المؤلف رواية كيف أن آدم حينما جاءه الغم بعد طرده من الجنة، وشـكا ذلك إلـى جبريل، طلب جبريل من آدم أن يقـوم بمناسك الحج لمكة، ويتوب ويدعو، فعرض له إبليس عند العقبة، فأمر جبريل آدم أن يرمي إبليس بعشر حصيات[2].

وفي تفسـير الآية المتعلقة بطلب موسى لبني إسرائيل أن يذبحوا بقرة. قـال المؤلف: إنـه كان في بني إسرائيل ولد صالح خطـب امرأة، فحسده ابن عمـه وقتله غيلة، فجـيء بالقتيل لموسى وهم لا يعرفـون قاتله. وكان في بني إسرائيل أيضًا؛ ولد صالح لديه سلعة يريد بيعها، وقد حضر المشترون، ولكن

(١) المصدر السابق: ج١، ص٥٤.

(٢) المصدر السابق: ص ٥٩.

مفتاح البيت تحت وسادة أبيه النائم، فكره إيقاظه وفات عليه البيع والربح، فلما استيقظ الأب سأل ابنه: هل بعت سلعتك؟ فأخبره أنه كره أيضًا إيقاظه لأخذ المفتاح من تحت وسادته، فأهدى الأب للولد بقرة عنده، ولأجل معرفة موسى للقاتل أمر بني إسرائيل بذبح بقرة، بذات صفات تلك البقرة، فاشتروها بذهب كثير من ذلك الابن الصالح، وطلب موسى بعد ذبحها، أن يضرب بذيلها القتيل، فلما فعلوا ذلك تكلم الميت، وقال: قتلني ابن عمي فلان[1].

وفي معرض جملة من الآيات قال: إنها نزلت في اليهود منها: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ (البقرة: ٨٠)، عن عذابهم بالنار، قال: أين الأيام التي عبدوا فيها العجل. كما أورد الآيات التي توصم اليهود بتحريف التوراة وهم يعلمون، وذلك لهوى في أنفسهم.

ويضع المؤلف الرواية أن عطاء بمكة، فسأل الإمام أبا جعفر عن الملكين هاروت وماروت، الواردين في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ﴾ (البقرة: ١٠٢)، فقال: إن الملائكة كانوا ينزلون إلى الأرض، فوجدوا فيها العصيان والكفر والقتل، فضج أهل السماء بما فعل أهل الأرض، فتعجبوا ألا يبغض ذلك الرب سبحانه، فأوحى الله لملكين أن يهبطا إلى الأرض، بعد أن جعل فيهما طبع الشره للطعام والشرك بالله، والزنا، وكل ما جعله من طبع لبني آدم، فهبطا ناحية بابل، فوجدا امرأة وقعت في قلوبهما فراودوها فأبت، إلا أن يسجدا لصنمها، ثم أن يشربا الخمر، ففعلا فدخل عليهم رجل، فطلبت منهم المرأة

(١) المصدر السابق: جـ١، ص ٦٠.

قتله كي لا يضجعها، فقتلاه ثم هربت المرأة، ولم يتمكنا منها، فقال لهم رب العزة: كيف تشركان بي وتشربان الخمر، وتقتلان الرجل، وتنويان الزنا، وكنتما تعترضان على فساد أهل الأرض، فاختارا عذاب الدنيا، أو عذاب الآخرة، فاختارا عذاب الدنيا، فكانا يعلمان السحر ببابل؛ ليفرقا بين المرء وزوجه، ولم يزالا في العذاب معلقين في الهواء إلى يوم القيامة[1].

وفي تفسيره لقوله تعالى حاكيًا عن بعض بني إسرائيل الذين قالوا لنبيهم: ﴿ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا نُّقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ (البقرة: ٢٤٦)، نبيهم، المقصود بقوله إنه إرميا والملك المتسلط عليهم هو جالوت من القبط.

فبعث الله لهم طالوت ملكًا، وكان قويًّا ولكنه فقير، فاعترضوا كيف يكون له الملك، ولم يؤتَ سعة من المال، ولكن الله نبههم أن آية ملكه عليهم، أن يأتيهم تابوت موسى فيه سكينة لهم في الحرب، وهو كما يقول: التابوت الذي وضعت أم موسى صبيها فيه، وبقي عند موسى يضع فيه الألواح، التي أوحى الله له فيها من تعاليم لبني إسرائيل، وقال: إن هذا التابوت أهمله بنو إسرائيل بعد موسى حتى غدا لعبة للصبيان، فرفعه الله إليه ثم أنزله في وقت طالوت.

وأورد المؤلف تفاصيل عن الحرب بين طالوت وجالوت، ولباس أصحاب طالوت درع موسى، وكيف ابتلاهم الله بنهر، وهم في فلاة عطشى، فأمروا ألا يشربوا، وقال: إن الذين شربوا من النهر ستون ألف رجل، وهؤلاء هم الذين قالوا: لا طاقة لنا اليوم بجالوت، ثم يورد تفاصيل القتال بالحجارة، وكيف قتل داود جالوت، وانتصروا[2].

(١) المصدر السابق: جـ١، ص ٦٦ - ٦٨.

(٢) المصدر السابق: جـ١، ص٨٨ - ٩١.

وفي تفسيره لآية الكرسي: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ (البقرة: ٢٥٥). يرفع الرواية عن الأصبغ بن نباتة عن الإمام علي رضي الله عنه، أن الكرسي أوسع من السماوات والأرض، وأن كل ما فيهما هو في جوف الكرسي، وأن الكرسي يحمله أربعة من الملائكة، أحدهم على هيئة الآدميين، وهو أكرمهم عند الله، والثاني في صورة ثور، وهو سيد البهائم، والثالث في صورة النسر، والرابع في صورة الأسد، وكل يطلب الله الرزق لبني قومه. ويضيف - والكلام منسوب للإمام علي رضي الله عنه - أن الثور كان أحسن الصور، ولذا عبدته بنو إسرائيل، فخفض الثور رأسه استحياء من الله[1].

ويجاري القمي حقد بني إسرائيل على نبوخذ نصر، وذلك عند تفسيره للآية: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ (البقرة: ٢٥٩)، في تفاصيل طويلة، مفادها أن نبي الله إرميا أمره الله أن يعذب بني إسرائيل الذين عنده، بسبب فسقهم، فقال: إن فيهم الطفل والضعيف، فكيف أفعل ذلك؟ فمر على امرأة بغي تطعم ولدًا مرميًّا في مزبلة خبزًا منقوعًا بحليب الخنزير، فكان ذلك الغلام؛ هو نبوخذ نصر، الذي سلط على بني إسرائيل وهدم هيكلهم، وفيما بعد أخبر دانيال نبوخذ نصر أنه سيقتله رجل من فارس، وهذا كما تقول رواية القمي: ما حصل حيث قتل نبوخذ نصر وجميع من حوله، فخرج دانيال بين القتلى الكثيرين، وتعجب كيف يحيي الله هذه الأرض بعد تلك المذبحة، فأماته الله مئة عام ثم بعثه، وأراه الله كيف يحيي عظامه وعظام حماره[2].

(١) القمي: تفسير، جـ١، ص٩٠ - ٩٢.

(٢) المصدر السابق: جـ١، ص٩٧ - ٩٨.

ويعرض القمي محاورة بين الإمام أبي جعفر، وأحد رجال الدين من أهل الكتاب، يكرر فيها سيادة علم أبي جعفر وشهادة الحبر النصراني على علمه، وأنه من الأمة المرحومة[١].

٣ - تفسير العياشي

هو محمد بن مسعود العياشي (ت ٣٢٠ هـ) الكوفي السمرقندي، روى عنه الكشي صاحب الرجال، وعند أكثر رجال الشيعة أن العياشي ثقة صدوق، عده النوري من جملة القائلين بتحريف القرآن مثل القمي[٢]، وقد ذكر العياشي في تفسيره قوله تعالى: ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا﴾ (البقرة: ٩٠)، [٣] والعياشي على رأي، أن القرآن زيد فيه، وأنقص منه، وينسب ذلك رواية للإمام الصادق، ولو تتبعنا مواضع تحريف القرآن عند العياشي، لطال بنا البحث، وخرج عن هدفه.

وقد شابه العياشي شراح التوراة، حينما قام بتأويل كثير من الآيات، للطعن في الصحابة رضي الله عنهم، وخص أبا بكر وعمر رضي الله عنهما[٤].

كما ذهب في تفسير بعض الآيات لمعانٍ فيها غلو بالأئمة كنسبة معرفة الغيب لهم ومعجزاتهم المكررة في كتب الشيعة[٥].

---

(١) المصدر السابق: جـ١، ص١٠٧.

(٢) حسين النوري: فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب، ص٢٦.

(٣) العياشي: تفسير، جـ١، ص٢٣٢.

(٤) العياشي: تفسير، جـ١، ص٧٢ - ٧٣، وص٢٥٥ - ٢٥٧.

(٥) العياشي: تفسير، جـ١، ص١٣، وص٦٢، وص٣٣٠، وجـ٢ ص١٤٢.

وسنتناول المقارنة بين ما ورد في اليهودية من أفكار نقلها رواة الشيعة، متأثرين بالإسرائيليات وشروح علماء اليهود.

٤ - تفسير التبيان

لمحمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) والطوسي هو تلميذ الشيخ المفيد (ت ٤١٣)، وقد شرح كتاب الفقه للمفيد المسمى (المقنعة)، وسماه كتاب تهذيب الأحكام، وذلك عن طريق جمع روايات الأحاديث الدالة على أبواب الفقه، والطوسي هو مؤلف كتاب الاستبصار، وهذان الكتابان يعدان من الكتب الأربعة (إضافة للكافي ومن لا يحضره الفقه)، وله مؤلفات كثيرة، ولذا سموه بشيخ الطائفة.

وعمومًا فإن تفسيره التبيان، يعد من التفاسير المعتدلة، يخلو من الادعاء بالزيادة والنقصان، فلم يتابع شيخه المفيد، حتى إن بعض علماء الشيعة عد تفسير التبيان من مؤلفات الطوسي التي جامل وداهن فيها العامة، وقد صرح الطوسي في تفسيره: أنه لا يحيد عن معاني اللغة العربية[1]، ولم يجنح أو يساير المتأولين، ولم يدعِ بأن للآيات معاني ظاهرة وباطنة، كما هو الحال في التفاسير الثلاثة السابقة، التي ألفها شيعة القرن الثالث الهجري التي يتضح فيها الغلو كما عرضنا، وربما يعود سبب اعتدال الطوسي في تفسيره هذا لكونه كان شافعيًّا حينما كان في طوس (الشهد)، ولما انتقل إلى الكوفة وبغداد والنجف انقلب شيعيًّا، فتأثر الحكم البويهي للعراق وإيران في هذه المدة، وحين احتلال السلاجقة العراق هرب الطوسي من بغداد إلى النجف، وقد انتهبت كتبه أو أحرقت كما قيل.

(١) الطوسي: التبيان، مقدمة الكتاب في الجزء الأول ص١٥-١٧.

ولا شك أن الطوسي قد تعرف إلى تفاسير علماء الشيعة قبله، التي يقول فيها مؤلفوها بالهوى والتشهي، يقول الطوسي: (ينبغي لمن تكلم في تأويل القرآن أن يرجع إلى التاريخ، ويراعي أسباب نزول الآية، على ما روي، ولا يعول على الآراء والشهوات)[1]، ولا يفهم من هذا أن الطوسي يتخلى عن أركان عقيدة الشيعة الإمامية الاثني عشر، خاصة تلك المتعلقة بالإمامة، يذكر الطوسي أن سبب نزول الآية: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ﴾ (الزخرف: ٥٧)، أي يصدون عن ولاية علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كما يراها الطوسي[2].

٥- كنز العرفان في فقه القرآن

للمقداد بن عبدالله السيوري الحلي (من علماء القرن التاسع الهجري)، وهذا التفسير خصه كاتبه بالأحكام الفقهية فقط، وفيه انتصار لأفكار الشيعة الاثني عشرية في كيفية الوضوء (مسح الرجلين)، ومسألة الطلاق الثلاث في مجلس واحد يعد طلقة واحدة، وهو مبدأ معروف ومشهور في الفقه الجعفري. وفي ذلك أيضًا الحكم بنجاسة أهل الكتاب، نجاسة عينية لا حكمية؛ لأنهم مشركون، وكل مشرك يعد كافرًا، ويدخل في ذلك كل من أنكر الإمامة إذا بلغته وجوبها عليه بالنص، ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ﴾ (التوبة: ٢٨).

وفي الصلاة على النبي ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٥٦)، الصلاة واجبة في أثناء الصلاة المكتوبة على الرسول ﷺ، وعلى الأئمة، أما في غيرها فمستحب.

---

(١) المصدر السابق: جـ٩، ص٣٢٥.

(٢) المصدر السابق: جـ٩، ص٢٠٩.

وهـذه من الزيـادات التي زادها الشيعـة الاثنا عشريـة على الصلاة المكتوبـة وجـوب الصلاة علـى الأئمة المعروفـين عندهم، وهـو لم يقله بقية المسلمين، ويعلل الكاتب ذلك لأنهم معصومون مثل الرسول ﷺ[1].

٦- تفسير شبر

وهـو للسيد عبدالله شـبر (ت ١٢٤٢ هـ). وهذا التفسير وإن لم يساير أقـوال الشيعـة في تحريف القـرآن الكريم صراحـة، إلا أنـه ينتصر لمبادئ الاثنـي عشرية في التقيـة والرجعة والإمامة والعصمـة... إلخ، ففي تفسيره للآيـة ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ﴾ (آل عمران: ١٠٤)، أي ولتكن منكم أئمة وهم الاثنا عشـر، كما يساير شبر التفاسير التي تطعـن في الصحابة، وخاصة الخلفاء الراشدين، والسيدة عائشة رضي الله عنها، فالآية المتعلقة بليلة القدر: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾ (القـدر: ٤)، تنـزل الملائكـة على النبي، والأوصيـاء بعده. والآية القائلـة: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ (المعـارج: ١)، أي بعـذاب واقـع بالمنافقـين، الذين أنكروا يوم الغدير ولاية علي رضي الله عنه[2].

٧- تفسير الصافي

وهـو لمحمد بن المرتضى المدعو بمحسـن، انتهى من تأليفه سنة ١٠٧٥هـ، جمع فيه مؤلفه أقوال الغلاة من الشيعة، وخاصة ما تعلق منها بتحريف القرآن الكريم، ثم رجع في ذلك لكتب التفاسير قبله، وكتب الحديث أيضًا، وفي تفسيره

---

(١) كنز العرفان في فقه القرآن: المقداد بن عبد الله الحلي. ص٨ - ٢٢، ص٧٠ - ٨٠.

(٢) تفسير شبر: السيد عبدالله شبر، ص٩٦ - ٩٧، ص١٤٥ وما بعدها، ص٢٣٨، ص٢٠٤، ص٥٣١، ص٥٦٢.

هجـوم على صحابـة الرسول ﷺ، ويرميهـم بالنفاق، ويدعـي أن مصادره في التفسير ترجع إلى الأئمة الاثني عشر.

وذكـر أن المنافقين أسقطوا الكثير من القرآن، وقدر في بعض الأماكن سقـوط ثلثه، وقـد رد على بعض علماء الشيعة القائلـين بتمام القرآن وعدم تحريفـه، أمثـال الشيخ الطوسـي والصـدوق والطبريسي، وينقـل آراء من سبقـه من المفسرين الشيعة[1]، خاصة تفسير القمي، وما ورد فيه من القول بتحريف القرآن الكريم.

٨- البرهان في تفسير القرآن

وهـو لهاشم البحراني (ت ١١٠٧ هـ)، يرى البحراني أن القرآن الكريم لم يجمعـه أحد كمـا أنزل إلا الأئمة، وفي هذا التفسير آراء للغلاة من مفسري الشيعة، وقد نهج منهج المتأولين الباطنيين، فقد ذكر رواية عن الإمام الصادق بـأن القـرآن قد نزل بـ (إياك أعني واسمعي يا جـارة)، وهذا سبيل من سلك من الشيعـة بالهجوم على الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، وركز المؤلف كثيرًا في تأويل الآيات الصالحة للاحتجاج، لإمامة سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وتفضيله بل والمغالات فيه، والقول: إن الظالمين قد اغتصبوا حقه.

وتفسـيره الباطنـي بعيد إلى درجة مثلًا يفسـر آية: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ (الإسـراء: ٤)، أي أنتـم يا معشر أمة محمد ﷺ. وأما تفسير: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ (الفاتحة: ٧)، فهـم الشكاك في ديـن الشيعة. ويقوم بتحريف الآيـات مثلًا، فيقول: (كتاب علي لا ريب فيه)، زاعمًا الآية هكذا أنزلت[2].

(١) تفسير الصافي: محمد بن المرتضى، جـ١، ص١٨ - ٢٠، وص٣٠، جـ٤، ص١٣٣.

(٢) البرهان في تفسير القرآن: هاشم البحراني، ص١٥ - ٢١، وص ٣٤-٣٧، ص٤٧ - ٥٢.

٩- تفسير (الميزان في تفسير القرآن)

وهـو لمحمد حسين الطبطبائي، وهو من التفاسير الحديثة، وهو أقرب للاعتـدال منه إلى الغلـو، مع أنه يورد بعض الروايات التـي كان أصحابها يستدلـون بها على التحريف، ولكنه يوردها علـى سبيل البيان والتفسير، أي إنهـا ليست من نص القرآن، بل هي تأويل له وإيضاح، ولما كانت الولاية ركن عند الاثني عشرية من أركان الدين، لا يصح دين المسلم إلا بها، فإن الكاتب يستغرق في تأويل الآيات التي سبقه مفسرو الشيعة في تأويلها، على أنها دالة علـى ولاية الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فعنده مثلًا طاعة الله والرسول واجبة، أما أولو الأمـر فهم الأئمة الاثنا عشر، فهـم أولو الأمر المعصومون في الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾ (النساء: ٥٩).

وصاحـب الميزان يـورد الروايات الإسرائيلية، ولكنـه كغيره من علماء الإماميـة ينسبها إلى الأئمـة خاصة الإمام الصادق، وهـذا هو شأن تفسير القمـي، ويستخدم الرواية هو ورواته الذين ينقـل عنهم في الاحتجاج لولاية وعصمـة الأئمة، ففـي موضوع أكل آدم من الشجـرة المحرمة، ومحاولة آدم الحصـول على الخلد، قـال: إن الله قـال لآدم ارفع رأسك. فنظـر آدم إلى الساق فوجد مكتوبًا عليه اسم علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفاطمة وبقية الأئمة!

وهكذا فإن الروايـات الإسرائيلية التي نجدها مثلًا في تفسير الطبري وابن كثـير نجدها هنا محورة كثيرًا، منسوبة للأئمـة، ويدخلون فيها معاني وأقوالًا لم يسبقهم أحد إليها، وذلك لمجرد الانتصار لرأي المذهب في الإمامة.

والروايـات الإسرائيلية مثلًا عند الطـبري وغيره حينما يتحدثون عن تأويل الآية: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِ ﴾ (البقرة: ٣٧)، فإن صاحب

الميـزان كغيره ممن سبقه من الاثني عشرية يقـول: إن الكلمات التي تلقاها آدم بالتوبـة بعـد أن سأل بحـق محمد وعلي والحسـن والحسين، فشفع الله لآدم بهم، وغفر له خطيئته[1].

١٠- التفسير الكاشف

وهو لمحمد جواد مغنية، وهو تفسير حديث ابتعد فيه صاحبه عن الغلو المعهـود في تفاسـير الشيعة، وقد التزم فيـه الأخذ غالبًـا بالمعنى الظاهري الذي تقتضيه قواعد اللغة العربية، وعمد إلى تفسير القرآن بالقرآن، كمنهج إذا أمكن ذلك، وألا يرجع إلى الأحاديث الثابتة عنده عن الأئمة، مع ابتعاده عن روايات الغلاة والأساطير غير المعقولة، التي لا يتحملها الزمن الحديث، وقد مرت على علماء الشيعة السابقين، على شكل روايات عن الأئمة من رواة كذبـة، مع الأسف يكذبون على الأئمة، وينقلون عن التراث التوراتي، كما هو مبين في هذا البحث.

والاعتدال واضـح في منهج المؤلف، فهو حينمـا يتعرض لتفسير الآية: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ (البقرة: ١١٣)، قال: هذه أمم تكفر بعضهم بعضًا، فما بال المسلمين اليوم يكفر المسلم أخاه المسلم، وهو يتلو كتاب الله سبحانه، وذكـر وجوب التأسـي بالإمام علي بـن الحسين زين العابديـن، حينما دعا للمهاجرين والأنصـار بالرحمة، وكأن الكاتب يرد على من يقول من الشيعة بكفر وردة أكثر الصحابة من المهاجرين والأنصار.

---

(١) تفسير الميزان: للطبطبائي جـ١، ص٩ - ١٢، ص١٤٤ وما بعدها.

ولكون موضوع الإمامة والولاية ركن في الدين عند الاثني عشرية، فإن الكاتب لا يخرج عن هذا المفهوم العام حينما يتعرض للآيات المتعلقة بأولي الأمر، أما تلك التي تشير في رأيه إلى الإمامة، ويبدو أنه يعتقد بما أورده من حديث منسوب للإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن القرآن الكريم: (ذاك القرآن الصامت وأنه القرآن الناطق). وهو يعتقد بعصمة آل البيت وإمامتهم كما هو في المذهب[1].

من هم رواة الإسرائيليات

يبدو أن نقلة الإسرائيليات من رواة القرن الأول الهجري، كانوا قلة؛ لعدم الانشغال كثيرًا في تفسير القرآن الكريم والكتابة فيه، بخلاف الحديث الذي اتسع نقله وكتابته في أواخر القرن الأول وما بعده، ونقلة الإسرائيليات من الصحابة قلة، وهم بلا شك عدول صادقون، وما نقلوه يعد غاية علمهم ومعرفتهم، أما من التابعين فكانوا في العدد أكثر؛ لاتساع النقل ودخول الناس في الإسلام وتوالي الفتوح، وهذا أمر طبيعي، وسنلقي الضوء سريعًا على حملة الإسرائيليات عمومًا، ولكن البحث سيركز على بعض رجال الشيعة الذين نقلوا الإسرائيليات، وتأثروا بها في رواياتهم ومدوناتهم.

ثم عمومًا أثرت اليهودية على التشيع وليس الإسرائيليات وحدها، فهي فرع صغير من الأثر اليهودي على بعض المسلمين.

إن نقلة الإسرائيليات منهم الثقات الذين ينقلوه ما قرؤوه صحيحًا، وقد يكون عندهم رأي ثاقب في رد هذه الإسرائيليات وتكذيبها، أو ربما

(١) التفسير الكاشف: محمد جواد مغنية، جـ١، ص١٦ - ٣٥، ص١٨٠، ص١٩٦ - ٢٠٠.

السكـوت عنها؛ لعدم قدرتهم على الحكم عليها، وقد يكون الرواة أولئك من الكذبـة الذين يسخرون الإسرائيليات لمقاصدهـم الفكرية، لإقناع الآخرين وتبنـي وجهـة النظـر اليهودية، ومـن هنا تأتي الخطـورة على ثقافـة الأمة وعلومهـا، حيث يتزيد بعضـ الرواة، فيزيدون من عندهـم أفكارًا على تلك الإسرائيليـات، معززيـن وجهـة نظرها، وهـذا ما حصل عنـد بعض الفرق الإسلامية، وخاصة عند بعض فرق الشيعة، حيث سنأتي على تفصيلها.

*****

obeikandl.com

من الصحابة

١ - عبدالله بن عباس (ت ٥٨هـ)

كانت سن ابن عباس حين وفاة الرسول ﷺ بين العاشرة والثالثة عشرة، على اختلاف الروايات، وكان ذكيًّا من بيت النبوة لا يرد سائلًا، اشتهر بالعلم والجرأة في الفتيا، ولهذا تعرض إلى نقل الإسرائيليات عن علم بمصادرها، ولكن يبدو أن المنسوب لابن عباس من الإسرائيليات كثير ربما لم يقله، وإنما تقوله عليه بعض الرواة، والكتَّاب في العصر العباسي؛ تقربًا لسلطان بني العباس؛ لأنه جدهم.

تذكر الروايات أن مصدر ابن عباس، كان أبو رافع القبطي، مولى رسول الله ﷺ، وقيل مولى للعباس بن عبد المطلب،، أسلم أبو رافع قبل غزوة بدر، ولم يشهدها.

روى عنه ولده رافع وتوفي بالمدينة، ولا يبعد أن يكون علم ابن عباس بالإسرائيليات، من أبي رافع ذي الأصل النصراني، ومن بعض الصحابة خاصة أبا هريرة رضي الله عنه، المشهور في نقل الإسرائيليات، فقد نسب إليه الكثير[١].

ذكر الشيخ محمد أبو شهبة عن مرويات ابن عباس أن فيها الصحيح والحسن والضعيف، بل الموضوع شيء كثير[٢]. ونشير إلى أن الضعف أو الكذب لم يأتِ من طرف ابن عباس رضي الله عنه فهو ثقة، ولكن العلة منصبة على من نقل

(١) ابن حجر: الإصابة في معرفة الصحابة، جـ٤، ص٩٢، وجـ٧، ص٦٥.

(٢) محمد أبو شهبة: الإسرائيليات والموضوعات، ص٩٠، القاهرة ١٩٨٤.

مـن ابن عباس من جهة، أو من روى تلك الإسرائيليات من مصادرها الأصلية، وهـو يعلم بفسادها، وكذب أصحابها، وأنها مجـرد خرافات، وشأن ابن عباس هذا شأن كثير من الصحابة والتابعين الذين نقلوا أو رووا تلك الإسرائيليات.

٢ - عبدالله بن عمرو بن العاص

هو من صغار الصحابة سنًّا أسلم قبل أبيه، قيل: إنه كان يقرأ التوراة، وذكـر أنـه كان يعرف اللغـة السريانية، اشترك في معركـة اليرموك، وغنم حمل بعيرين مـن كتب أهل الكتاب، حيث استهواه ما فيها من علوم وأخبار، وهذا مصدر واضح لنقله للإسرائيليات[1].

٣ - عبدالله بن سلام

أصـل اسمـه الحصين بن سـلام بن الحـارث اليهـودي الإسرائيلي، ويكنى بأبي يوسف، سماه رسول الله ﷺ عبدالله بن سلام وبه اشتهر، وكان حـبرًا لليهود في المدينة قبل إسلامه، فهو ضليع بعلم التوراة والإسرائيليات، وقـد حسن إسلامه، وقيـل: إن الآية الكريمة: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ (الأحقـاف: ١٠)، نزلـت فيـه، إن عبدالله بن سلام لم ينسـب له رواية عـن النبي ﷺ، ذكر فيها إسرائيليات، وإنما روي عنه هو مباشرة قصص وأحداث وردت في التوراة، وهذه إن كانت إسرائيليات، لكن ابـن سلام صحيح فيما نقل ثقة، ولكن ابن سلام لم يدعُ إلى بدعة وردت في الإسرائيليـات، أو أنـه تبنى رأيًـا يهوديًّا مخالفًا لما عليه القـرآن والمسلمين، وهذا شأن الصحابة جميعًا.

---

(١) ابن حجر: الإصابة، جـ٤، ص١١٤.

٤ - أبو هريرة: هو عبدالرحمن بن صخر الدوسي[١]

قدم على الرسول ﷺ من اليمن، وأسلم عام خيبر، عن ثمانٍ وعشرين سنة، وصحب رسول الله ﷺ وكان فقيرًا معدمًا، أكثر الحديث عن الرسول ﷺ، فرد عمر وعثمان وعائشة بعض مروياته، وقيل: إنه كان يروي عن الصحابة في كثير من الحالات، وليس عن الرسول ﷺ مباشرة. ذكر أنه كان يصرع في المسجد من شدة الجوع، وذكر أن أبا هريرة لا يكتب، وأنه كان يروي الكثير؛ لأنه كان يسأل عن الكثير، يسأل الرسول ﷺ، ويسأل من عنده علم من الصحابة رضي الله عنهم، ولا شك أنه كان صادقًا عدلًا، ولكنه كأي بشر يعتريه ما يعتري أي إنسان من ضعف ومرض وشيبة ونسيان، وكان أبو هريرة يسأل كعب الأحبار الذي قدم من اليمن بحصيلة كبيرة من العلم بالإسرائيليات، ومن كثرة ما تعلمه أبو هريرة من أخبار التوراة، فقد شهد له كعب الأحبار، حسبما تنقل بعض الروايات، أنه برغم عدم قراءته للتوراة فهو عالم بما فيها، حسبما نقل الذهبي في تذكرة الحفاظ. توفي أبو هريرة عن ثمان وسبعين سنة، وهذا العمر المديد يفسر كل رواياته.

*****

(١) الذهبي: تذكرة الحفاظ. ابن سعد: الطبقات، جـ٢، ص٢٦٤

رواة الإسرائيليات من التابعين

١ - كعب الأحبار

هو كعب بن ماتع الحميري اليمني، قدم المدينة من اليمن في خلافة أبي بكر، وقيل: بل عمر رضي الله عنهما، وفيها أسلم وكان يهوديًّا، ولهذا ينسب بالأحبار، وقد والى العباس بن عبدالمطلب، اتصلت صحبته بأبي هريرة الذي أخذ عنه كثيرًا من الإسرائيليات، وأخبار التوراة كما قدمنا.

ثم أيضًا هو صاحب لابن عباس هو الآخر مهتم بعلم كعب ورواية الإسرائيليات كما قدمنا، وقد قيل: إن كعبًا أسرف في رواية الإسرائيليات، ووجد حوله أناس متعطشون للعلم لا سابقة لهم، في علوم أهل الكتاب[١]، قيل: إنه إضافة لختمه لقراءة القرآن فإنه كان يختم قراءة التوراة، في ستة أيام ويدعو من يسمعه في يوم ختمها، حيث يدعي نزول الرحمة، وربما نسب له آراء غير معقولة، مثل سؤال معاوية له: أنت الذي قلت: إن ذا القرنين يربط خيله بالثريا؟ فرد عليه بالآية: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا﴾ (الكهف: ٨٤)، ولم يقل: إن ذلك وجده عند أهل الكتاب[٢]، وقد شهد كعب الأحبار بغزارة العلم الصحابي أبي الدرداء فقال: (إن عند ابن الحميري لعلمًا كثيرًا)، بينما تذكر بعض الروايات أن عمر رضي الله عنه هدده بالنفي إلى أرض القردة.

٢ - ابن أبي فروة الأزدي

مختلف في اسمه، قيل: هو أبو الجلد الجوني (حي من الأزد)، وقيل: اسمه جيلان بن فروة، كما ورد في بعض المصادر: أبو الخلد غيلان بن فروة،

(١) ابن سعد الطبقات، جـ٧، ص٤٤٥، وما بعدها.

(٢) محمد أبو شهبة: الإسرائيليات والموضوعات، ص١٤٤ - ١٤٥.

ذكـر أنه قرأ كتب اليهود والنصارى، وقد طعن بعض رجال الحديث بروايته عن رسول الله ﷺ، وقيل: إن ابن عباس كان يسأل عن بعض الأمور[١]، وربما تعدى السؤال إلى الإسرائيليات، ما زال عالمًا بالتوراة والزبور كما ذكر، وذكر المستشـرق جولد زيهر أن ابن عباس كان يسـأل أبو فروة عن الإسرائيليات، وأن ابنـة أبـي فروة ذكـرت أن أباها هو الـذي يختم القـرآن في سبعة أيام، وبالتوراة في ستة؛ طلبًا للرحمة[٢].

٣ - عامر بن عبدالله بن عبدالقيس العنبري

تذكـر المصادر علمه بالتـوراة وعلوم أهل الكتاب وشغفـه في روايتها، ونقـل عنه أنه يتشبه بإبراهيـم الخليل، فلا يأكل اللحم ولا السمن، وهو أمر قـد ورد في شروح التوراة، ويعد كعب الأحبار من شيوخه، وقد شهد له مالك ابن دينار، أنه راهب هذه الأمة مع معرفتهم لا رهبانية في الإسلام[٣].

٤ - وهب بن منبه الصنعاني (٣٤ هـ - ١١٤هـ)

قيل: إن أصل أبيه فارسي من هراة، أرسل إلى اليمن في جيش كسرى، وعلـى كل حال يبـدو أن علم وهب بن منبه بالإسرائيليـات واليهودية عمومًا كان في اليمـن لإشاعة علوم اليهود فيها، كما ذكرنا، ونقل عنه أنه يذكر عن نفسه أنه جمع علم عبدالله بن سلام وكعب الأحبار، ذكر له كتاب في القدر، وربما بث من خلاله كثيرًا من الإسرائيليات.

---

(١) ابن حجر: الإصابة، جـ٤، ص١٨٢.

(٢) محمد حسين الذهبي: الإسرائيليات في التفسير والحديث، ص١٠٧، ص١٠١.

(٣) ابن سعد: الطبقات، جـ٧، ص١٠٤ وص١١٠. الذهبي: تذكرة الحفاظ، جـ٢، ص١٠٢

ويذكر أنه أسرف في رواية الإسرائيليات، وهي مبثوثة في كتب التفسير والحديث والمغازي والملاحم التي نقلت عنه، وكما هو معلوم فإن الذين شغلوا بالقول بالقدر كانوا متأثرين بما عند اليهودية من أقوال حول الموضوع، وقيل: إنه رجع عن القول بالقدر، ووثقه بعض المحدثين[1].

٥ - مقاتل بن سليمان (ت ١٥٠هـ)

رواياته أكثرها مبثوثة في تفسير القرآن الكريم؛ ولذا سمي بالمفسر، أشار ابن خلكان إلى أن أكثر المحدثين لا يوثقونه، وأنه كان يفسر القرآن الكريم بما جاء عن اليهود والنصارى صراحة، قال عنه أبو حاتم: إنه يأخذ من اليهود والنصارى، ونسب له بعض الأقوال في تشبيه الخالق على ما عند اليهود، قال عنه الذهبي: إنه متروك الحديث، ونقل عن الشافعي أنه يوثق تفسيره، توفي مقاتل سنة ١٥٠ هـ في البصرة[2].

٦ - محمد بن إسحاق بن يسار

أسرف ابن إسحاق في رواية الإسرائيليات، خاصة المتعلقة بخلق السماوات والأرض وتواريخ الأنبياء وأخبارهم، مفسرًا بذلك ما ورد مجملًا عن ذلك في القرآن الكريم، قال الذهبي: إنه كان يحدث عن أهل الكتاب، اتهمه بعض المحدثين بالتدليس، وأنه كان يحدث عن يهودي اسمه يعقوب، ويبدو أنه متأثر بما عند اليهود من تشبيه للخالق تعالى الله عن ذلك، نقل عن الإمام مالك أنه كان يعد ابن إسحاق كذابًا، ويبدو أن لمالك رأيًا في نفي ابن إسحاق وطرده من المدينة، وقد اتهم ابن إسحاق بأنه يتشيع وينسب له

(١) محمد أبو شهبة: الإسرائيليات والموضوعات، ص١٤٨.

(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ٥، ص٢٥٦، الذهبي: الميزان، جـ٤، ص١٧٥.

القـول بالقدر، وأنه يدلس في الحديث، ولكن قبل كثير من الرجال روايته في المغازي والسير، ولكنه ليس حجة في الحلال والحرام[1].

ذكر أن ابن إسحاق يروي عن أبي الزناد، وهو متهم عند الإمام مالك، وهو الـذي يروي عنه: (أن الله خلـق آدم على صورته) وهذا نص قـد ورد في التوراة وشروحهـا عند اليهود، ويظهر لنا في كثير من المصادر السنية القديمة والشيعية خاصة عند من يسمون بالمشبهة أو المجسمة الذين سنذكرهم في هذا البحث.

٧ - ابن جريج: وهو عبدالملك بن عبدالعزيز (٧٠ هـ - ١٥٠هـ)

قيـل: إنه من أصل رومـي، وهي إشارة إلى نصرانيـة أصله، وهو عند المحدثـين مدلس، أي يسقط الراوي عـن الرسول ﷺ، لا يذكره، وإنما يذكر من بعده ممن لم يروا الرسول ﷺ ولم يسمعوا منه، ضعفه الإمام أحمد، كان يـروي حلِّيَّـة المتعة، وقيل: إنه تزوج كثيرًا من النسـاء متعة، وإنه كان يحتقن طلبًـا للمتعة، وقـد سكن ابن جريج البصرة، وأكـثر الطبري في تفسيره من نقل الإسرائيليات عن ابن جريج[2].

٨ - الواقدي: هو محمد بن عمر المدني

صاحب تصانيف كثيرة في التاريخ والمغازي والفتوح وأخبار الردة، تذكر بعض مصـادر الشيعة بأنه سيـئ الحفظ حتى في القـرآن الكريم، كما توثق رواياتـه، ومنها، أن عليًّا رضي الله عنه، معجزة من معجزات الرسول محمد ﷺ، كما العصا لموسى وإحياء الموتى لعيسى، وتعده هذه المصادر من أوائل الشيعة.

(١) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، جـ١، ص٢٢٦.

(٢) الذهبي: ميزان الاعتدال، جـ١، ص١٧٣.

أما رجال السنة فلم يوثقوه: قال عنه أبو حاتم: إنه كان يروي معضلات (لا تصدق)، وقال الذهبي: مجمع على تركه، وقال عنه المديني: إنه من الوضاعين للحديث، وقال عنه البخاري: متروك الحديث، وإنه مدني سكن بغداد، وعند أحمد أنه كذاب، وعند أكثر المحدثين أنه متروك الحديث، ونقلوا عن الشافعي، أن كتب الواقدي كلها كذب[1].

٩ - لوط بن يحيى الأزدي الغامدي أبو مخنف

ذكره النجاشي[2] في رجاله وقال: إنه صنف كذبًا كثيرًا في المغازي وهو في الكوفة، وتعد بعض المصادر الشيعية أن أبا مخنف الغامدي من جملة رجال الشيعة[3]، وتذكر المصادر أن أباه كان من أصحاب الإمام علي رضي الله عنه، وقيل: إن جده مخنف كان صحابيًّا شهد الجمل مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو حامل راية الأزد حيث توفي فيها سنة ٣٦ هـ، هذا وقد توفي أبو مخنف لوط سنة ١٥٧هـ، وقد نقل عنه الطبري في تاريخه وابن الأثير في الكامل في التاريخ.

لكن علماء الرجال السنة لم يوثقوا أبا مخنف: قال عنه ابن حجر: إخباري تالف لا يوثق به، تركه أبو حاتم وغيره، وقال عنه يحيى بن معين: ليس بثقة، وقال عنه الدارقطني: ضعيف، وقال عنه ابن عدي: شيعي محترق، وذكره العقيلي في الضعفاء من الرواة[4].

---

(١) ابن حجر: تهذيب التهذيب، جـ٩، ص٣٦٣، وما بعدها.

(٢) النجاشي: رجال، ص٢٢٤.

(٣) محسن الأمين: أعيان الشيعة، جـ١، ص١٢٧.

(٤) الذهبي: ميزان الاعتدال، جـ٢، ص٣٦٠.

١٠ - ابن السائب الكلبي

هو هشام بن محمد بن السائب بن بشير الكلبي. تذكر مصادر الشيعة أن أباه محمدًا كان من أصحاب الإمام الباقر، كتب ابن السائب في المقاتل بين المسلمين، كما كتب في المثالب، كما يعد أكثر مصادر الشيعة ابن الكلبي، وأباه من أصحاب الأئمة الباقر والصادق[١].

ذكر أنه كوفي عالم بالأنساب، قيل: إن جده كان مع علي في الجمل وصفين، كما ذكر أن السائب قتل في جيش مصعب بن الزبير، وقيل: إن أباه محمدًا شهد موقعة الجماجم مع ابن الأشعث ضد الجيش الأموي، وهو كوفي يؤمن بالرجعة، كان الإمام الصادق يقربه إليه، وذكر أنه أصابته عكة، نسي العلم بعدها، فشكا ذلك للصادق فسقاه كأسًا أعادت إليه ذاكرته كما يدعي[٢].

أما مصادر السنة فتقول عن الأب محمد: إنه من كذابي الكوفة، مثله مثل السدي، قال عنه البخاري: تركه يحيى بن معين وابن مهدي، ذكر أنه قال عن نفسه: أنا سبئي، وروي عنه حديث منكر، يتعلق بالوحي إلى رسول الله ﷺ، وفي أثناء ذلك قام من مقامه، فجلس علي بن أبي طالب رضي الله عنه مكانه يوحى إليه، ورجال الحديث مجمعون على ترك حديث محمد ابن السائب، ورواياته مبثوثة في التفاسير، خاصة الإسرائيليات، توفي الأب محمد بالكوفة سنة ٤٦ هـ، ولكنه عند الجميع (السنة) متروك الحديث، وعند بعضهم أنه كذاب، وابنه هشام ينقل عنه ولهذا لم يوثق هشام، ويعده الإمام أحمد صاحب سمر ونسب، أما حديثه فمتروك، غير ثقة، يحدث عن أبيه الذي ينسب لابن عباس تفسيرًا لم يصح، وإنما هو من الإسرائيليات[٣].

(١) الطوسي: رجال، ص٢٨٩.
(٢) النجاشي: رجال، ص٣٠٥.
(٣) ابن حجر: التهذيب، ج، ص١٧٨، وما بعدها.

وهناك أسماء يهود دخلوا الإسلام، ثم ارتدوا، ولم يتم تسليط الضوء عليهم من قبل المؤرخين، لكشف أدوارهم في ترويج الإسرائيليات، ودس القصص الخرافية والمقاصد المضمرة، في تمزيق الأمة وتكوين الفرق ذات المقالات المنكرة، فمن ذكر هؤلاء عبدالله بن صوريا الأعور القطيوني، أنه أسلم، ثم ارتد إلى يهوديته[1].

وقد أكمل القُصَّاص دور المروجين للإسرائيليات، حيث ذكر أن بعض القصاص كانوا يجلسون في المسجد، يسمعون الناس بعض القصص والسير في تاريخ السابقين، وعن هذا الطريق تدخل الإسرائيليات في قصصهم، خاصة إذا تعرضوا لقصص الأنبياء، وهي كثيرة في القرآن والتوراة وشروحه، ذكر ممن جلس في المسجد في المدينة القاضي تميم بن أوس الداري في عهد عثمان رضي الله عنه، وذكر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد نهاه عن ذلك، وقيل في رواية: إنه قد استأذن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ذلك فأذن له، وقد أدى القُصَّاص دور سياسيًّا بين أصحاب علي ومعاوية رضي الله عنهما، كل يأتي بما يؤيد موقف صاحبه من الناحية السياسية.

وقد اشترك في هذه الحلبة، وكانوا فرسانها من سمي بمسلمة العرب، من يهود ونصارى عرب، دخلوا الإسلام وكانوا على علم سابق بعلوم التوراة، فكانوا عاملًا مساعدًا في نشر الإسرائيليات، والزيادة عليها من خيال القصاص، حيث تلقفها بعض الرواة على أساس أنها جزء من العلم، فكتبوها أو رووها للآخرين، وبمرور الوقت أصبح لها موضع في التراث في بيئة عربية متعطشة لمعرفة العلم، بعد استقرار من البداوة إلى الحضارة، كما يقول ابن خلدون.

(١) ابن هشام: السيرة، جـ٢، ص١٧٦، محمد حسين الذهبي: الإسرائيليات في التفسير والحديث، ص٢٤، ١٩٨٤.

obeikandl.com

الفصل الثاني

من آثار اليهودية على الفكر الشيعي المغالي

إن ابـن بابويه القمي (ت ٣٨١) فيما يبدو هو أو رواته على علم بما في التـوراة، فهو ينقل عـن بني إسرائيل أن من علامـات تقبل القربان عندهم أن تأكلـه النار[١]، كما يـورد روايات يبدو فيها متأثرًا بما عند اليهود في كون الذبيـح هو إسحاق وليس إسماعيـل، وأن إسحاق كان قد تمنى أن يكون حقًّا هـو الذبيـح، فسماه الله ذبيحًـا لصدقه وصبره، وذكر ابن بابويـه أيضًا أن أنبيـاء بني إسرائيل كانوا يجأرون بالتلبية بالحج، وأن موسى فعل ذلك عند صفائح الروحاء، بل إن سليمان حج البيت في الجن والإنس[٢].

بـل حتى موعد السفر عند ابـن بابويه يستحب أن يكـون يوم السبت، فـإن لم يتمكـن فيـوم الثلاثاء؛ لأنه اليـوم الذي ألان فيـه الحديد لنبي الله داود[٣]، وعلـى هذا النسق يشير ابن بابويه في كتابـه واضعًا ما أمكنه العلم الذي ينقله عـن الأئمة، مسندًا لما كان عليه الحال في بني إسرائيل واليهود، حتى استحباب أخذ العصا عند السفر (إشارة لعصا موسى)، وأن إبراهيم وإسماعيل كانا قد روضا خيل العرب بعد أن كانت وحشية[٤].

ويبـدو أن الشيعـة أو بعضهـم كانوا يخالطـون اليهـود والنصارى في مجتمعهم، فقد أورد ابن بابويه في كتابه السالف جواز أن ترضع اليهودية أو النصرانية أو المجوسية الصبي[٥].

(١) ابن بابويه القمي: من لا يحضره الفقيه، ص٢٨٣.
(٢) المصدر السابق: ص٢٩٢ - ٢٩٣.
(٣) المصدر السابق: ص٣٠٧.
(٤) المصدر السابق: ص٣٢٨.
(٥) المصدر السابق: ص٥٩٤.

وقـد استعار الشيعة ما ذكر عند اليهـود بالتابوت الذي كانوا يحملونه معهم، وفيه تعاليم الألواح، يحملونه خاصة في الحروب، تبركًا وطلبًا للنصر، وقد استعـار المختار الثقفي في ثورته بالكوفه على الأمويين كرسيًّا، ادعى أن الإمـام عليًّـا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يخطب عليـه، وأخذ جيشه يحمـل الكرسي؛ كما كان اليهود يحملون التابوت، طلبًا للسكينة والنصر، وقد وردت أحاديث كثيرة في كتـب الحديث عند الشيعة تشبه السلاح الذي عند الإمام بالتابوت عند بني إسرائيل، وأنه علامة للملك والإمامة[١].

ومـن الغريب عند الشيعة الإمامية قولهـم: إن الإمام الغائب إذا ظهر فسيملأ الأرض عدلًا، ويحكـم بشريعة سليمان وداود، لا يسأل البينة، وهذه استعـارة صريحة وضعت من فم الإمام الصـادق، ادعوا أنه قالها[٢]، وفيها إعـلاء شـأن بني إسرائيل وشريعتهـم، وأن القرآن شريعـة العرب لا تصلح حينذاك.

وكأنمـا يود الشيعة لو أن الإمام عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخذ بشريعة موسى وعيسى صراحـة: أورد الكلينـي حديثًـا عن أبـي بصير[٣]، عن رسـول الله ﷺ، أنه خاطـب علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أن فيـك شبهًا من عيسى ابن مريم، ولولا أن تقول فيك طوائف من أمتي، ما قالت النصارى في عيسى ابن مريم، لقلت فيـك قولًا لا تمر بملأ من الناس إلا أخذوا التراب من تحت قدمك يلتمسون بذلك البركة...»[٤].

(١) انظر ثورة المختار في كتابنا جذور التشيع. وانظر الكليني الأصول، ص١٣٦.
(٢) الكليني: الأصول، ص٢٣٦.
(٣) الحديث مكذوب، وأبو بصير الشيعي ليس في عصر الرسول ﷺ.
(٤) الكليني، المصدر السابق، ص٦٩٩.

وينقل الطبرسي في كتابه الاحتجاج مناظرات بين رجال الشيعة وعلمائهم، وبين بعض رجال الدين من أهل الكتاب، تدل هذه المناظرات على اطلاع رجال الدين الشيعة على تعاليم اليهودية والنصرانية، وبعض هذه الاحتجاجات وضعت في فم الأئمة لإعطائها وزنًا أكبر، ومن تلك المجادلات ما تقبله الطبرسي من احتجاج الإمام الرضا على الجاثليق، في أمور قد أقرتها نصوص التوراة في صالح الرسول ﷺ أو تعاليم الإسلام عمومًا، أريد بها الانتصار خاصة لدعاوي الشيعة بخصوص الإمامة، والبداء، ومعجزات الأئمة من إحياء الموتى و...[1].

وينقل علي بن إبراهيم القمي في كتابه (تفسير القمي) تأويله للآيات القرآنية، الواردة في سورة البقرة الخاصة بنبوة موسى عليه السلام، وتنزيل الألواح في طور سيناء، وعبادة بني إسرائيل العجل، ينقل تفصيلًا وشرحًا من أفكار اليهود الواردة في شرح التوراة المتعلقة بتلك الأحداث، أو إيراده القصة التي دارت في بني إسرائيل، عن طلب موسى منهم أن يذبحوا بقرة، وما مبررات أن تكون بقرة بعينها، موصوفة بتلك الصفات الواردة في القرآن[2].

وفي تفسير القمي هذا تفاصيل وخرافات عن سوء منبت نبوخذ نصر، منذ كان طفلًا ترضعه أمه الزانية من حليب الخنزير كما يدعون، ولا شك أن كل ذلك من آثار كراهية اليهود لنبوخذ نصر الذي هدم أورشليم، ويذكر

(١) الطبرسي: الاحتجاج، جـ٢، ص٤١٧ - ٤٢٤.

(٢) علي بن إبراهيم القمي: تفسير القمي، جـ١، ص٦٠، بيروت ١٩٩١م، وهو من علماء القرن الثالث الميلادي، كان أبوه كوفيًّا، ورحل إلى قم بعد سنة ٣٣٩هـ تقريبًا، وعلي يروي عن أبيه إبراهيم، والكليني روى عن علي هذا، والظاهر أنه وأباه من ناقلي الغلو الذي دخل على التشيع في إيران.

تفاصيل عن أنبياء بني إسرائيل، إرميا، ودانيال، وعلاقة كل واحد بمأساة هدم أورشليم [١].

وهذه القصص والأساطير سبق أن سطرها علماء بني إسرائيل في شروحهم للتوراة والتلمود، خاصة التلمود البابلي، وهؤلاء الرجال يغرفون من ذلك الميراث عن علم أو عن جهل.

وتوضع هذه القصص والمجادلات للانتصار غالبًا للإمام الصادق، وإظهار خصمه النصراني أو اليهودي غير ذي علم، بينما المعلومة أساسها قد ورد في شروح التوراة مثل سؤال الصادق للنصراني عن رجلين من بني إسرائيل، حملتهما أمهما في رحم واحد، ووضعتهما في ساعة واحدة، وماتا في ساعة واحدة، ودفنا في ساعة واحدة، وفي قبر واحد؟ قال: هما عزير وعزيرة[٢].

والعتب ليس على الشيعة وحدهم، فجميع الفرق الإسلامية غرفت من إناء واحد، ولكن كل فرقة تؤول النقل حسب مرادها، والشيعة دائمًا معروفون بالتأويل لصالح إمامة سيدنا علي رضي الله عنه وأولاده وعصمة الجميع، ومعرفتهم العلوم وخلقهم من طينة غير تلك التي خلق منها بقية البشر.

وفي تفسير القمي للآية: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ ﴾ (البقرة: ١٦١)، نزلت في أعداء آل محمد ﷺ، ويقصد بهم مجموع الصحابة والسنة أو النواصب منهم، وأما قوله تعالى في ذلك: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ (آل عمران: ٩٢)، أي حتى تردوا على آل محمد كلهم من الخمس[٣].

(١) القمي: تفسير، جـ١، ص٩٥-٩٧.
(٢) المصدر السابق: جـ١، ص١٠٧.
(٣) القمي: تفسير، جـ١، ص١١٥.

وإذا كان علماء الشيعة القدماء أمثال القمي عاشوا في عصر الجهالة، بالنسبة إلى عصرنا الحاضر، فما بال بعض العلماء الشيعة ينشرون، وينقلون في خطبهم ومقالاتهم ويرددون تلك القصص والخرافات نفسها والاحتجاجات غير المقبولة؟

يستغرق علماء اليهود قديمًا في شرح ما ورد في باب التكوين من التوراة، فيضيفون على النص تفاصيل من اجتهاداتهم، فيفصلون أن الله في كل يوم من أيام الأسبوع خلق كذا من خلقه أو كونه، ففي يوم الأحد للخلق، والإثنين والسبت عطلة، وفي تفسير علي بن إبراهيم القمي للقرآن حينما يفسر الآية: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾ (هود: ٧)، ذكر القمي أن الله خلق الهواء، ثم القلم ثم الظلمة والنور، ثم الماء والعرش و... ثم بدأ يفصل خلق الأشياء حسب أيام الأسبوع، فذكر خلق السماوات والأرض والملائكة يوم الخميس، وخلق الأرض يوم الأحد، وخلق دواب البر والبحر يوم الإثنين، والشجر والأنهار يوم الثلاثاء، وخلق الجان يوم السبت، وخلق الطير يوم الأربعاء، وخلق آدم في ست ساعات من يوم الجمعة[1]، وعند ابن بابويه أن يوم السبت عطلة (راحة الخالق)[2] كما في التوراة.

ولم يبالِ رواة الشيعة ومصنفوهم؛ حينما ينقلون تلك التفاصيل عن أصحاب العلم الأول، كما سماهم الإخباريون العرب، لم يبالوا حتى في تلمس نقل الصيغة اللغوية، التي تلفظ بها نبي الله نوح مثلًا حينما اشتد الطوفان، وتاهت السفينة، قال القمي: (فرفع نوح يده، فقال: يارهمان اخفرس وتفسير

(١) القمي: تفسير، جـ١، ص٣٢٣.
(٢) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، جـ٢، ص١٨٠.

أحسن)، ويستغرق في تفصيل قصة الطوفان، واضعًا تلك التفاصيل قولًا في فم الأئمة[1]، وعلى هذا المنوال يسير القمي في تفسير سورة يوسف، وما فيها من تفاصيل وجدوها في شروح التوراة المتراكمة على مر السنين[2]، ومفسرو الفرق الأخرى يفعلون الشيء نفسه، ولكن الفرق أن الشيعة يضعون هذه التفاصيل على شكل أحاديث ينسبونها إلى الأئمة، في حين ينسب الآخرون غالبًا تلك التفاصيل والنقول إلى رواة من العرب اليهود أو النصارى الذين أسلموا، أو ينقلون مباشرة من شروح التوراة، ويعترفون أنهم وجدوها هكذا عند أصحاب العلم الأول (أهل الكتاب)، إن أكثر تفاسير علماء الإسلام حينما يتعرضون إلى اسم الذبيح من ولد إبراهيم يقولون: إنه إسماعيل، لكن الناقلين من كتب اليهود مباشرة، يتابعون اليهود في قولهم: إن الذبيح هو إسحاق، وهكذا فعل علي بن إبراهيم القمي في تفسيره، حينما تعرض لتفسير الآية: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ﴾ (الصافات: ١٠٢).[3]

ابن بابويه القمي المسمى بالشيخ الصدوق (٣٨١) والمولود بالري كتب كتابه، علل الشرائع، فكانت موروثات الفكر اليهودي المضمنة في شروح التوراة والتلمود معينًا عذبًا، ففي ذكره العلة التي من أجلها عبدت النار بلا شك، كان يستطيع أن يذكر السبب الشائع، بين الفرس في عبادتهم الزرادشتيه للنار المتعلقة بالنور والظلمة، لكنه وجد في شروح التوراة أن هابيل حينما قدم قربانه الجدي المشوي بالنار تقبل منه، بخلاف قابيل الذي قدم قليلًا من الحبوب، إذن النار كانت سببًا مقدسًا لقبول القربان، لكن ابن بابويه جعل

(١) القمي: تفسير، جـ١، ص٣٢٩.
(٢) القمي: تفسير، جـ١، ص٣٤٠.
(٣) القمي: تفسير، جـ٢، ص١٩٧.

قابيـل أيضًـا يوقد النار التي عبدها الضالون مثـل قابيل قديمًا[١]، لكن فكرة النـور وقداسته تظل في الفكـر الشيعي المغالي الذي يستمد أصوله من التراث الزرادشتي القديم، فيرجع ابن بابويه ويذكر أن العلة في تفضيل الأئمة الإثني عشـر على الملائكة، أنهم خلقوا مـن نور قبل خلق الملائكة[٢]، ومن هنا جاءت ضرورة المزج بين التراث اليهودي، والتراث الزرادشتي الفارسي.

وينقل ابن بابويه في علل الشرائع عن بعض رواته أنهم ينقلون أو يروون مباشرة من صحف موسى بن عمران[٣]، أن ابن بابويه ورواته بارعون في سد البـاب على الفرق التي أباحت نكاح المحـارم، ممن انتسب للإسلام بفارس قديمًا، وذلك لرجوعه إلى علة زواج أبناء آدم من أخواتهم من أول الخليقة، وللهـروب مـن ذلك ابتدع ابن بابويـه ورواته القـول: إن الله أرسل من جنته حوريات إلى كل من شيث ويافث كي يتزوجوهن، وإن جميع بني آدم من تلك الزيجة[٤].

ورواة الشيعـة يعكسون حقيقة أخذهـم من التراث اليهودي وعموم أهل الكتاب، بل يضعون ذلك من عمل أئمتهم؛ لأنهم قد ورثوا علم أهل الكتاب، وما في الصحـف الأولى، ففي حديث يرويه ابن بابويه عن الصادق أنه (صحفي) أي يقـرأ ما في الصحف الأولى، صحـف إبراهيم وموسى، وحديث آخر يحتج بـه على أبي حنيفـة في مسألة القياس، ويسأله هـل ورث شيئًا أو علمًا مما في الصحف الأولى، حتى يتصدى للإفتاء بالكوفة ويستعمل القياس[٥].

(١) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، جـ١، ص١٣ مؤسسة الأعلمي، بيروت ١٩٨٨م.
(٢) المصدر السابق: جـ١، ص١٦.
(٣) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، جـ١، ص٢٤.
(٤) المصدر السابق: جـ١، ص٣٢.
(٥) المصدر السابق: جـ١، ص١١١ - ١١٢.

وأخـذ الشيعـة عند اليهود العرب من الرواة يظهـر واضحًا في كثير من مروياتهـم، ومن أمثلة ذلك يتردد اسم عبدالله بن سلام، وما يرويه عنه ابن بابويـه، في علل الشرائـع[١]. ومرات أخرى يروي ابن بابويـه في علل الشرائع عـن يهودي دون ذكر اسمه[٢]، وفي بعض الأحيان بعد أن يذكر ابن بابويه تلك العلـوم التراثية القديمة، ينسب إلى الإمام أبي جعفر مثلًا: (وجدناه في كتاب مـن كتب علي عليه السلام)[٣]، كما يروي ابن بابويه عن وهب بن منبه قوله: (إنه وجد في التوراة كذا وكذا...)[٤]، ويسرد ما فيها من شروح اليهود.

والشيعـة تعد الرسول محمدًا ﷺ يقـرأ ويكتب، وإنما سمي بالأمي نسبة إلى أم القرى مكة، فإذا كان يقرأ ويكتب فنحن نسأل ماذا كان يقرأ ويكتب؟

إن هـذا التصـور يسهـل علـى رواة الشيعـة وعلمائهم نسبـة العلوم والمعرفـة إلى الرسول ﷺ وإلى الأئمة بعـده[٥]، ومن ثم يسهل عليهم نسبة علـوم أهـل الكتاب وما فيها من علـوم نقلوها من مصادرهـا أن تكون تلك العلـوم معروفـة ومقـروءة للنبي ﷺ، مـع أن القرآن الكـريم يقول: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ (العنكبـوت: ٤٨)، ورواة ابـن بابويه يودون، فيما يبدو من أسئلتهم التي سطرها المؤلـف، لو أن الرسـول ﷺ كان مثلهم يقرأ ما في الصحـف الأولى، لتأييد مـا جاء بـه، فقد سأل الـرواة إمامهم عن قوله تعالـى: ﴿ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ﴾ (يونس: ٩٤)[٦]، وينقل

(١) المصدر السابق: جـ١، ص١١٧.
(٢) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، جـ١، ص١١٩.
(٣) المصدر السابق: جـ١، ص١٣١.
(٤) المصدر السابق: جـ١، ص١٣٤.
(٥) المصدر السابق: جـ١، ص١٥١.
(٦) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، جـ١، ص١٥٦.

ابـن بابويـه القمي عمـن رواه أن بعض الناس وجدوا كتابـة غير عربية على حجر فجاؤوا بها إلى وهب بن منبه، فترجمها لهم وكان مدلولها، يحث على الزهد في الدنيا[١].

وينقل ابن بابويه القمي عن رواته، أنهم وجدوا في أوراق وهب بن منبه أن ذا القرنـين فعل كذا وكذا، تفاصيل مما وردت في شروح التوراة، ثم قال: إن ذا القرنـين بعـد أن سار عشرين سنة: (إذ وقـع على الأمة العادلة الذين هم قوم موسى، الذين يهدون بالحق وبه يعدلون.)[٢].

وينقـل ابـن بابويه القمـي، أسمـاء أنبياء بنـي إسرائيل ومـا يقابلها بالعربيـة، فيقـول: إن إسرافيـل هـو يعقوب، ويوشـع هو ذو الكفـل، (انظر يهـود العـراق)، والخضر هو إرميا، ويونس هو ذو النـون، وعيسو هو المسيح عيسـى[٣]. وهذا يدل على صريح النقل والعلم بمـا في التوراة وشروحها من قبل أولئك الرواة.

ولكـون موضـوع ولاية الإمام علـي رضي الله عنه، ووجوب الإيمـان بها ضرورة للمذهـب، فقـد أوردت المصـادر القديمة عنـد الشيعـة، أن ولاية علي رضي الله عنه والنص عليها مذكـورة في جميع الصحف المنزلة من الله[٤]، وتهتم مصادر الشيعـة خاصة القديمـة منها بنقل أو مـا روي من أحاديـث أو أسئلة دارت بـين رجال يهود، مثل عبدالله بن سلام، أو مجموعة من اليهود قامت بطرح أسئلة على الرسول صلى الله عليه وسلم[٥].

(١) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، جـ٢، ص١٧٦.
(٢) المصدر السابق: جـ٢، ص١٨٤.
(٣) المصدر السابق: جـ٢، ص٣٢١.
(٤) المفيد: الاختصاص، ص١٨.
(٥) المفيد: الاختصاص، ص٣٣، ٤٣.

وهـذه المرويات تلقاها كثير مـن علماء الشيعة بالقبـول، رغم الطعن الـوارد علـى رواتها عنـد محدثي الشيعـة أنفسهم، فعلى سبيـل المثال ينقل الشيـخ المفيـد في كتابـه (الاختصاص)، مرويات جابر بـن يزيد الجعفر، وبريدة العجلي، وزرارة بن أعين وغيرهم، ولم ينكر عليهم مقولاتهم المغالية في الأئمة، بل مدحهم بوصفهم أول من أظهر علم الأئمة، بعد أن كان الرواة يخافون نشره[1].

ويبدو أن إدخال اليهود أو علمائهم في أسئلة موجهة لأئمة الشيعة، يعزز في رأي الـرواة والعلماء، أحقية هؤلاء الأئمة بالعلم؛ لأن اليهود هم أصحاب العلـم الأول، وهـم أهل المعرفة، فإذا صادق اليهود علـى أقوال الأئمة، أو ما ينقـل فقد تعزز رأي الفقيـه الشيعي وأعطاه ثقلاً علميًّـا كبيرًا، فهنا الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان (٤١٣ هـ)، ينقل في كتابه (الاختصاص)، إجابـات طويلـة ليهودي سأل الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكلها مـن المسائل التي يريد المفيد أن يتعزز فيها رأي الشيعة مثل دعوى وصية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعلي ومعجزات كثـيرة، تدفع في رأي المفيد القـارئ أو المتلقى لتصديقهـا[2]، ويسند الشيخ المفيد للراوي (مثلاً رفاعـة) عن الإمام الصادق مباشرة أن في التوراة كذا وكـذا[3]، بل يصدق الشيخ المفيد ما ورد في التـوراة حتى في تكفيرها للملك نبوخذ نصر[4]؛ لأنه عند اليهود هو الذي هدم أورشليم وسبى اليهود، وجاء بهم عبيدًا إلى بابل.

(١) المفيد: الاختصاص، ص٦٦.
(٢) المفيد: الاختصاص، ص١٦٣ - ١٧٠.
(٣) المفيد: الاختصاص، ص٢٢٦.
(٤) المفيد: الاختصاص، ص١٦٥.

إن علماء الشيعة القدماء حاولوا بناء رابط وصلة بين رهبان المسيحية ورجالهم، فرواية الشيخ الطوسي في أماليه تذهب إلى درجة أن الراهب الذي قابله علي رضي الله عنه بعد رجوعه من حرب الخوارج، بارك نزول الإمام علي رضي الله عنه وجيشه حول تلك الصومعة، قائلًا: إنها أرض لا ينزلها إلا نبي أو وحي، فهل أنت أصلع قريش؟[1]، وفي موضع آخر يظهر الطوسي الجدال بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما من جهة، وجاثليق النصارى القادم من نجران، بكثير من ضعف حجة الاثنين حتى يأتي الإمام علي رضي الله عنه فيباشر الكلام مع الجاثليق الذي يظهر له علو الشأن والمعرفة والتصديق[2].

ذكر البرقعي في كتابه (كسر الصنم) عدم صحة أحاديث الكافي، وأن رواتها مطعون فيهم عند رجال المذهب نفسه، وقد حصرت أكثر من مئة وعشرين راويًا من بينهم رواة الكافي في كتابي جذور التشيع، وأوضحت أسباب الطعن في هؤلاء الرواة في نظر رجال حديث الشيعة الإمامية، ولكن من وثق الكافي ادعى أن الكتاب عرض على الإمام الغائب، فاستحسنه وقال: كافٍ بشيعتنا.

ولا أدل من أن رجال الشيعة كانوا يلتمسون في أفكارهم وردودهم على خصومهم ما كان عند الأمم السابقة من يهود ونصارى: ذكر الكليني أن هشام بن الحكم احتج في الدفاع عن أفكاره ضد خصمه (عمرو بن عبيد إن صح النقل) فلما عرض هشام حجته على الإمام الصادق، رد عليه الإمام: (هذا والله مكتوب في صحف إبراهيم وموسى)، إذن القوم يأخذون من

(١) محمد بن الحسن الطوسي: الأمالي، ص٢٠١ - ٢٠٣.
(٢) المصدر السابق: ص٢٢٣.

علـوم التوراة والتلمود وينسبونها بوضـوح إلى الإمام[1]، وحتى أولئك الرواة الذيـن ربما يسمعون مـن إمامهم علمًا لا ينقلونه كما سمعـوه، إنما يزيدون عليـه أو ينقصون، حسب مقتضياته. روى الكليني في الكافي أن أحدهم سأل الإمام الصادق (أسمع الحديث منك، فأزيد أو أنقص؟...)[2].

*****

(١) الكافي، الأصول: ص٩٦، الأعلمي، بيروت ٢٠٠٥م.
(٢) الكافي، الأصول: ص٣٣.

obeikandl.com

أفكار وإسرائيليات يهودية استعارها التشيع

مقدمة

١- لا بد من نبي يخلف موسى، ولكل نبي خليفة إلى جانبه في حياته، فكان خليفة موسى هو يوشع بن نون عليهما السلام، وهكذا [١].

وقد استعار الفكر الشيعي من اليهودية القول: إن عليًّا هو وصي محمد ﷺ في حياته وخليفته من بعده، وقالت الشيعة: إن الأرض لا تخلو من إمام ظاهر أو مستور (إمام غائب)، ولو خلت الأرض منهم لساخت.

٢- إن كثيراً من الرواة الذين وصمتهم كتب الرجال عند الشيعة بالغلو والكذب والارتفاع، هؤلاء كان سبب غلوهم وكذبهم أنهم ادعوا على الأئمة أقوالاً اقتبسوها أو سمعوها من أهل الكتاب، وزحفت هذه الأقوال على أحاديث تلقفها مدونو الحديث دون تمحيص، ونستعرض هذه الأفكار وقربها مما قاله أهل الكتاب.

فدعوى صالح بن محمد الهمداني القائل: إن الإمام أبا جعفر هو الرب، أو دعوى سعيد بن طريف الإسكاف بأن الإمام الصادق لم يمت، وإنما غاب وسيرجع فإنما هو المهدي[٢]. كما أن أفكار الخطابية والمفضل بن عمرو الجعفي (جماعته وأفكار النصيرية نسبة إلى محمد بن نصر النميري الفهري) الذي ادعى أن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه هو الإله، وأن النميري هو النبي، هؤلاء وأضرابهم قالوا بكثير من الآراء المشابهة لما

(١) فان فلوتن، أحزاب المعارضة، ص ١٧٢.
(٢) النوبختي، فرق، ص ٨٧.

عند أهل الكتاب يهـوداً ونصارى، وقد تسللت أحاديث هؤلاء إلى كتب حديث الشيعـة وتراثها مبثوثة في الكتب القديمة خاصة، مثل الكافي والتهذيب، ومن لا يحضره الفقيه وكتاب المحاسن [١] و... غيرها.

ذكر الكشي في رجاله أن محمد بن سنان شكا إلى الإمام الرضا وجعًا في عينـه، فأرسله إلى الإمام أبي جعفر، فجعل يرفـع رأسه ويقول: ناخ ناخ، فذهب كل وجع في عينه، فقال ابن سنان لأبي جعفر: جعلت فداك شيخاً على هذه الأمة، كما جعل عيسى ابن مريم شيخاً على بني إسرائيل [٢].

٣- فكـرة توحيد الله: يؤمـن الشيعة كبقية المسلمـين بوجود إله واحد معبود فرد صمد لم يلد ولم يولد، وقد تواتر النقل من رواة الشيعة والإمامية خاصـة على وحدانية الله سبحانـه وتعالى والنهي عن الإشـراك به[٣]. وقد أفـرد كثير من فقهـاء الشيعة الإماميـة كتباً كاملة في التوحيـد[٤]. لا مجال لبسطها، لكن روايات الغلاة، وهي استثناء بطبيعة الحال يرى فيها الدارس خروجـاً علـى أصل التوحيـد وتفسيراً يخرج عـن مقتضى المعنـى الواضح، ومـا ذلك إلا اجتهـاد من هؤلاء الرواة للاحتجاج لعقيـدة المذهب وتمييزها عمـا يقوله الآخـرون. فبرغـم وضوح الآيـة القرآنيـة في التوحيـد القائلة: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ (الزمـر: ٥٦)، مقتضـى التفسير الواضـح والظاهر حسـب قواعد اللغة العربية أنها تعنـي: إن أشركت بالله إلهًا آخر فإن عملك مهمـا كان حسناً فإنه غـير مقبول. جاء في تفسير القمـي أن الآية تعني: إن

(١) النوبختي، فرق، ص ٤٠ وما بعدها.
(٢) الكشي، رجال، ص ٥٨٢-٥٨٣. (مع اختيار معرفة الرجال للطوسي).
(٣) كتاب توحيد المفضل: للمفضل الجعفي.
(٤) القمي. تفسير ج١ ص٢٥١. المجلسي. البحار. ج٢٣. ص٣٩١. الكليني الكافي ج١ ص٤٣٧.

أشركت في الولاية غيره[1]. يعني إن أشركت مع.... في الولاية غيره فقد كفرت، وهكذا أدخلوا تأويل الشرك بالولاية مع أن النصوص المتعلقة بالشرك بالقرآن لا تذكر ولاية ولا علاقة لها بذلك. وهذا التأويل البعيد شجع أبا الخطاب والغلاة أضرابه إلى تأويل أبعد من ذلك، فقد نقل عنه تأويل قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ﴾ (الزمر: ٤٥)، يعني إذا ذكر الإمام علي وحده. ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ ﴾ يعني فلانًا وفلانًا، يعني بذلك أبابكر وعمر ﷺ. وقد تبرأ الصادق من هذا التأويل حينما نقل إليه[2]. إذًا الولاية لها أهمية كبيرة في العقيدة الشيعية تقرب من أن تكون صنواً للتوحيد، فمن لا يؤمن بولاية علي ﷺ وبقية الأئمة المنصوص عليهم عندهم فهو في مرتبة من أشرك بالله. وذكر الطوسي في أماليه عن رسول الله ﷺ: (لو جاء أحدكم يوم القيامة بأعمال كأعمال الجبال، ولم يجئ بولاية الإمام علي بن أبي طالب ﷺ لأكبه الله ﷻ في بالنار). ونقل هذا كثير في التفاسير وكتب الحديث[3]. والمناقض له أو المخفف لهذه الغلواء أيضًا يرد في بعض التفاسير. والنتيجة أن يرتفع الاهتمام بالأئمة إلى مرتبة فوق الناس العاديين، فيبني الغلاة على ذلك أن الأئمة معصومون عن الخطأ بخلاف البشر، وأنهم يعلمون متى سيموتون، ولديهم علم المغيبات عن باقي الناس وما إلى ذلك.

وهكذا يبالغ رواة الشيعة في صفات الأئمة إلى درجة أن يعدوهم واسطة بين العبد وخالقه، فهم وسيلة الهداية. لقد عقد المجلسي في بحاره بابًا (أن الناس لا يهتدون إلا بهم، وأنهم الوسائل بين الخلق وبين الله...) وروى المجلسي عن الصادق أنه قال: (نحن السبب بينكم وبين

(١) القمي: تفسير البرهان. ج٤. ص٧٨.
(٢) الطوسي. أمالي ج١، ص٣١٤.
(٣) المجلسي. البحار. ج٢٧. ص١٧٢.

الله ﷻ)[1]. كل ذلك والقرآن الكريم صريح في عدم وجود واسطة بين العبد وربه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، ويذكر القرآن مقولة على لسان المشركين عن عبادتهم للأصنام، فقال: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ ودفع هذا الانحراف والغلو إلى أن يستغيث العبد بالأئمة، وينسى الله أو لا ينساه، وإنما يعده واسطة وشفيعًا. وقد أورد المجلسي في بحاره أدعية عدة كلها ترشح بالاستغاثة بالأئمة[2]. وقد دفعت هذه الأقوال والأفكار عامة الشيعة إلى التعلق بقبور الأئمة والحج لها، وطلب الحاجات والمغفرة منهم، أو من الله عن طريقهم، كل ونيته المقصودة.

تدعي روايات عن بعض الرواة الشيعة أن الله قد اختار الشيعة أولياء لعلي بن أبي طالب ﷺ وبقية بنيه من الأئمة. وتذهب روايات شيعية إلى القول: إن الله قد ناجى عليًّا يوم الطائف ويوم عقبة تبوك ويوم حنين[3]. وسمع صوتًا من الجبل تحت الرسول محمد ﷺ وعلي ﷺ معه، فسأل: ما هذا الصوت؟ فقال: (إن الله يناجي عليًّا)[4].

نقل المجلسي من كتاب (خص الاختصاص للشيخ المفيد) عن كتاب سليم بن قيس الهلالي..... قال أبان: لقيت أبا الطفيل بعد ذلك، فحدثني في الرجعة عن أناس من أهل بدر وعن سلمان والمقداد.... قال... (ثم سأل أبو الطفيل الإمام عليًّا ﷺ عن الآية:.....﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ .... قال أمير المؤمنين ﷺ: هي دابة تأكل وتمشي في الأسواق وتنكح النساء،

(١) المجلسي. البحار. ج٢٣ ص٩٧-٩٩.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المجلسي. البحار. ج٣٩. ص١٥٤. الشيخ المفيد الاختصاص. ص٣٢٨.
(٤) محمد بن النعمان المفيد. الاختصاص. ص٢٠٠

فقلت: يا أمير المؤمنين، من هو؟ قال: هو رب الأرض الذي تسكن الأرض به...)[1]. وتتفق أكثر تفاسير الشيعة على تفسير هذه الدابة في الآية: أنها هي علي رضي الله عنه.

٤- إله اليهود وتعاليم التوراة والتلمود: إن اليهود لم يستطيعوا الاستقرار على إله واحد معبود، كما دعا إليه موسى وبقية أنبياء بني إسرائيل. وهم في عقيدتهم يتجهون كما ذكرنا إلى تجسيم الإله الذي أمرهم موسى عليه السلام بعبادته. ولما كانوا قد تأثروا بعبادة العجل مذ كانوا بمصر قبل الخروج أعادوا عبادة العجل كما تقرر التوراة ذلك، حيث تقول: إن هارون هو الذي عمل لهم العجل بطلب منهم حينما غاب موسى عليه السلام؛ وتقول التوراة: إنهم استبشروا بهذه العبادة حيث خلعوا ملابسهم وأخذوا يرقصون عراة أمام هذا الرب. كما عبد بنو إسرائيل الحية؛ لكونها مقدسة عندهم، فهي رمز الحكمة والدهاء والانسياب. وهي الحيوان الوحيد الذي يلتقي طرفاه. ترسم التوراة في أسفارها الخمس صورة بشرية للإله يهوه له طول وعرض وله يد ورجلان، والإله يهوه يأمرهم بأن يسرقوا ذهب المصريين وفضتهم عند الخروج من مصر، كما يذكر العهد القديم من تعاليم الإله في معاملة غير اليهود: (لا تقطع لهم عهداً ولا تشفق بهم). فيهوه إله قاسٍ شديد البأس حتى ضد شعبه، فيذكر العهد القديم أن يهوه غضب على شعبه مرة فراجعه موسى وطلب منه الرجوع عما أضمره ضد شعبه، وقال له موسى: (ماذا يقول عنك الناس إذا سمعوا بفعلتك؟... فندم الرب على الشر الذي أضمره[2]. وبدا له غير ما قرر. وبعد بناء الهيكل في أورشليم أضحى الإسرائيليون لا

(١) المجلسي. البحار. المجلد ١٣. ص٢١٧.
(٢) سفر الخروج، الإصحاح ٣٢، آية ١٠ - ١٤.

يذكـرون إلههم يهـوه بالاسم، حيث تنكر التعليمات عـدم تسميته باسمه، بل بالإشـارة فقط ثـم استعاضوا بذلك إلى عبادة الهيـكل نفسه على أساس أن فيـه روح الإله يهوه[1]. إنه ممنوع على غير اليهود عبادة معبودهم أو الدخول في الهيـكل للصلاة، فقد أضحت ديانتهم ديانـة عنصرية خاصة بهم فقط، أمـا بقية الشعـوب فهم أنجاس لا يستحقـون الرحمة، بـل إن أموالهم (وما قدرتم أخذه حلال لكم)[2].

وتذكـر التـوراة أن موسى صنع لشعبـه تابوتًا، وضع فيـه الألواح التي تسلمهـا من الـرب، وهي من كتابـة الـرب، وفي التابوت المذبـح الذي يوقد فيـه نار للبخـور صباح مساء، ووضـع في التابوت ذهباً وفضـة، وكل ما غلا ثمنـه بقصد حفظـه، وقيل لهـم: لا يجوز لأحـد أن يمس التابـوت؛ لأن فيه روح الـرب يهـوه. وقد تركزت تعاليم عدم مسح التابـوت عند أحبار اليهود، وذلـك كما يقول الدارسون، ليحفظوا الأشيـاء الثمينة، وادعوا أن من يمسه - كمـا هو نصـ التوراة - فإنه يمـوت حالاً، ويكون مصـيره كمصير الرجل الذي مات حينما مسه دون علم وقصد منه. وتذكر التوراة أن إله يهوه يحب القرابـين من الخراف المشوية. والقرابين والنذور التي تقدم لا تكون مقبولة إلا إذا كانـت علـى يـد الكاهن، بل توبة العبـد لا تقبل إلا على يـده. وأصبح الكهنـة حول الهيكل يمثلون قوة في العقيـدة اليهودية، فقد كانوا معفيين من الضرائب، وتقسم بينهم النـذور والقرابين التي تقدم، وقد كان يقدم للإله حتـى القرابين البشريـة حيث قدمت للذبح ابنته حيـة، ثم في مرحلة لاحقة

(١) ذكر المجلسي في البحار المجلد ١٣، ص٣٩ النهي عن ذكر اسم الإمام الثاني عشر، بل يذكر بأسماء الكنى، الحجة، القائم، المهدي، الفقيه، م ح د، صاحب الزمان، صاحب العسكر، الناحية المقدسة حرسها الله، انظر جـ١٣، ص ٢٣٧ – ٢٤٢.

(٢) سفر الخروج، الإصحاح ١٤، آية ١٣ - ١٨.

اكتفوا بتقديم الضحايا البشرية لمجرد الخدمة في المعبد، وقد اكتفي بتقديم جـزء من الأعضاء البشرية، فبدل أن يضحـى بالإنسان كله يقطع منه جزء علامة على انقياده للإله وهو الختان الذي كان رمزاً عندهم لهذا العرف[1]. يدعي اليهود أن إلههم يهوه قد وعد آباءهم بتميزهم عن بقية الشعوب؛ لأنه اختارهـم من دون الآخرين: (..... بل من محبة الرب إياكم وحفظه القسم الذي أقسم لآبائكم)[2] ويقول التلمود بالتناسخ أيضاً.

ويـرى الباحثـون أن هذا من الأثـر الفارسي على الديانـة اليهودية، حيـث قام حاخامـات بابل الذيـن كتبوا التلمـود البابلي إلـى تكرار فكرة التناسـخ، فأرواح اليهود هـي جزء من الله، كما الابن جزء من أبيه، وهذا يعنـي أن اليهـود خلقـوا بشكل مختلف عـن بقية الشعوب كمـا يفسر ذلك أحبارهـم. وفي بعض أحاديث الشيعة أنهم خلقوا من طينة غير طينة آدم.

ويكـرر التلمـود مـا ورد في التوراة من كـون الرب يغـير رأيه في بعض الأحيـان. فمرة كما يذكر التلمود غضب الرب واستولى عليه الطيش، فحلف بحرمـان شعبه من الحيـاة الأبدية، لكنه ندم بعد ذلك؛ لأن غضبه كان ضد العدالة. وهذا يشبه إلى حد كبير فكرة البداء التي بثها كثير من رواة الشيعة.

يـرى اليهـود أن نصـوص التلمود في أهميتهـا وقدسيتها: كنصوص التـوراة، مع أنهم يعلمـون أن التلمود مجـرد أقوال رجـال الدين جمعوهـا فيما بعـد، وهـم يقولون: من يقرأ التوراة بغـير المشنا والجيمارا (التلمود) فليس لـه إله؛ لأن قول الحاخامـات هو قول الله الحي، بـل إن الرب يستشير الحاخامات عندما تواجهه معضلة لا يمكن حلها في المساء.

(١) يوحنا ١٨: ٣٠، الملوك الثاني، ١٦: ٣ و٨: ١ – ٦ و٦: ١٤ – ٢١. الخروج، ٣٠: ١-١٠.
(٢) سفر التثنية ، ٧: ٦-٨.

لليهودي الإنسان منزلة كبيرة في الفكر اليهودي، فهو عندهم معتبر عند الـرب أكثر من الملائكـة؛ لأن اليهودي جزء من الله. إذا قام آخر غير يهودي بضرب يهودي فكأنما ضرب الرب نفسه. أما غير اليهود فلا يجوز إطعامهم وهم أقل من الحيوانات. وفي مجال السلوك يجب على اليهودي ألا يغش يهوديًّا مثلـه، أما مع غير اليهودي فلا تكـن طاهراً مع الدنسين. ولا يجوز أخذ الربا من اليهودي، ويجوز مع غيره. أما الأرضون والأموال فهي ملك للرب واليهود هـم المالكون للأرضـ والأموال نيابة عن الرب. وأعد التلمـود أن سرقة المال من غير اليهودي يعد استردادًا للمال من سالبه. وأجاز الحاخامات أن يحلف اليهـودي ويغش غير اليهودي البيع ويعطي الأيمان الكاذبة. ولا يجوز لليهودي رد المـال المفقـود من غير اليهـود. جاء في التلمود: (محرم علـى اليهودي أن ينجي أحدًا من غير الأميين من هلاك أو يخرجه من حفرة وقع فيها). وأجاز التلمود لليهودي ارتكاب المحرم مع المرأة النصرانية؛ لأنها غير مؤمنة. كما لا بأسـ من الحلف زورًا عند الحاكـم؛ لإنقاذ يهودي من خصمه غير اليهودي؛ لأن هناك يوم الغفران ستمحى فيه جميع ذنوب السنة الماضية.

الحيض والولادة تدنسان المرأة كما الخطايا تدنس الإنسان، لكن الهدايا والقرابين يكفران تلك الخطايا على أن تقدم للكاهن مع الاعتراف بها.

لا يجـوز زواج اليهوديـة مـن غـير اليهـودي. والرضاعة ليسـت سببًا للتحريم. اليهودي من خرج من رحم يهودية فقط.

٥- تحمل ذنوب الأمة: إن كثيراً من رواة الشيعة اتهموا بالغلو؛ لأخذهم بأفـكار أهـل الكتب، ونسبوهـا إلى الأئمة. فكثـيراً ممن ينتمـون إلى فرقة

الخطابيــة الشيعية انتحلت أفكاراً من النصرانيــة، وصاغوها بشكل حديث نسبوه لأحد الأئمة، ونجد تسرب هذا الحديث أو ذاك في كتب حديث الشيعة الإمامية.

مــن هؤلاء المفضل بن عمــرو الجعفي الذي ذهب بــه الغلو حد القول: إن الأئمــة تقــدر أرزاق العباد، فلما علم منه الإمــام الصادق ذلك تبرأ منه ولعنه[1].

كما عدّه النجاشي فاسد المذهب برغم ما ذكر له من مصنفات[2].

ذكــر المجلســي أنــه وجــد في أحد كتــب الشيعــة: (لم يذكر الكتــاب ولعله أحــد مصنفــات المفضــل) بروايــة المفضل بــن عمرو أنه ســأل الإمــام الصادق عــن المهــدي.... ثــم سألــه عــن المتعــة وذكــر قــول علــي ﷺ في تحريمهــا من قبــل عمــر ﷺ، ثــم يذكــر قــول الصــادق: (.... ثــم يقــوم جــدي (علــي ﷺ) فيشكــو للرســول ﷺ الظلــم الواقــع علــى الأئمــة مــن قبل الخلفــاء، فيرد الرسول ﷺ: الحمد لله الذي صدقنا وعده.... ثم يقول ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا. لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ فقال الإمام الصادق: يا مفضل، إن رسول الله ﷺ قال: اللهم، حملني ذنوب شيعة أخي وأولادي الأوصياء ما تقدم منها ومــا تأخر إلى يوم القيامــة، ولا تفضحني بين النبيين والمرسلين من شيعتنا، فحملــه الله إياها وغفرها جميعها. قال المفضــل: فبكيت بكاء طويلاً وقلت: يا سيــدي، هــذا بفضل الله علينا منكم. قال الصادق: يــا مفضل، ما هو إلا أنــت وأمثالك بلى، يا مفضــل، لا تحدث بهذا الحديث أصحاب الرخص من شيعتنــا، فيتكلون على هذا الفضل ويتركون العمل...). قال المجلسي في آخر

(١) الكشي. رجال. ص٢٧٤.
(٢) النجاشي. رجال. ص٢٩٥.

هـذا الخبر: أقول: روى الشيخ حسن بن سليمـان في كتاب منتخب البصائر هذا الخبر هكذا[١].

ونقـل المجلسـي أيضـاً عـن (كنـز = كنز جامـع الفوائـد وتأويـل الآيات الظاهـرة).. أنـه سـأل الإمـام أبـا الحسـن الثالـث عـن قـول الله ﷻ: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ فقال: وأي ذنـب كان لرسول الله ﷺ متقدماً أو متأخراً؟ وإنما حمل الله ذنوب شيعة علي رضي الله عنه ممن مضى منهم وبقي ثـم غفرها لـه[٢]. هذا وقد اقتبـس رواة الشيعة فكرة تحمـل الرسول ﷺ ذنوب الشيعة من فكرة تحمل المسيح ابن مريم ذنوب أمته، فقدم نفسه قرباناً ليطهرهم مـن الذنوب. تعتقـد النصرانية أن عيسى عليه السلام قد قدم نفسـه لأن يصلب فداءً لذنـوب أمته. وقد تكررت هـذه الفكرة واستعيرت بطرق شتى وتبريرات مختلفة عنـد معالجة كثير من مصـادر الشيعة لموت الإمام الحسـين رضي الله عنه. إنه كان يعلم مصرعه مقدماً، ولكنه أصر لأن يقدم روحه الطاهرة فداءً للأمة[٣].

٦- نقـل الجنائـز ودفنهـا في النجف: تـرى اليهوديـة أن أفضل مكان لدفن اليهودي هو سفوح جبل الزيتون. ويرون أن النبي زكريا مدفون هناك، وكثـير من أوليائهم كانوا ينقلون موتاهم للدفن في هذا الموقع على دعوى أن النبي ﷺ سينفخ يوم البعث ببوقه ليخرج الموتى من قبورهم[٤].

لقـد أشرنا إلى الأحاديث الشيعية التي تروى في تقديس أرض كربلاء التـي دفن فيها الإمام الحسين رضي الله عنه . وتذهب بعض الأحاديث إلى حد أن من

(١) المجلسي. البحار. المجلد ١٣. ص٢٠٠-٢٠٨.
(٢) المجلسي. البحار. المجلد ٧ ص١٤٧.
(٣) المجلسي. بحار الأنوار. في مواضع عدة أحاديث مروية كثيرة بهذا المعنى. انظر: عزاء الحسين في هذا البحث.
(٤) الإنسكلوبيويا اليهودية (جبل الزيتون).

دفـن بجـوار الإمام علي ﷺ فإن محنة عذاب القـبر لا وجود لها، كما يروى عـن الإمام الصـادق أن الدفن بجوار الإمام علي ﷺ يعـادل يومه سبع مئة يوم من العبادة[1].

وكان شيعة إيران منذ القدم يتوقون لدفن موتاهم في النجف؛ واستمر نقـل الجنائز من إيران، واتخذ أهميـة اقتصادية ومهمة تبدأ من النقل إلى الدفـن. وكانت أكـثر اتفاقيات الصفويـين مع العثمانيين تنصـ على حرية الإيرانيين في دفن موتاهم في النجف؛ لما لذلك من أهمية دينية.

وقـد انتقد بعض علماء النجف نقل الجنائـز ودفنهم في النجف، منهم هبـة الديـن الشهرستاني الذي ذهب إلـى حد التشكيـك في صحة الأحاديث المروية في الدفن في الأماكن المقدسة، وذهب إلى أن الرسول ﷺ أمر أصحابه بالدفـن حيثما يمـوت المسلم. وأشـار الشهرستاني نفسه إلـى أن الإمام علي حذر أتباعـه من الاقتداء باليهود ونقل أمواتهـم للدفن في معابدهم. وأوضح قبـح مـا يفعلـه البعض من تأمـين دفن الجنائـز في مكان ثم نقـل الجثة إلى النجـف؛ لما فيها من انتهـاك حرمة الميت. وقد لاقـى الشهرستاني الأذى من أهـل النجف بسبب فتواه هـذه وطرد منها وذهب إلى الهنـد مدة سنتين عاد بعدهما إلى كربلاء. وبهذا فقد إمكانية ترشيحه لأن يصبح مرجعاً أكبر. وقد أنكـر من علماء الشيعة نقـل الجنائز ودفنها في النجف علماء غير هبة الدين الشهرستـاني مثـل السيد محسن الأمين ولكن لم تلـقَ دعواتهم آذانًا مصغية مع الأسف[2]. وهذا يوضح مدى تأثير العامة على العلماء في هذه الحقبة التي

(١) محبوبة. ماضي النجف جـ١ ص١١.

(٢) الطوسي. المبسوط. ج١. ص١٨٧. هبة الدين الشهرستاني. تحريم نقل الجنائز. بغداد. ١٩١١. الآداب. عبدالله النفيسي. دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث. ص٧٩.

فقـدوا فيها قدرتهم على التوجيه ما دفع أكثر علماء الشيعة إلى عدم معاكسة تيار العامة والوقوف ضد عاداتهم الدينية، وإن لم يكن لها سند من الشرع.

٧- فكـرة التثليـث: ذكر الكشي في كتابه "الرجـال" الذي لم يصلنا، وإنمـا وصلنا ما اختاره منـه الطوسي، فأسماه اختيـار معرفة الرجال. قال الكشـي: إن بشـار الشعـيري ادعى، فقال: هـي مقالة العلياويـة يقولون: إن عليًّـا هـرب أي (هرب مـن الربوبية في عالمهـا)، وظهر بالعلويـة الهاشمية وأظهروا به وعبده ورسوله بالمحمدية، فوافق أصحاب أبي الخطاب في أربعة أشـخاص: علي وفاطمة والحسن والحسين ﷺ. وأن معنى فاطمة والحسن والحسين ﷺ الأشخاص الثلاثة تلبيس، والحقيقة شخص علي ﷺ؛ لأنهم الأول في الأمانة، وأنكروا شخص محمد ﷺ وزعموا أن محمداً ﷺ عبد وعليًّا ﷺ رب...

وذكـر الكشي أن الإمام الصادق كان قـد اشتكى من هذا الإنسان[1]؛ لأنه أغوى أصحابه. وقد تبرأ الإمام الصادق من هذه المقالة حينما بلغته.

٨- البـداء: روى الطبري أنـه كان في الكوفة امرأتان ناعطيتان: إحداهما تسمى هند بنت المتكلفة الناعطية والثانية ليلى بنت قمامة المزنية يمنيتان، وكان يجتمـع إليهما غـلاة الشيعة في الكوفة أيام المختار، وقـد قامتا ببث أفكار غلاة الشيعـة مناصرة للمختـار. وكان عبدالله بن نوف قائد سرية المختار في حروراء يـتردد على الناعطيتين، فلمـا انهزم جيش المختار في حـروراء لقي عبدالله بن شريك النهدي عبدالله بن نوف، فقال له: ألم تزعم يا ابن نوف، أننا سنهزمهم؟ قال: أو ما قرأت في كتاب الله: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾

(١) الكشي. الرجال. ص١٩٨-٤٠١، ج٢ ص١٠٤.

فـلا بد أنه قد تلقى مثل هذه الأفكار من تلكمـا الناعطيتين اليمنيتين اللتين ربما كانتـا على دراية باليهوديـة وأفكارها السائدة لـدى عرب اليمن ممن سكـن الكوفة بعد الفتح[1]. وقـد أوضحنا فيما سبق أن فكرة البداء كانت في الفكر اليهودي، قال بها المختار.

وقـد ذكر أن هند الناعطية ادعت النبـوة. وقد رمي الشاعر بشار بن برد بالتناسخ على طريقة ليلى الناعطية[2].

٩- التابـوت والكرسـي: تذكـر الروايـات الإسرائيليـة أن نبـي الله موسى عليه السلام بعد أن تسلم الألواح من ربه، التي فيها تعاليم الرب، قام فوضعها في تابوت؛ للمحافظة عليها من التلف. وقد أشار القرآن الكريم إلى فضل الله علـى بني إسرائيل، وتنزل التابوت الذي فيـه بقية من بني إسرائيل؛ ليضفي عليهـم السكينة والأمان. وقد استعـارت الكيسانية فكرة التابوت واستبدلتها بالكرسـي، فقد ذكر الطبري عن طفيل بن جعدة بـن هبيرة أن جاراً له كان عنده كرسي متسخ قدمه الجار إلى المختار الثقفي على ادعاء أن هذا الكرسي كان عنـد أم جعدة أم هانئ بنت أبي طالب وهي أخت الإمام علي رضي الله عنه. فأخذ المختـار الكرسي وزيَّنه بالديبـاج، وكان يحمله على بغـل في الكوفة، فيطوف بـه على أصحابـه يستسقون به ويستنصـرون أمامه. وكان المختـار إذا قاتل حمـل الكرسي هذا معه؛ طلباً للنصر. فالمختـار لحاجته للنصر في ثورته في الكوفة على الأمويين ركب الصعب، وأدخل على أنصاره بزعمه أن في الكرسي بقيـة مـن الإمـام علي بن أبـي طالب برغم مـا نقل عن شبث بـن ربعي وهو مـن أصحاب علي رضي الله عنه إنكاره على من تدافعـوا على الكرسي يستنصرون به،

(١) الطبري. تاريخ: ج٦. ص١٠٣، حركات الشيعة المتطرفين. د. محمد جابر عبدالعال. ص٣٣.
(٢) فتحي الزغبي. غلاة الشيعة. ص١٢١.

وإبراهيـم بن الأشتر قائد المختار ذكر عنه قوله: (اللهم، لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا)[1] وقد أنكر الشاعر أعشى همدان عليهم قائلاً:

شـــهدت عليكم أنكم سـبئية وأني بكم يا شرطة الكفر عارف

وأقسـم ما كرسيكم بسـكينة وإن كان قد لفت عليه اللفائف[2]

١٠- استعارة معجزات نبي الله عيسى عليه السلام: إن القارئ لكتب الحديث عند الشيعة والمتعلقة بمعجزات الإمام علي رضي الله عنه والحسين وفاطمة رضي الله عنهما يشاهد استعارة صريحة لما نسب من المعجزات لنبي الله عيسى عليه السلام في حال مولده وفي حـال قتله، يذكر منها للإمام علي رضي الله عنه ومنها كثير للإمام الحسين رضي الله عنه، أمـا معجزات فاطمة رضي الله عنها فقـد استعيرت جميع معجزات مريم عليها السلام وذكرت لفاطمة رضي الله عنها.

كمـا استعيرت معجزات مولـد نبي الله عيسى عليه السلام إلـى مولد الإمام الثاني عشر.

معجزات الإمام علي رضي الله عنه ومشابهتها لتلك المذكورة لعيسى عليه السلام:

مـن معجزات نبي الله عيسى عليه السلام التي ذكرها القرآن الكريم: إحياء الموتـى وإبراء الأعمـى والأبرص بإذن الله. وقد نسبـت للإمام علي رضي الله عنه أنه أحيـا ميتاً مـن بني مخزوم خرج من قـبره يتكلم بلسان الفرس. ونسب له أيضًـا أنه أحيا ميتاً لأجـل أن يتحقق أهله، ويسألون مـن قتله[3]. ومثل هذا كثـير نسب لعلي رضي الله عنه وإلى الأئمة. وذكر الكليني أن الأئمة قادرون على إحياء

(١) الطبري، تاريخ، جـ٦، ص ٨٣.
(٢) الجاحظ، الحيوان، جـ٢، ص ٣٥٢.
(٣) الكليني. الكافي. ج١. ص٤٨٤.

الموتى وإبراء الأكمه والأبرص[1]. وتذكر روايات كثيرة أن الأئمة يعلمون الغيب، وأخرى تقول: إنهم لو شاؤوا أن يعلموا الغيب لعلموه[2].

وقد جمع دونالدسون معجزات كثيرة لعلي رضي الله عنه والأئمة تشابه تلك المذكورة لعيسى عليه السلام تماماً خاصة إحياء الموتى [3].

وقد ادعت فرق الشيعة المغالية إحياء الموتى من قبل أئمتها، فقالت فرقة البيانية: إن ابن الحنفية يحيي الموتى [4]....

كل ذلك وهم يتلون كتاب الله القائل بكل وضوح:

﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾.

- معجزات فاطمة، وتلك المذكورة لمريم:

في كتاب بحار الأنوار للمجلسي نُقُولٌ من مصادر عدة قديمة لأحاديث مروية عن الأئمة في شأن معجزات منسوبة لفاطمة عليها السلام، وتلك المعجزات نجدها بعينها كتلك المنسوبة لمريم ابنة عمران في المصادر النصرانية.

- معجزات الحسين، وتلك المذكورة لعيسى:

ينقل المجلسي عن كتاب (ير= بصائر الدرجات) رواية تفيد أن حبابة الوالبية شكت للحسين رضي الله عنه العمى في عينيها، فتفل الحسين رضي الله عنه في عينيها فأبصرت[5]. وقد أشار القرآن الكريم إلى معجزة نبي الله عيسى عليه السلام: ﴿وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ﴾.

(١) المصدر السابق.
(٢) الطبرسي. الاحتجاج. ج١. ص٣٥٦.
(٣) دونالدسون. عقيدة الشيعة. ص٨٠.
(٤) الأشعري. مقالات. ص٣٨.
(٥) المجلسي. البحار. المجلد.١٠. ص١٤١ وما بعدها.

ونقل أيضاً رواية عن كتاب (يج = الخرائج) أن امرأة أرادت أن توصي للإمام الحسين ﷺ وبحضوره ولكنها توفيت، فلما حضر الحسين وقف على بابها وناداها، فقامت (من الموت).... ثم قال لها: أوصي. فأوصت ثم ماتت[1].

وذكر رواية تفيد أن الحسين ﷺ كان يعلم أمورًا غيبية، فقد دخل عليه أعرابي فقال له الحسين: أما تستحي أن تدخل على إمامك وأنت جنب؟

وذكر أيضًا (عن يج): أن رجلين اختصما على طفل رضيع أمام الحسين ﷺ فنطق الطفل مشيراً إلى أبيه الحقيقي.[2] وقد ذكر القرآن الكريم معجزة عيسى: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

وذكر المجلسي روايات تفيد أنه بعد استشهاد الحسين ﷺ بكت السماء والأرض عليه وانكسفت الشمس وانخسف القمر. وبكته كل البلاد ما عدا البصرة (كانت البصرة عثمانية) ودمشق وآل الحكم بن أبي العاص أو آل عثمان بن عفان. وبكت الوحوش والحيتان والطيور ومؤمن الإنس والجن وجميع ملائكة السماء والأرض[3].

ونقل المجلسي رواية عن نضرة الأزدية قالت لما قتل الحسين ﷺ: أمطرت السماء دماً، وجرارنا صارت مملوءة دماً..... ورواية أخرى تذكر أنه لما قتل الحسين ﷺ ضجت الملائكة إلى الله بالنحيب، وهبطوا يريدون نصرته، ولكن لم يؤذن لهم[4].

(١) المجلسي. البحار. المجلد.١٠. ص١٤١-١٤٢.
(٢) المجلسي. البحار. المجلد.١٠، ص١٤٢.
(٣) المجلسي. البحار. المجلد.١٠، ص٢٤٤- وما بعدها.
(٤) المجلسي. البحار. المجلد.١٠، ص ٢٢٨-١٢٩.

كما ذكر المجلسي ما قيل من مراثٍ وأشعار في مقتله، والعلة التي من أجلها أخر الله الانتقام من قاتل الحسين ﷺ أن الله ينتقم منه في زمن ظهور الإمام القائم[1].

ذكر المجلسي أيضًا رواية تفيد أن الحسين ولدته فاطمة، ولم يمكث في رحم أمه إلا ستة أشهر، كما هو الأمر في عيسى ابن مريم[2].

وذكر رواية (عن كا = الكافي) تفيد أنه لما ولد الحسين ﷺ أمر الله خازن النار أن يطفئها كرامة لمولود آل محمد، وأمر رضوان أن يزخرف الجنان، وأمر الحور العين أن يتزين، وأوحى الله إلى الملائكة: أن قوموا صفوفًا للتسبيح والتحميد. وأوحى الله إلى جبريل أن اهبط... وهنئوا آل محمد ﷺ.

وهذه نصوص تقارب ما ذكر في الأناجيل عند مولد المسيح عليه السلام من فرحة الطيور وتسبيح الملائكة و....

وذكر رواية تقول: إن الله سبحانه كان قد غضب على أحد الملائكة، فجرده من ريشه، وألقاه في جزيرة، فلما ولد الحسين ﷺ شفع فيه الحسين عند ربه، فرده الله إلى مكانه مع الملائكة المقربين.

ونقل المجلسي من تفسير العياشي كما يبدو أن الله خيَّر الرسول ﷺ إما أن يميت إبراهيم (ابن الرسول ﷺ) أو (يميت الحسين) فاختار ﷺ إماتة إبراهيم فداءً للحسين؛ لأن إبراهيم أمه أمة إذا مات لم يحزن عليه إلا محمد ﷺ بخلاف الحسين.

---

(١) المجلسي. البحار. المجلد.١٠، ص٢٥٦-٢٦٧

(٢) المجلسي. البحار. المجلد.١٠، ص٦٩.

وذكر أن الحسن والحسين ﷺ مكانهما يوم القيامة ما بين عرش الرحمن أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره[1].

١١- معجزات الإمام الثاني عشر عند مولده، وتلك التي قيلت بمولد عيسى: نقل المجلسي عن كتاب (كا) رواية تفيد أن الإمام الحجة بعد أن ولدته أمه تكلم، فشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ثم صلى على أمير المؤمنين والأئمة جميعاً، ثم سلم على أمه، ثم تلا الآية: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾

ونقل المجلسي عن (ك = لكمال الدين) أن فلانًا دخل على القائم بعد مولده بليلة فعطس عنده فرد عليه القائم (الطفل) يرحمك الله.

وذكر المجلسي نقلاً عن كتاب (ك): أن فلانة (هكذا) شاهدت طيوراً تمسح بأجنحتها القائم بعد مولده، فقالت لأبيه: ما شاهدته؟ فقال: هم الملائكة نزلت تتبرك به[2]. وهذه استعارة صريحة لما عند النصارى في كتبهم عن معجزات الطفل المسيح وأمه.

ونقل المجلسي رواية عن كتاب (غط= الغيبة للشيخ الطوسي) أن الإمام الحسن العسكري (الإمام الحادي عشر) أرسل أحد خدمه ليبتاع له جارية صفتها كذا وكذا وكتب له كتابًا باللغة الرومية؛ ليعطيه إياها ففعل ذلك، وتبين له من كلامها أنها بنت ملك الروم، وأنها وقعت في الأسر، وأنها كانت قد حلمت حلمًا بأن المسيح عليه السلام قد زوجها من أبي محمد الحسن العسكري، فلما

(١) المجلسي. البحار. المجلد١٠، ص٧٣-٨٨.

(٢) المجلسي. البحار. المجلد.١٠. ص ب- ج. الصفحات الأولى من ١-٣ لم ترقم إنما بدأ الترقيم بعدها.

قـدم الخادم بها للإمام خيرها الإمام بين مبلغ من المال أو بشارة يقولها لها، فاختارت البشارة، فقال لها: (أبشري بولد يملك الدنيا.... فهو القائم)[1].

أثر عقائد الصابئة (المندائيين) على اليهود والشيعة:

يسكـن الصابئة جنـوب العراق على ضفاف الأنهـار، وخاصة في قلعة صالـح قرب العمارة. وقد تأثرت بعض تعاليم الشيعة الإمامية ببعض عقائد الصابئة منذ القديم. وتعاليم الصابئة نفسها قد ورثوها من العقائد القديمة في العـراق وفارس، وما عنـد النصارى حيث يدعي الصابئة أن نبيهم يحيى من أنبياء النصارى.

أكـثر تأثر الشيعـة، وربما غيرهم من الفرق الساكنـة في العراق كان بالعقائـد المتصلة بالكواكب. يرى الصابئة أن كل يوم من أيام السنة يتحكم فيـه كوكب كمـا يتحكم الملائكة المعنيـون بذلك. فيوم الأحد، وهـو أول أيام الخليقـة تتحكـم فيه الشمـس يرتبط أيضـاً بتجسيـد (هبشبـة) أول أيام الأسبوع، وهو ملك يطابق أحياناً بالأرواح المنقذة.

كمـا تقسم ساعات اليوم إلى ساعات نحس وساعات سعد يوم الجمعة وليلته وقت نحس.....

الشمس كوكب ودود، ولكن القمر ذو تأثير منحوس. والزهرة أكثر ودًّا ومارس هو رب السحاب والرعد. وعطارد رب الكتابة والكتب ورب الحكمة.

إذا سقـط الصابئي مريضاً في الحـادي والعشرين من أي شهر فأمله في الشفـاء قليل؛ لأن ذلـك يوم يتحكم فيه الجن... وكذلـك اليوم الخامس

(١) المصدر السابق. المجلد ١٠. ص١.

والعشرون والأفضل ألا يغادر منزله. القمر يُعدّ مسؤولاً عن حالات الإجهاض والعاهات التي تصيب الناس[1].

إن هنـاك ساعات نحس يجب على الزوج ألا يقرب زوجته ورجل الدين (الكنزفـرة) هو الـذي يكشف طالع الزوجـين.... والكاهن هـو الذي يخبر باليوم السعيد لعقد الزواج أو وقت إرسال الوليد للدرس أو التهيؤ للسفر أو...

الحائضـ نجسة. ويرى الفرس القدمـاء أن الحيض عند المرأة أو أي نزف عند الرجل إنما هو نجس، والذي يمسه يتنجس. وكان في إيران القديمة بجانـب بيت النار مـكان اسمه (داستانستان) أي بيـت للنساء الحائضات، وذلـك لعزلهن وألا يمسسن أي شيء؛ كي لا يتنجس. وعلى الحائض ألا تأكل إلا في أوانٍ معدنية؛ لأن الفخارية يصعب تطهيرها بعد الحائض.

وعلى الحائض لبس القفازات. وحالما تقترب المرأة من الحيض فعليها:

تغيير ملابسها.

أن تبحث عن مكان منعزل، فلا ترى ماء ولا ناراً ولا رجلاً مقدسًا، ولا تنظر إلى الشمس، ولا القمر، ولا إلى السماء، والأشجار.

أن تأكل بملعقة أو بقفازين.

أن تعتـزل النـاس من ٣-٩ أيـام بعدها لا بد من غمس نفسها بالماء. ويلزم استحمام الرجل والمرأة بعد الجماع.

---

(١) الليدي دراور. الصابئة المندائيون. ج١. ص١٣٥-١٤٣. مطبعة الإرشاد. بغداد. ١٩٦٩م. ترجمة نعيم بدوي وغضبان رومي.

وبعد الوفاة يصنع طعام يؤكل على روح الميت يسمى (اللفاني)، وهذا مما يساعد روح الميت على اجتياز العقبات في أثناء خروجها إلى عالم النور. ويؤكل اللفاني أيضًا بعد اليوم الخامس والأربعين (الأربعينية)، وهذه العادة موجودة لدى الفرس القدماء غير أنها واجبة بعد ثلاثين يوماً من الموت. وقد أخذ اليهود هذه العادة ونصوا في التلمود على وجوب إعداد الطعام على روح الميت بعد ثلاثين يوماً من وفاته.

كما للصابئة عادة توزيع الخبز على روح الميت أو أكل الخبز.

شجر الآس عند الصابئة شجر مقدس، ويجب إحضار الآس عند الموت أو الزواج[1].

وعقائد الصابئة هذه تبدو مزيجًا من عقائد الفرس القدماء وعقائد الحضارات السومرية والبابلية في العراق القديم، التي أدخل اليهود كثيراً منها حين تدوين التلمود في بابل.

ما ورد عند الشيعة الإمامية من أحاديث لها شبه لما عند الصابئة واليهود:

أورد المجلسي في كتابه بحار الأنوار أحاديث كثيرة عن الأئمة، مضمونها أن يوم الأربعاء هو يوم نحس يتطير منه لأسباب مختلفة ذكرتها تلك الأحاديث، منها: أن يوم الأربعاء هو اليوم الذي قتل فيه قابيل أخاه هابيل، وفيه ألقي نبي الله إبراهيم عليه السلام في النار، وفيه أغرق الله فرعون، وفيه أدخل نبي الله يوسف السجن[2].

(١) المصدر السابق. ج١. ص٢٨٠-٣١٧.
(٢) المجلسي. البحار. المجلد١٤. ص١٩٥.

ونقل المجلسي أن الشيخ الصدوق (ابن بابويه القمي) نهى عن السفر يوم الأربعاء أو الاحتجام فيه.

ويسوق المجلسي حديثاً عن الإمام علي رضي الله عنه أنه إذا أراد أحدكم أن يأتي أهله فليتقِ أول الأهلة وأنصاف الشهور، فإن الشيطان يطلب الولد فيها[1].

ويذكر المجلسي أن يوم الحادي والعشرين من كل شهر يوم نحس، وذكر أن الفرس ترى أنه يوم جيد، وفي رواية أنه يصلح لإهراق الدم.. ولا تطلب منه حاجة. وذكر رواية حديث عن الأئمة أن هذا اليوم لا تطلب فيه حاجة، وتكره فيه سائر الأعمال[2].

وذكر المجلسي روايات عن اليوم السادس والعشرين، وأنه يصلح لكل شيء ما عدا الزواج (فمن تزوج فيه فرق الله بينهما، كما فرق الله لموسى البحر)[3].

وذكر المجلسي في بحاره في المجلد الرابع عشر من ص١٩١ وحتى ص٢٠٨ روايات تكلم فيها عن نحس الأيام وسعادتها. ثم ذكر النيروز، وقال: إنه أول يوم طلعت فيه الشمس، وفيه نزل جبريل على النبي محمد ﷺ و...

وإذا قرأت أي كتاب من كتب الشيعة الإمامية وخاصة القديمة تجد تفاصيل عن أيام النحس والسعد. أورد الشيخ المفيد في كتابه الاختصاص جملة أحاديث عن الأئمة، مفادها: أن الجماع يكره عند الفجر وعند المغيب وعند الكسوف والخسوف وعند اشتداد الريح الحمراء والصفراء والسوداء. ثم أورد حديثاً عن الرسول ﷺ أنه لم يجامع في ليلة انكسف فيها القمر[4].

(١) المجلسي. البحار. المجلد١٤. ص١٩٦-١٩٨.
(٢) المجلسي. البحار. المجلد١٤. ص٢٠٣.
(٣) المجلسي. البحار. المجلد١٤. ص١٠٦.
(٤) المفيد. الاختصاص. ص٢١٣.

وتعقـد كتب فقه الشيعة الإمامية في باب الـزواج فصلاً للأوقات التي يكره فيها الزواج، فمثلاً في كتـاب العروة الوثقى للطبطبائي وشرحه للسيد الحكيم المسمى المستمسك أورد فيه جملة من الأوقات التي يكره فيها الزواج، ومعاشرة الزوجة.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الثالث

العنصرية والتمييز

أ- قصر العنصر السامي على اليهود

جاء في سفر التكوين (٩، ١٨، ١٩) أن بني نوح الذين خرجوا من الفلك، هم سام وحام ويافث، ويعدون ساميًا هو أب الكهنة، ورجال الدين، بينما حام هو أب الرقيق، ويافث أب للسادة[١].

والهوية اليهودية تثير أشكالاً بين الباحثين في العصر الحديث، فإذا كانت اليهودية مجرد دين فقط، فيصح أن يكون من بين اليهود، الأبيض والأسود والسامي والآري والشرقي والغربي و... وهكذا أصبح لدينا تعريف ديني لليهود، (وهو من خرج من رحم يهودية) في رأي رجال دينهم، فالسامريون في فلسطين يعدون أنفسهم فقط هم اليهود المعنيون في الأسفار السنة فقط، وما عداها فمن زيادات الفرق المدعية باليهودية، في حين نشأت تعريفات قومية لليهودي وأخرى صهيونية لخدمة الأغراض السياسية ولدولة إسرائيل[٢].

وذهبت فرقة القبالين من اليهود إلى التمييز بين اليهودي وغيره إلى الادعاء بأن: (اليهود خلقوا من طينة مختلفة، عن تلك التي خلق منها بقية البشر)[٣].

---

(١) محمد يونس هاشم: الدين والسياسة والنبوة، ص١٣٣، دمشق ٢٠١٠م، دار الكتاب العربي.
(٢) عبدالوهاب المسيري: موسوعة اليهود، المجلد الأول، ص٩٠ - ١٠٥، دار الشروق.
(٣) المصدر السابق: عبدالوهاب المسيري، ص٤١، ص٥٦.

obeikandl.com

ب- خلاص الرب لليهود من ذنوبهم

تنص التوراة في كتاب أشعيا (١١/١١ - ١٢) على بشرى لليهود واجتماعهم، بعد شتات في أرض الميعاد، حيث سيحكمون بالعدل والسلام، وأن من سيظهر للحكم بالعدل، هو من سلالة داود عليه السلام، وأن الرب سيخلصهم أخيرًا من جميع شرورهم، وقد ورد في زكريا (٨): (كنتم لعنة يا أبناء يهوذا وإسرائيل، فأتني أخلصكم فتصبحون بركة)، وهذا الخلاص الذي ورد عن طريق الأنبياء أشعيا وزكريا وغيرهم، إنما كانت تخص رجوع المسبيين من بابل إلى فلسطين، لنخلصهم من الاضطهاد والاستبعاد، وقد تحقق هذا الخلاص على يد الملك الفارسي كورش، كما هو معروف، ولكن رجال الدين اليهودي يحرفون نصوص الأنبياء هذه، لتعم جميع اليهود في شتات الأرض، وهو أمر قد درجوا عليه، وأشار إليه القرآن الكريم: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ (النساء: ٤٦)، وقد استغلت الصهيونية هذا التحريف، وزادت عليه بقصد حث اليهود على العودة إلى فلسطين[١].

جـ- إن الله قد اختارنا من بين خلقه وسيثأر لنا

ورد في التوراة حث لليهودي على الصلاة والدعاء المخصوص، وذلك كما يقول البعض (.. لكي تكثر أيامك وأيام أولادك على الأرض، التي أقسم الرب لآبائك أن يعطيهم إياها طيلة أيام السماء والأرض)، (انظر التوراة سفر التثنية ١١/ ١٣ - ٢١).

(١) محمد يونس هاشم: المصدر السابق، ص٥٥، وما بعدها.

وفي الصلاة اليهودية أدعية كثيرة، تطلب من الرب أن يعجل لهم بالفرج؛ لأنه قد اختارهم من بين خلقه، ووعدهم بالنصر، وفي جزء آخر من الصلاة، يشكر اليهودي الرب على (... وأيدتهم في خصومتهم، وحكمت حكمهم، وثأرت انتقامًا لهم، سلمت الجبابرة بيد المستضعفين و...).

القاعدة عند اليهود، تقضي بحق الابن البكر في الميراث، ثم عدلت إلى أن يكون له سهمان، وكما كان إسماعيل هو الابن البكر لإبراهيم، لكنهم عدلوا عن ذلك باجتهاد أن إسماعيل ولد الأمة المصرية، لا ينطبق عليه اختيار الرب لشعب إسرائيل من نسل إسحاق[1].

وفرقة اليهود القريزيون يعدون أنفسهم هم العلماء الأتقياء، وأن الآخرين (من عامة الأرض)، أي عوام الأرض[2]، وقد ورد في سفر التثنية: (لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك، إياك قد اختارك الرب لتكون له شعب أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض) (الإصحاح ٧/ ٦).

وقد ورد في التلمود: أن أرواح اليهود قد تحررت من الله مباشرة، لا من آدم.

وفي التوراة أن الرب خاطب النبي داود: (... لأن الرب خاطب إسرائيل إلى الأبد، جعلك ملكًا لتجري حكمًا وبرًا) (الإصحاح ٩/١٠)، وادعى اليهود أن الله قد سخط على جميع الأمم عدا إسرائيل التي أحبها وحدها: (... لأن الرب قد سخط على جميع الأمم...) (الإصحاح ١/٣٤ - ٣)، وأمرت التوراة اليهود بألا يشفقوا بهذه الأمم، ولا يقطعوا لهم عهدًا (الإصحاح ٧/ ١ - ٢)، وطلب

(١) المصدر السابق: ص١٩٧.
(٢) المصدر السابق: ص٢١٠.

نصـ التـوراة من اليهود ألا يدخـل في دينهم غير بنـي إسرائيل (الإصحاح ٢٣/ ١ - ٣)، وشجع اليهود على الاستيلاء على أموال خصومهم ومخالفيهم مـن المسيحيين وغيرهم، فأموالهم كالرمـل في الصحراء، أو كالماء بالبحر، قـد يعـبرون عن ذلـك، وتحرم التـوراة استعبـاد اليهودي لأخيـه اليهودي، أمـا الآخرون فهو جائـز، لأن الأمم الأخرى إنما خلقت عبيـدًا وخدمًا لبني إسرائيل (الإصحاح ٣٩/٢٥ - ٤٦)، ولأنهم يهود قد اختارهم الله فإنهم لن يعذبهم الرب، حتى إن أذنبوا بل سيغفر لهم، لأنهم أبناؤه وأحباؤه (المزمور ١/٨٥ - ٢)، كما ادعى اليهود أن الجنة لا يدخلها إلا اليهود الصالحون، قد حكى القرآن الكريم هذه الدعاوى[١].

اختيار الخالق للشيعة

يدعـي الشيعة الإماميـة أن الله قد اختارهم من بين خلقه، بل من بين بقية المسلمين، ذلك أن بني آدم خلقوا من الطين، ولكن أرواح الشيعة والأئمة خلقوا قبل أبدانهم من نور معلق تحت العرش قبل خلق آدم[٢].

ولأن أمـر الشيعة وعقائدهـم، كما نقل في الأحاديث: (إن أمرنا صعب مستصعـب)، أي من الصعوبـة أن يؤمن به الإنسان، سـوي العقل؛ لذا فقد اختـار الله الشيعة فقط لهذا الأمـر؛ كي يحملوه ويؤمنوا به، فهو صعب حتى علـى (الملك المقـرب، أو النبـي المرسل)، ولكـن الشيعة قبلـوه؛ لأن الله قد خلقهم من طينة مختلفة عن الآخرين[٣].

---

(١) عبدالوهاب المسيري: الموسوعة اليهودية، المجلد١، ص٥٦، دار الشروق. ومجلد٢، ص٢٦.
(٢) الكليني، الكافي: الأصول، ص٢٦١.
(٣) الكليني، الكافي: الأصول، ص٢٣٨ - ٢٣٩.

وتصنـف أحاديث الشيعـة خصومهم، وتصفهـم بأوصاف سيئة، فما يبقى عليها إلا هم الصفوة.

يـروي الكليني عـن سليمان بن خالد عن الصادق قولـه: (أهل الشام شـر من أهل الروم، وأهـل المدينة شر من أهل مكة، وأهل مكة يكفرون بالله جهـرة)[1]، ويعلـل حديـث آخر مـا سلف، بأن أهـل الروم كفـروا، ولكن لم يعادوهم كأهل الشام.

أورد علي بن إبراهيم القمي في تفسيره للقرآن في معرض الآية: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ (النـور: ٣٦)، عـن الإمـام الرضـا: (... نحـن أبنـاء الله في أرضـه، عندنا علـم المنايا والبلايـا... وإن شيعتنا لمكتوبـون بأسمائهـم... ليـس علـى ملـة الإسلام غيرنـا وغيرهـم إلى يوم القيامة...)[2].

وادعاء اختيار الشيعة من قبل الله ليس في الدنيا وإنما أيضًا في الجنة، ففي حديث طويل ينسبه الطوسي في أماليه، أنه يوم القيامة يسأل الداخلون في الجنة: من أنتم؟ فيجيبون: نحن العلويون، فيدخلون مع من يوالون[3].

(١) الكليني، الكافي: الأصول، ص٥٣٨.
(٢) القمي: تفسير، جـ٢، ص٨٠.
(٣) محمد بن الحسن الطوسي: الأمالي، ص٣٢، بيروت ١٩٨١م.

obeikandl.com

الفصل الرابع

آل موسى وآل محمد وعلي

وصية النبي موسى ليوشع بن نون بعده

ورد في التوراة: أن الرب طلب من موسى أن يوصي بيوشع، أن يكون بعده راعيًا لبني إسرائيل: (... ففعل موسى كما أمره الرب، أخذ يوشع وأوقفه قدام العازار الكاهن، وقدام كل الجماعة، ووضع يده عليه، وأوصاه كما تكلم الرب عن يد موسى)، (الإصحاح ٢٧/ ١٥ - ٢٣).

وتشير نصوص التوراة إلى حصر الملك عند بني إسرائيل، بنسل النبي داود، متعلقين بأيام الرخاء والسيادة التي مرت عليهم، في مملكة داود، وابنه سليمان عليهما السلام. جاء في سفر إرميا: (لأنه هكذا قال الرب: لا ينقطع لداود إنسان يجلس على الكرسي بني إسرائيل)، (انظر الإصحاح ٣١/ ١٧).

وجاء في سفر الملوك الأول: (ويكون لداود ونسله وبيته وكرسيه سلام إلى الأبد من عند الرب) (الإصحاح ٢/ ٣٣)، (وانظر كذلك المزامير ٨٩/ ٢٠ - ٣٦).

فالملك عندهم أصله وصية نصية، ثم هو محصور في بيت واحد، ونسل واحد فقط، كما تشير النصوص. وقد تعلق اليهود ببناء هيكل سليمان، الذي دمره نبوخذ نصر، ويرون أن تابوتًا كان قد وضعه سليمان في الهيكل لتقديسه، وأضحى الإسرائيليون يحملون هذا التابوت في حروبهم؛ لاعتقادهم أنه يجلب لهم النصر على عدوهم (انظر سفر صموئيل الأول ٤/ ١ - ٧).

وصية الرسول محمد ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه

يـرى الشيعة أن لكل نبي وصيًّا، فكما أن موسى قد أوصى ليوشع بن نون أن يأتـي بعـده، كذلك الرسول محمـد ﷺ، أوصى ونص علـى أن يخلفه علي ابن أبي طالب، وادعوا أن ذلك تم في غدير خم (من كنت مولاه فعلي مولاه). واحتجاج الشيعة بهـذا الأمر مشهور ومبسوط، لا حاجة للاستغراق فيه، لكن يصل بهم الحد للاحتجاج أن الله سبحانه وتعالى لم يكتب للرسول محمد ﷺ أن يخلفه ولد، وذلك لحكمة، مجيء وصية علي بن أبي طالب بعده[1].

الأسباط عند اليهود

السبط هو ولد الولد، واستعملت في المصادر القديمة التي تحكي تاريخ الإسرائيلـين بمعنـى القبائل، وفي تـراث اليهودي أن العز والقـدرة والنباهة والنبـوة، انحصـرت في ولد يعقوب بـن إسحـاق الأربعة، وهـم لاوي ويهودا ويوسف وبنيامين، والباقون من ولد يعقوب أصبحوا أسباطًا بهؤلاء، وقد أشار القرآن الكريم إلى أسباط بني إسرائيل عدة مرات قاصدًا المعاني أعلاها[2].

الأسباط عند الشيعة

قيـل: إن أول مـن جاء بفكرة الأسباط الأربعـة هو عبدالله بن حرب، حيـث هو الذي وصف أبنـاء الإمام علي بن أبي طالب بأنهـم أسباط، فكما أن أبنـاء يعقوب أصبحوا أسباطًا، للصفات المذكورة فيهم، فإن أبناء الإمام علي الحسن والحسين ومحمد ابن الحنفية، هؤلاء الثلاثة مع أبيهم علي هم

(١) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، جـ١، ص١٥٨.
(٢) علي النشار: نشأة الفكر الفلسفي، جـ٢، ص٨١.

أسباط أربعة، ويشرح سعد القمي في كتابه المقالات والفرق، وهو من مصادر الشيعة الموثقة، أن أولاد يهودا (السبط الأول)، هم النبي داود وسليمان، ولاوي (السبط الثاني)، فأولاده موسى وهارون وعزير وحزقيال أما يوسف (السبط الثالث)، فأولاده يوشع بن نون، وهو وصي موسى، أما السبط الرابع يامين فأولاده طالوت[1].

٣ - فكرة المسيح المخلص (والمنتظر) عند اليهود

بسبب الاضطهاد الذي تعرض له اليهود قديمًا في مصر على يد الفراعنة وفي وادي الرافدين، على يد نبوخذ نصر، وفي فلسطين، على يد الكنعانيين، خصومهم التقليديين، حاول شراح اليهود ورجال دينهم تأويل بعض نصوص التوراة، بأنهم ينتظرون أن يأتيهم مسيح مخلص من جميع تلك الآلام ويجمعهم بعد شتات.

يذكر في التكوين (٤٩/ ١٠)، (لا يزال صولجان من يهوذا ومشترع سلالته حتى يأتي (شيلو) وتطيعه الشعوب)، وفي (العدد ٢٤/ ١٧): «إنني أراه وليس حاضرًا أبصره، وليس قريبًا يبرز ككوكب من يعقوب، ويقوم صولجان من إسرائيل، فيحطم طرفي مؤاب ويخسف كل أبناء الغرور).

وقد أضفى شراح اليهود على النبي إلياهو المذكور عندهم، صفات تقربه من ادعائهم بأنه هو المخلص، وهو المسمى عند المسلمين بإلياس، (انظر الملوك الأول ١٦/ ٢٩ - ٣٣) وفي (أشعيا ٩/ ٦ و٧)، نص صريح واضح، سيأتي لهم ابن مخلص يكون رئيسًا يعم به السلام، وعندها كما يقول النص يرعى الذئب والنمر مع العجل و...

(١) سعد القمي: المقالات والفرق، ص٢٧ - ٣٠.

وفي هـذا الجو كما يصور النص أن يمتنـع الأسد من الافتراس ويأكل التين (انظر سفر إلياهو ٦٥).

وقـد ظهـر بين اليهود إبـان الحكم الرومـاني أدعياء كـثر، قالوا: إنه المسيـح المنتظر، ولكـن الجيش الروماني قتلهم وأتباعهـم، واستمر الادعاء بمـن ينسب نفسه للمسيـح المنتظر الذي وعد به اليهـود حتى في ظل الدولة الإسلامية، ففي عهد عبدالملك بن مروان سنة ٦٨٥م، ظهر رجل في أصفهان اسمـه عويدا، ادعـى أنه المسيح المنتظر، وفي عهد عمـر بن عبدالعزيز سنة ٧١٧م، ظهـر في سوريـا سورينوس، ادعى أنه المسيح المنتظر في كتب اليهود، وعـزي ظهـوره إلى الحرية الدينيـة في عهد هذا الخليفة العـادل، وقد ظهر أدعيـاء بأنهم المسيح المنتظر بين اليهود في عهـود وبلاد مختلفة من العهود الصليبية، إلى بلاد المغرب وفارس والعراق[1].

معركة هر مجدوم ونزول المسيح

لقـد تأثر المسيحيـون البروستانت بدعوى اليهـود الخاصة بالمخلص، وظهـوره آخر الزمان، وأضافوا إليها بأن المخلص هذا سيكون المسيح نفسه، ولكـن قبل نزول المسيح لا بد مـن حصول مقدمات فيما يـرون، منها إقامة دولـة إسرائيل لتجمع اليهود مـن الشتات، ثم وقوع معركـة فاصلة بين قوى الخير والشر (هر مجـدوم). حيث يتم في النهاية تنصير اليهود أو القضاء علـى من يرفض ذلك، وقـد استخدم البروستانت قـراءة مغلوطة ومحرفة للإنجيـل جمعوا بينهـا وبين نص التوراة المحرف هو الآخـر أيضًا، وهذا في رأيهم كله تمهيد لظهور المخلص، فالمخلص لا يظهر فجأة[2].

(١) انظر في تفصيل ذلك حسن ظاظا: المصدر السابق: ص١١٧، وما بعدها.
(٢) محمد يونس: المصدر السابق: ص١٩٣، وما بعدها.

الإمام المنتظر عند الشيعة

لقد عالجنا دعـوى الشيعة المتعلقة بنسبة الإمـام الثاني عشر المدعى بـه محمد بن الحسن العسكري، واختفائه وهو طفل في سرداب في سامراء، وذلك في كتابنا جذور التشيع.

وقـد ادعى الشيعـة الإمامية أن الإمام المنتظـر سيظهر ويملأ الأرض عدلاً وحكمة، وسينتقم من أعدائه وأعداء آبائه، وادعوا أن ظهوره منصوص عليه ولا يشيرون إليه بالاسم، وإنما يشار إليه بعدة صفات: صاحب الزمان، صاحب الدار، المنتظر، الإمام الغائب...

فقـد وردت أحاديث عندهم بالنهـي عن الاسم، وفصلوا في حال غيبة الإمـام، وذكروا كراهية القول بتوقيت ظهـوره، وأن غيبته إنما هي تمحيص وامتحان للمؤمنين[1].

وحينما يظهر الإمام الغائب، فإنه سيحكم بشريعة سليمان وداود.

وفي تفسير القمي للآية: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ﴾ (النمل: ٦٢)، عن الصادق أنها نزلت في القائم من آل محمد[2]، وهو عندهم المهدي المنتظر.

وهنـاك تفاصيـل كثـيرة تسردها كتـب الشيعة، حول خـروج المهدي، ومـا سيفعل بالعرب خاصة بمكة، وسينتقم مـن جميع أعداء الشيعة، الذين سيرجعـون للحياة لهذا الغرض قبل يوم القيامـة، وسيحكم المهدي بشريعة داود، وينفذ حكمه دون طلب البينة، كما ينقل ذلك الشيخ المفيد[3].

(١) انظر هذه التفاصيل في كتاب الكافي (الأصول) الكليني، ص١٢٠ - ٢٢٠.
(٢) القمي: تفسير، جـ٢، ص١٠٥.
(٣) المفيد: محمد بن محمد النعمان: الإرشاد، ص٣٦٥، بيروت ١٩٨٩م.

الإمـام الغائـب يرون أنـه الإمـام الثاني عشـر، وهو محمد بـن الحسن العسكري (نسبة إلى عسكر سامراء) وأنه ولد بسامراء سنة ٢٥٦هـ وقيل ٢٥٥هـ، وغاب بسرداب في سامراء وعمره في روايات مختلفة بين أربع سنوات إلى إحدى عشرة سنة، وأكثر الروايات أنه غاب سنة ٢٦٠هـ وهي سنة وفاة والده.

والروايـات التـي ذكرها المجلسي في كتابه بحـار الأنوار نقلاً عن كتب قديمـة تذكر أن أم الإمام المهدي اسمهـا نرجس وهي جارية رومية[١]. ونقل من كتاب (غظ) رواية خرافية مفادها أن الإمام أبا محمد الحسن العسكري أرسـل أحد خدمه من سامراء إلى بغداد؛ ليبتاع لـه جارية كذا وكذا، وكتب له كتاباً باللغة الرومية؛ ليعطيه إياها ففعل ذلك وتبين له من قولها أنها بنت ملك الروم، وأنها وقعت في الأسر، وأنها كانت قد حلمت حلماً أن المسيح ابن مـريم قد زوجهـا من أبي محمد الحسـن العسكري، فلما قـدم بها سامراء وسلمهـا لأبي محمـد قال لها أبو محمد: هـل تريدين كذا دينـار أم بشارة، فقالت: بل بشارة بولد، فقال لها: أبشري بولد يملك الدنيا فهي أم المهدي[٢]. وتنهى الروايات المدونة عن ذكر اسم الإمام الثاني عشر صريحاً كذا: محمد بـن الحسن، بل يجب أن يدعى: بالحجة من آل محمد أو القائم أو المهدي أو صاحب الزمان، أو صاحـب العسكر أو صاحب الناحية المقدسة[٣]. وتختلف روايـات أخرى أن أم المهدي اسمها ريحانة، وقيل صقيل أو سوسن[٤]. وتروى عنـد مولـده خوارق منهـا أن فلانًا عطس عنده بعد مولـده بليلة واحدة فرد

(١) المجلسي. بحار الأنوار. جـ١٣. ص ٢.
(٢) المجلسي. بحار الأنوار. جـ١٣. ص ١.
(٣) المجلسي. بحار الأنوار. جـ١٣. ص ٣٩ وص٢٣٧ وص٢٤٢.
(٤) المجلسي. بحار الأنوار. جـ٣. ص ٩٨. وهذا الاختلاف الكبير عند مصادر الشيعة القديمة ألقى الشك استناداً لروايات أخرى بأن الإمام الحسن العسكري لا ولد له وأن وارثه الوحيد هو أخوه جعفر. انظر المجلسي. المجلد ١٣. ص ٢٤٤.

عليه القائم: يرحمك الله. وأن فلانة قد شاهدت طيوراً تمسح بأجنحتها القائم بعد مولده، فقالت لأبيه ذلك فرد عليها: هم الملائكة نزلت تتبرك به [١]. ورواية تذكر أن القائم شوهد يمشي بالدار يتكلم الفصحى بعد ولادته بأربعين يوماً [٢].

وفي هذه الروايات تشبيه واضح واقتباس مما ذكر عن ولادة المسيح ابن مريم ونزول الملائكة حين مولده وتكلمه بالمهدي كما هو مذكور في العهد القديم.

وتصفه روايات الشيعة بأنه شاب وسيم يلبس البياض ويركب حصاناً أبيض، وقد كان الشيعة لعهد قريب يهيئون حصاناً أبيض عند السرداب بسامراء ربما ليركبه عند خروجه. وقد وُجِد الشيعة حول هذا السرداب أو يأتون من أماكن بعيدة حاملين الأموال بما يسمى حق الإمام لتسليمه إلى وكيله، ويدخلون ما يعن لهم من أسئلة حول دينهم في رقعة إلى داخل السرداب، ويدعى أن الإمام الغائب يجيب عنها بواسطة وكيله. ودامت هذه الحال إلى ما يقرب من سبعين سنة تعاقبت فيها أربعة وكلاء للإمام الغائب يسمون بالسفراء، وهذه المدة هي ما تسمى عندهم بالغيبة الصغرى، حيث تمتد من سنة ٢٦٠هـ إلى وفاة آخر سفير كما سنرى حيث دخلت مدة الغيبة إلى ما يسمى بالغيبة الكبرى. واضطراب هذه الروايات يدل على عدم وجود ولد للإمام الحسن العسكري وأن غيبته حديث خرافة.

وتسوق روايات كثيرة مسندة إلى أقوام رأوا الإمام الغائب وتدور على قصص فيها الخرافة، فينقل الطوسي في كتابه الغيبة (غيبة الإمام

(١) المجلسي. بحار الأنوار. جـ١٣. ص ب – جـ .
(٢) المجلسي. بحار الأنوار. جـ١٣. ص ٧٧.

الثاني عشر) أن رجلاً رأى الإمام الغائب سنة ٣٠٩هـ بعد رجوعه من الحج، ورأى من علامة كونه الإمام الغائب أن الجمل يرتفع بالإمام من الأرض إلى السماء[١]. كما تذكر قصص لقوم لا يذكرون أنهم رأوا الإمام إلا بعد مدة من الزمن، فهذا رجل يذكر أنه رأى الإمام الغائب في الكعبة في أثناء الحج يحدث الناس في حلقة علم[٢]. كما ينقل الشيخ المفيد محمد بن محمد ابن النعمان في كتابه الإرشاد أن حكيمة بنت محمد بن علي قد رأت الإمام الحجة يوم مولده، وأن خادمة لإبراهيم بن عبده النيسابوري رأت الإمام الحجة عند الصفا في الكعبة وهو يحدث الناس. كما ذكر أن عمرو الأهوازي قال: أرنيه الإمام أبو محمد الحسن العسكري وقال هذا صاحبكم[٣].

وقد جمع المجلسي من كتب الشيعة الكثير من الروايات والقصص التي تدور على رؤية الإمام الغائب غالباً في أثناء الحج أو عند سرداب سامراء، وبعضها ينسب أصحابها أن الحجة قد شافاهم من أمراض يشكون منها كمرض الفالج وعمى العيون[٤]. ومن طريف ما قرأت قصة محكية عن علي ابن فاضل المازندراني الذي حدثهم في مدينة الحلة في العراق أنه سافر إلى الشام ثم مصر ثم ركب البحر إلى الأندلس، ومنها إلى ما سماه الجزيرة الخضراء في وسط البحر، حيث وجد أهلها شيعة إمامية "اثنا عشرية"، وتلقاه إمام المسجد وأكرمه فتبين للمازندراني أن إمام المسجد من أولاد الحجة الإمام المهدي، وزار المازندراني من جملة ما زاره قبة عليها خادمان، وكان إمام المسجد يرقى إليها ليكتب إلى الإمام الحجة، فيخرج له جواب

(١) الطوسي. الغيبة. ص ١٥٥.

(٢) الطوسي. الغيبة. ص ١٥٢. وقد أورد الطوسي في هذا الكتاب. ص ١٧٠ أخبار من رأى الإمام الغائب وصفته.

(٣) المفيد. الإرشاد. ص ٣٥٠ – ٣٥١.

(٤) المجلسي. بحار الأنوار. جـ١٣. ص ١١٨ – ١٢٣.

أسئلتهم. ولما طلب المازندراني هذا من إمام المسجد أن يرى الحجة أجابه بالمنع، ثم قال له: إنك رأيته مرتين، ولكنك لم تتنبه أنه الحجة؛ مرة في سامراء ومرة في موضع كذا، فذكره الحادثتين فتذكرهما المازندراني[1].

وأمثال هذه الروايات قد دفعت أحد علماء الشيعة المتأخرين وهو حسين ابن محمد النوري الطبرسي إلى تأليف كتاب: (جنة المأوى في ذكر من فاز بلقاء الحجة ومعجزاته في الغيبة الكبرى). وقد طبع في آخر الجزء الثالث عشر من كتاب بحار الأنوار للمجلسي أورد فيها تسعًا وخمسين حادثة رؤية الحجة في تواريخ مختلفة تقع ما بين سنة ٣٩٣هـ - ١١٨٦هـ. استغرق تسطيرها ما بين ص ٢٥٢-٢٩١ من كتاب بحار الأنوار، الجزء الثالث عشر. والمهم أنها جميعاً بعد الغيبة الكبرى. وساق المجلسي رواية من أحد الكتب القديمة عن شخص طلب عدم ذكر اسمه كيف أنه نزل السرداب بسامراء سنة ٦٣٥هـ، ووضع فيه كتاباً فيه أسئلة، وأنه شاهد الحجة، وحمل عنه رقاعاً ورسائل[2].

ويقع علماء الشيعة وأتقياؤهم في حيرة في كيفية التوفيق وتصديق الروايات المروية والمتضاربة في موضوع رؤية الإمام الغائب، أو أنه يكتب للصفوة من الشيعة، فيكاد إجماع الشيعة ينعقد على صحة رواية عن السفير الرابع والأخير علي بن محمد السيمري، حيث وصلت له رقعة من الإمام الغائب وبتوقيعه قبل وفاة السيمري بشهور سنة ٣٢٩هـ ورد فيها: «لقد وقعت الغيبة التامة فلا ظهور إلا بعد أن يأذن الله، فمن ادعى رؤيتي فهو كذاب مفترٍ»[3].

---

(١) المجلسي. بحار الأنوار. جـ١٣. ص ١٤٤ – ١٤٨.

(٢) المجلسي. بحار الأنوار. جـ١٣. ص ١١٨. والرواية من كتاب (نجم).

(٣) المجلسي. بحار الأنوار. جـ١٣. ص ٢٨٥.

وفي رواية أخرى عن السيمري يذكر النص هكذا «... من يدعي المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كذاب مفترٍ[1]. وللخروج من هذا المأزق يرى البعض أن الحديث السالف آحاد لا يلزم تصديقه، حيث تعارضه أخبار كثيرة وردت في مشاهدة الإمام الغائب كالتي سقناها آنفاً وقيل: لعل المقصود بانقطاع المشاهدة على السفراء الأربع لا بسائر الخواص من علماء الشيعة. ورأي ثالث ذهب إلى أن قول الإمام الحجة السالف إنما يؤخذ في حال حكم بني العباس الذين يخشى الإمام أن يقتلوه، أما بعد أن يأمن فإن أولياءه يشاهدونه ويكتب لهم.

ورأي رابع يؤوله إلى أن المشاهدة المنفية إنما هي أن يشاهد الإمام، ويعلم أنه هو الإمام الغائب حال المشاهدة لا بعدها. وتذهب رواية أخيرة منسوبة عن الكليني في الكافي والنعماني في كتابه الغيبة في غيبته، وعلق على ذلك حسين بن محمد النوري أن ذلك قد يكون في كل عصر ثلاثون ولياً يتشرفون بلقائه[2]. وهكذا فتح الباب على مصراعيه بعد أن كان مغلقاً، فما الداعي إلى ذلك يا ترى؟

إن هذه حاجة مهمة يحتاج إليها بلقائه أئمة الشيعة خاصة من الناحية السياسية، حيث قد يحتجون بأنهم يتلقون الأوامر من الإمام الغائب.

إن عناصر الفكر اليهودي قد تسربت إلى فكرة الإمام الغائب بطرق شتى، منها الإمام المنتظر حينما سيظهر أمره سيحكم بشريعة النبي داود عليه السلام، روى الكليني فقال في الكافي: «قال أبو عبدالله رضي الله عنه: إذا قام قائم

(١) المجلسي. بحار الأنوار. جـ١٣. ص٢٨٥.
(٢) المجلسي. بحار الأنوار. جـ١٣. ص ٢٨٥ – ٢٨٦.

آل محمد حكم بحكم داود وسليمان ولا يسأل البينة»[1]. وفي رواية أخرى تخفف هذا الاتجاه الكلي نحو اليهودية تقول: إن القائم سيحكم لكل فرقة بكتابها؛ لأهل التوراة بتوراتهم، وأهل الإنجيل بإنجيلهم، وأهل الزبور بزبورهم، وأخيراً أهل القرآن بقرآنهم "[2]. وهذا اتجاه أممي يشبه ما ظهر لاحقاً في الهند مما يسمى بدين أكبر كما سبقت الإشارة إليه: كما تذهب روايات إلى أن القائم سيهدم مسجد رسول الله ﷺ وكذلك المسجد الحرام، ويردهما إلى أساسهما الصحيح في رأيهم. كما يخرج أبو بكر وعمر من قبرهما ويصلبهما ويحرقهما[3].

والدوافع السياسية واضحة فيما وضع في أفواه الأئمة من أقوال تخص ما سيفعله الإمام الغائب بعد ظهوره، فهو سيستأصل العرب وقريشًا من شأفتهم، روى النعماني في كتابه «الغيبة» عن الحارث بن المغيرة أن أبا عبدالله رضي الله عنه قال بهذا الخصوص: «ما بقي بيننا وبين العرب إلا الذبح»[4]. ولهذا فإن العرب في رأيهم لن يخرج منهم مع الإمام الغائب أحد ذلك. وأنه لن يبقى منهم إلا القليل[5]. ولذا سيبلغ بالناس الشك، ويقولون: إن الغائب ليس من آل محمد، فلو كان كذلك لرحم[6]، وهذا إرهاص وتهيئة النفوس لما يودون القيام به مستقبلاً في الحرمين، وغيرهما على يد أناس لا صلة لهم بالعرب، وكل هذا يُؤخذ رد فعل ضد العرب.

(١) الكليني. الكافي. جـ١. ص ٣٩٧.
(٢) النعماني. الغيبة. ص١٥٧.
(٣) المجلسي. البحار. جـ ص.
(٤) النعماني. الغيبة. ص ١٥٥.
(٥) النعماني. الغيبة. ص ١٣٧.
(٦) النعماني. الغيبة. ص ١٥٤.

وإذا كان مبدأ الإمامية القدماء هو فقط الانتظار لظهور الإمام الغائب لإقامة دولته، ويروون بذلك أحاديث عن الأئمة بلزوم الهدوء وعدم إعلان نواياهم، فإن المتأخرين من الإمامية لما توافرت لهم حرية القول ذهبوا إلى القول بوجوب التوطئة لظهور الإمام الغائب، وذلك بالعمل السياسي والثورات والتحضير لقيام الدولة[٧].

وبعد الحكم البويهي أصاب سامراء نوع من الإهمال، وأضحت مدينة الحلة مركزاً شيعيًّا يدرس فيها طلاب العلم، وكان لها شأن في نكبة هولاكو ودخول التتار العراق كما قدمنا، فقد ساد في أوساط الإمامية أن ظهور الإمام الغائب سيكون في الحلة في جامع ما يسمى «آخر الأئمة»، وقد زار ابن بطوطة هذا المسجد، وذكر أن على بابه ستارة حرير، وكان من عاداتهم أن يخرج في كل ليلة رجل مسلح يأتون المشهد، وينادون بطلب ظهوره[٨].

إن فكرة الإمام الغائب وجدت أيضاً عند اليهود خاصة في فترة السبي البابلي، حيث ذاق اليهود المهانة والتشريد على يد نبوخذ نصر سنة ٧٢١ قبل الميلاد على يد الآشوريين. ففي التلمود البابلي الذي كتبه أحبار اليهود في بابل يذكر أن سيظهر المسيا من نسل داود، وسيعيد دولة داود في فلسطين ويقيم بناء الهيكل، وأنه سينتقم من أعداء اليهود وسيكون اليهود هم سادة العالم؛ لما بيدهم من أموال[٩].

وقد أوضح أحمد الكاتب كيف تطورت فكرة الشيعة في القرن الأول الهجري من مجرد أحقية الإمام علي في الخلافة بكونه أفضل القوم إلى أن

(٧) عبدالهادي الفضلي. في انتظار الإمام. ص ٥٧.
(٨) دونالدسون. الشيعة. ص ٢٤٧.
(٩) د. محمد البار. المسيح المنتظر وتعاليم التلمود. ص ١٠٨. وما بعدها.

طورها متكلمو الإمامية إلى دعوة النص والعصمة في القرن الثاني الهجري، وبحث أحمد الكاتب كيف ولماذا ادعى الشيعة (الاثنا عشرية) في بداية القرن الثالث الهجري غيبة الإمام الثاني عشر، فمن كون الغيبة حديث خرافة وكيف تكلم الشيعة (الاثنا عشرية) بتأصيل فكرة الإمامة المبنية على النص والعصمة ثم على الغيبة، وأن الإمام الغائب سيظهر فيما بعد يملأ الأرض عدلاً، وخلاصة بحثه: أن هذه النظرية لم تكن إلا من صنع الشيعة الغلاة، ولكن الشيعة (الاثنا عشرية) لم يستطيعوا التخلص من ذيول هذه النظرية، ومما دخل عليهم من معتقدات الغلاة[1].

حق التضحية بالآخر عند اليهود

١ - في القرن الرابع قبل الميلاد، بعد السبي البابلي، وبعد إعادة كتابة التوراة ٥٨٩ ق.م. ظهور التلمود، وهو تفسير أحبار اليهود، وهم ضعاف في العراق خاصة، فيه ظاهر حب الانتقام، وعقدة الغالب، ونظرية حق الغالب، إذن لابد من إعادة (الفصح اليهودي) المستخرج من سفر الخروج.

وهم في العيد يمثلون إعادة وتضخيم ما وقع على اليهود من ظلم فرعون، وأنهم في العيد يأكلون خبزًا من غير خميرة، معجون بالدم النقي من نصراني. في بولندا عام ١٨٤٠ حادثة فيلكس هويزا ضحى بها اليهود من أجل فطيرة العيد، وارتبط عيد الفصح وعيد البوهيم، وعيد تطهير الموضح لإسالة دم الطفل مقطوع العلقة، ويجب أن يكون من دم شاب نقي ولنص: «يحل بقر الأممي (البوهيم) حتى في يوم السبت»، نص وشاع خطف الأطفال، وحوادث خطف الأطفال مسجلة في بريطانيا، وحلب، وبولندا منذ ١٨٠٠ م، سنة ١٨٤٨م حادثة خطف شاب نصراني من بور سعيد.

(١) أحمد الكاتب، تطور الفكر السياسي، ص ١٠١ وما بعدها.

الأسفـار الستة تعكـس صورة الانتقـام والتضحية بالآخـر، ففي سفر التكويـن الوعـد الأبـوي يهوه يعـد بإعطاء شعبـه الأرض، يبرر يهـوه السبي والتضحيـة بالآخـر «حتى أدخلكم الرب إلى الأرض التي وعدكم، وطرد من أمامكم سبع أمم... فإنكم تحرمونهم فلا تقطعوا لهم عهدًا، ولا ترفقوا بهم، ولا تصاهروهـم ولا ... اهدموا سواريهم، واحرقـوا تماثيلهم و...» ١٨ - ١٦ سفـر التكويـن، «... لا تستبقوا منهم نسمـة... »، «وإذا يسير ملاكي أمامك الذي أنا أبيهم... أزعجهم...».

«... ابعـث الزنابـير أمامك، ستطرح الحوتيـين...»، «لن أطردهم في سنـة واحدة كـي لا يتكاثر عليك وحوش البرية، بل تدريجيًّـا، ريثما تثرون البـلاد... من البحر الأحمـر إلى الفرات» سفر الخـروج، سفر يوشع، سفر دموي، يتحدث بشكل واضح مـبررًا لليهود التضحية بدم الآخر، وهو يصف يهوه، وفيه تبرير أخلاقي وديني.

الاحتجاج السادس الآية ٢٠: «... رفيق الشعب ونفخ الحاخامات، و... دمروا المدينة، واقضوا بحد السيف على الناس والبقر و... وقتل يوشع ملكها ... توجـه إلـى أريحا فأسلمهـا الرب وقتلوا كل نفس فيهـا ...»، وهنا النص يعطي اليهود مبررًا لقتل الآخر وأخذ أرضه، والانتقام...

أي إن الخلاص عنـد اليهود لا يتم إلا بالتضحيـة بالآخر، وقد تأثرت المسيحيـة بهـذه النصوص واستعملتها في الحـروب الصليبيـة، والحروب الحديثـة في الشرق الأوسط، أفكار الرئيس الأمريكي بوش في حربه للعراق، لا تنفصل عن هذه المبررات الماسونية وشعاراتها مرتبطة بالجماجم والدم، إبـادة الهنود الحمر سـكان أمريكا من قبـل المهاجرين الأوروبيـين، أبيدوا

باسم الرب وتحت مبررات دينيــة متأثرة باليهودية والتوراة، حروب أمريكا الجرثومية السريــة تتم تحت هذه المبررات، استعمال المرتزقة كي يفعلوا ما يشاؤون هو تحت هذا المبرر.

ظهور المهدي وولاية الفقيه عند الشيعة

٢ - ولايــة الفقيه: تعطي مبررًا للفقيــه أن يقوم بأعمال فيها حث على القيام بأعمال المهدي.

- قتل الناصبي والتضحية فيه.

- جيش المهدي ما هو؟ ولأجل ماذا؟

تاريخ مــا بعد الظهور، محمد باقر الصــدر، سيناريو القتل والطوفان والقتــل والتمهيد، ينص على كشط الأرض، حتــى صارت عند بعض الشيعة أن المهدي سيخرج سنة ٢٠١٢م .

قــال الصــدر في كتابه أعلاه: إنه يجوز للمهدي قتــل الآخر حتى إن لم يكن معتديًا، أي إن المهدي يهدف لقتل المسلمين، إلا أنه مكلف من الله تعالى باستئصالهم أجمعين.

في بحــار الأنوار... عن أعمال القائم مثــل ذلك، وفي ذلك تبرير حتى قتــل العرب الشيعــة ربما الإيرانيون قتلــوا السنة البلوش تحــت هذا المبرر، حديث المفضل الوارد في بحار الأنوار يبرر مثل هذا القتل.

مــن علامــات ظهور المهدي الهــرج والمرج في الحــرب، في الحج إبادة قريش، وقتل بنــي شيبة، ونقــل الحجر الأســود إلى الكوفة، هــدم المسجد

الحـرام، قتـل علماء السنـة في الكعبة، أفعـال الشيعة الصفويـين في إيران تعكس هذه المبادئ.

تقديس اليهود لأنبيائهم وعلمائهم وادعاء العصمة

تذكر التوراة أن الرب وصف موسى بأنه إله لفرعون، وهارون أخاه بأنه نبـي لموسى (الخروج ٧/ ١)، وتضفي التـوراة على النبي دانيال، دخول روح القديسـين فيـه، وهي فكرة تقترب من فكرة الحلول التـي قال بها الصوفية فيمـا بعد (الإصحـاح ٣٢/ ٢٤ - ٢٧)، وتنسب التوراة إلـى النبي إيليا طلب نزول المطر (الإصحاح ١٨/ ٤١ - ٤٥).

وتدعـو بعض تعاليم اليهود إلى ضرورة التمسـك بأقوال العلماء أكثر من التمسك بأقوال النبي موسى، ففي التلمود نص يقول: «... تمسك يا بني، بأقوال العلمـاء أكثر مـن التفاتك إلى شريعـة موسى» ونشير إلـى أن التلمود هو شرح، وتفسـير علمائهـم للتوراة، بـل إن التلمود يطلب من اليهـود ألا يجادلوا عالمهم، فمـن يفعـل ذلك فكأنما جـادل الرب سبحانـه، والتلمود الذي كتبـه حاخامات اليهـود ملـيء بتقديـس رجل الديـن اليهودي (الربـان)، فنصوصـه ترد بعدم جـواز مخالفتهم، وزعمـوا أن الله يستشير علماء اليهـود حينما يهم بحل بعض المشـكلات، وزعمـوا أن الله يدرس التلمـود في الليل، بل يـرون أن الربان بعض الأحيان يعلمون أهل السماء، ويعد عندهم الربان هؤلاء معصومين من الخطأ.

تقديس التابوت عند اليهود

يشـير التراث اليهـودي وشراح التوراة إلى أن التـوراة عندما جاء بها النبـي موسى عليه السلام كانت على ألواح، ولأجل حفظها كان بنو إسرائيل

يضعونهـا في تابـوت خشبي، يحملونه معهـم أينما سـاروا، وفي حروبهم مع الآخريـن كانوا يتبركون بهذا التابوت، يستنزلون بـه النصر على أعدائهم، وقـد أشار القرآن الكـريم إلى السكينة التي كانت تدخـل على بني إسرائيل بسبب هذا التابوت.

تقديس الكرسي عند بعض الشيعة

في أثناء ثورة المختار بن عبيدالله الثقفي في الكوفة بدأ بمهاجمة بيوت مـن عرف بمشاركتـه بمقتل الحسين بن علـي رضي الله عنه، وفي أثنـاء نشوة القوم بالانتصار، ظهرت عجوز للمختار مدعية أن لديها الكرسي الذي كان يجلس عليـه الإمام علي رضي الله عنه في الكوفة، أو الذي كان يصعد عليه في خطبه، فجيء بالكرسي ووضع عليه قماشة وأخذوا يدورون به في قتالهم لجيش ابن زياد في الكوفة رافعين أصواتهم بطلب النصر، وتلا بعضهم الآية الكريمة الواردة في القرآن، والخاصة بتابوت بني إسرائيل، الذي كان فيه سكينة عليهم، ويذكر الطـبري أن السبئية رفعوا أيديهم وكبروا للكرسي، وعندما نهرهم شبث بن ربعـي، طالبًا ألا يكفروا، طردوه وأخرجوه من صفوفهم، ولما شاهد إبراهيم ابـن الأشتر النخعي هذا الوضـع، قال: اللهم، لا تؤاخذنا بمـا فعل السفهاء منا، وقال: هذه صفة بني إسرائيل[1].

تقديس الشيعة لأئمتهم وعلمائهم

يـرى الشيعة الإماميـة، أن الإمام هو حجة الله على خلقه، وأن الأرض لا تخلـو من حجـة، وأن طاعته مفروضة من الله تعالـى، والأئمة هم الهداة

(١) الطبري: تاريخ، جـ٦، ص٨٣.

وخزنة العلم، وهم خلفاء الله في أرضه، وهم الأبواب التي منها يؤتون، وهم نور الله وأركان الأرض، وأن أعمال العباد تعرض عليهم، كما كانت تعرض في رأيهم على الإمام علي رضي الله عنه، وأن الأئمة عندهم جميع الكتب السماوية التي أنزلها الله على أنبيائه، وأنهم يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء، كما يعلمون الغيب، ويعلمون متى يموتون، ولا يموتون إلا باختيار منهم، وهم يعلمون ما كان وما سيكون، وأن الله قد فوض إليهم أعمال العباد، ولكن يكره القول فيهم بالنبوة، إن الإمامة عهد من الله، وإنها تثبت في الأعقاب، وأن كل إمام ينص على من بعده[1].

أورد علي بن إبراهيم القمي في تفسيره سبعة مواضع، ادعى فيها علو شأن الإمام علي رضي الله عنه، ومجاراة تلك المنزلة قرب النبي صلى الله عليه وسلم، خاصة في الإسراء والمعراج، حيث مثال علي رضي الله عنه مع الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد كان علي ضمن من صلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأنبياء[2]، ونسب القمي للرسول صلى الله عليه وسلم أنه وجد اسم علي بن أبي طالب رضي الله عنه عند سدرة المنتهى وفي الجنة، وفي ...[3]،

ولشدة تقديس الشيعة لأئمتهم أخرجوهم من آدميتهم التي خلقهم الله عليها كما هو شأن بني آدم الآخرين، ورغم إلحاح بعض الأئمة الذين بلغتهم تلك المبالغات في تقديسهم، حيث ورد عن الصادق: «قولوا بنا ما شئتم، ولكن لا تخرجونا من آدميتنا»، رواتهم ومؤلفوهم يصرون على وضع الأئمة فوق منزلة البشر، وأنهم خلقوا في عالم الذر قبل خمسة آلاف عام من خلق آدم، خلقوا من نور معلقين تحت العرش، وتتكرر فكرة خلق الأئمة

(١) الكليني، الكافي: الأصول، ص٩٠ - ١٢٠.
(٢) القمي: تفسير، جـ٢، ص٣١١ - ٣١٢.
(٣) القمي: تفسير، جـ٢، ص٣١٤.

من نور، ينتقل في الأصلاب، ولا يستبعد أن يكون هذا الفكر مرتبطًا بثقافة الرواة الشيعة من الفرس، عن الديانة الفارسية القديمة الخاصة بالثانوية المكونة من إله الظلمة، وإله النور، وإذا قرأت في كتاب علل الشرائع، لابن بابويه القمي[1]؛ تطالعك هذه الثقافة في كثير من العلل التي يبحث عنها المؤلف، وترفع روايات الشيعة منزلة الإمام علي إلى منزلة الرسل والأنبياء، بل أعلى من منزلة موسى؛ لأن موسى بان من جهله حينما التقى الخضر حيث علمه أمورًا باطنية، فاستخدم الشيعة هذه العلة للرد على من أنكر على الإمام علي رضي الله عنه - قتله مخالفيه الذين كانوا يصلون ويحجون ويزكون، فتقول الرواية: إنه استحل قتلهم بعلم مثل قتل الخضر للغلام الذي قدر أنه سيشقي والديه[2].

وفي تعليل ابن بابويه - لوقوف سليمان على عصاه المدة الطويلة، وهو في الحقيقة ميت، علل بعضهم أنه إله، وقال آخرون: إنه لساحر، ونبي الله أيوب إنما ابتلاه الله بسلب نعمته منه ثم سلبه نعمة الصحة من بدنه رغم كونه شاكرًا لأنعم الله، لكن الشيطان سأل الخالق أن يسلطه على أيوب، فكان ذلك من فعل الشيطان، وبتقدير الله.

ويروي ابن بابويه العلة التي من شأنها سمي الإمام علي عليًا قال: «... والله الأعلى وهذا علي»[3].

أما أولاد علي فالله سمى الأول: شبر= الحسن، والثاني شبير= الحسين، ولعل المراد تقريبهم من العجم، أما نور الطينة التي خلق منها علي

(١) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، جـ١، ص٣٥، وما بعدها.
(٢) المصدر السابق: جـ١، ص٨٢.
(٣) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، جـ١، ص١٦٣.

ابـن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقد خسر منها الملائكة، حينما مرت عليهم في ملكوت الله.، وحـب علـي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يعرض على الأولاد فإن أحبوهـم فهم منهم وإلا فإن أولئك الأولاد ليسوا منهم[١].

وتعكـس أحاديـث عند ابن بابويـه القمي أن الإمام علي بـن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قسيـم الله على الجنة والنار، وعلي يدخل الجنة مثل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لأنه حامل لوائه[٢]، وفاطمـة زوجة علي كانت تحدثها الملائكة، مثلها مثل مريم بنت عمران وسارة امرأة إبراهيم[٣].

وهذا التقديس عند الشيعة لم يقتصر على أئمتهم، بل جعلوه يعم على الشيعـة أنفسهـم، فالأصل أن طينـة الشيعة التي خلقوا منهـا طينة طيبة لا تدفع صاحبها إلى إثم أو محرم.

ومـا يرتكبه الشيعة من آثـام شرب الخمر، أو زنا، أو لواط، أو ارتكاب محرم، فإنه من تأثير طينة المخالفين لهم، وبالمقابل ما ترى من أعمال خير يقوم بها المخالفون، فإنهم يعملونها بسبب طينة الشيعة التي خلقوا منها، وفي يوم القيامة سيرد كل عمل إلى صاحبه، فلا يلقى الشيعة إلا الثواب الطيب، وقـد أورد ابـن بابويه القمـي أحاديث كثيرة بهذا المعنـى، وفيها تسهل – مع الأسـف – للشيعي ارتكاب المعاصي، لأنها ليست مـن طينته، ولم يقصدها، وهي من تبريرات بني إسرائيل على ارتكاب المحرمات[٤].

---

(١) المصدر السابق: جـ١، ص١٦٥ – ١٧٣.
(٢) المصدر السابق: جـ١، ص١٩٦ وص٢٠٥.
(٣) المصدر السابق: جـ١، ص٢١٧.
(٤) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، جـ٢، ص٢٠٠ – ٢٠٣.

ويـروي الشيـخ المفيد في كتابـه (الاختصاص) أحاديـث وأقوالاً ترفع الإمـام علـي رضي الله عنه، والأئمة إلى درجـات قريبة من درجات النبـوة، إلى حد القول: إن الله سبحانه وتعالى قد ناجى عليًّا في الطائف، وتكاد تكون المناجاة درجـة قريبة من الوحي[1]، وهذا ما سهل علـى بعض فرق غلاة الشيعة من الادعـاء بأن النبوة أصـلاً كانت موجهة إلى علي رضي الله عنه، وليس إلى محمد ﷺ ولكن جبريل صدها عن حيدرا.

ومقـولات الغلاة هذه لم يستطـع الشيعة الإمامية التخلص منها، رغم مـا فيها مـن غلو فاضح، فهذا الشيخ المفيد يـروي أن الإمام علي رضي الله عنه عرج إلـى السماء بقصد أن يفض منازعة بين ملكين تخاصما في شأن[2]، ويساير الشيخ المفيد علوم التوراة فمن كفرته التوراة من الملوك مثلاً يكفر هو الآخر.

فقـد أورد المفيد كفر الملك نبوخذ نصـر[3]، مسايرة للتوراة لأنه هدم أورشليـم، وسبى اليهـود وجاء بهم إلى بابل، وفي المقابـل فإنه يقدس كل ما جاءت به التوراة، حتى لرجال بني إسرائيل غير معروفة أعمالهم.

وقـد وصل الغلو والتقديس، عند بعض الشيعة للأئمة إلى درجة أنهم نسبـوا إليهـم معرفـة الغيب، ومعرفـة لغة الحيـوان والطـير، ومعرفة متى يموتون، بل نسبوا إلىبعضهم إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، والشفاء مـن الأمراض العصية، ومعرفة كل ما كان وما سيكون، وهذا من الغلو الذي لم يستطـع الإمامية الخلاص منه، فقـد أورد تفاصيل تلك المعجزات الشيخ

(١) المفيد: الاختصاص. ص١٩٩، وما بعدها.
(٢) المفيد: الاختصاص. ص٢١٣.
(٣) المفيد: الاختصاص. ص٢٦٥.

المفيـد بوصفها خصائص تفرد بها أئمة الشيعة، وأن الله فوض إليهم إدارة شؤون البلاد والعباد[1].

وليس موسى وحده عند اليهود مقدسًا، بل هو وجميع الأنبياء مقدسون عند المسلمين، ولكن الشيعة يقدسون الإمام علي بنفس السبل التي قدس بها اليهود موسى عيه السلام، ومنها أن عليًّا كما يروي الطوسي بعد خروجه من مسجـد الكوفة، تبعه شخص مهيب أبيض اللحية، فكلمه وسار معه، ثم رجع علي رضي الله عنه، قال لأصحابه: إنه الخضر يناصحني[2].

(١) المفيد: الاختصاص. ص٣٠٠ – ٣٢٥.

(٢) محمد بن الحسن الطوسي: الأمالي، ص٥١.

obeikandl.com

الفصل الخامس

التشابه الفكري بين اليهودية والتشيع

التقية عند اليهود

ترى فرقة اليهود المعروفين بالفريزيين التي عرفت باستخدام الدهاء، والحيلة في مسلكها، وهي التي نسب إليها التآمر، وقتل السيد المسيح، يرون إباحة إخفاء ما يضمرون عن مخالفيهم، واستخدام ذلك لأغراضهم وأهدافهم المستقبلية؛ ولهذا جاء الحكم عليهم بالإنجيل، بالتزمت الأحمق والتناقض بين أقوالهم وأفعالهم وتآمرهم، ونفاقهم[1].

وتبيح تعاليم التلمود لليهودي إخفاء مقصده بالحديث مع المخالف، وأجاز لهم النفاق، أو أن يغش الكافر، كما يقول التلمود، وحتى حين السلام والتحية أباح لهم التلمود التورية، وقد أشار إلى ذلك القرآن الكريم: ﴿حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾ (المجادلة: ٨)، كما أجاز التلمود لليهودي أن يحلف اليمين، الغموس كذبًا مع باقي المخالفين.

فكرة التقية عند الشيعة:

مفاد هذه الفكرة أن تظهر للناس خلاف ما تبطن من الاعتقاد؛ حماية للنفس أو ما دونها. وقد كان الشيعة من المعارضين السياسيين منذ أوائل الإسلام، وبسبب معارضتهم هذه تلقوا أشد النكبات، كما أوضحنا سابقاً،

(١) حسن ظاظا: المصدر السابق، ص٢١٣.

فمـن الطبيعي ظهور مبدأ التقية على هذا المعنى؛ حماية لهم وقد يكون هذا المبـدأ هـو سبب وجود الشيعة وخاصة الإمامية منهـم إلى اليوم، في حين أن حـزب المعارضة الثاني والقوي أيضاً قد اندثر وهـم الخوارج. ولكن الشيعة قـد توسعوا في تطبيق هذا المبدأ بشكل خـرج عن مبررات وجوده التاريخية، وأصبحت التقية ديناً يُتعبد به عند المتأخرين.

لقد بـرر الشيعة سكوت أئمتهم على عدم الإنـكار على مخالفيهم من الحكام والولاة بمبدأ التقية، وقالوا: إن عليًّا سكت ولم يعارض في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان، تقية منه وخوف الفتنة، وكذا فعل الإمام الحسن ابنه مع معاويـة سواء بسكوته عن المطالبة بالإمامة أو ما ورد عنه من تنازله لمعاوية، كل ذلـك تقية منه وحماية لأصحابه، وهو أمر جائز ديانة[1]. على أن الإمام الحسـين لم يأخـذ بهذا المبدأ بل جاهر وخرج علـى السلطان وقتل ومن معه في كربـلاء [2]. وتقع كتـب الشيعة الإمامية في حيرة وتناقضات حين مناقشة موضوع سكوت علي تقية من أبي بكر وعمر وعثمان مع أن الروايات توضح أن الإمـام عليًّا كان شجاعـاً لا يهاب أحدًا في الحق، وحين عرض عليه أصحاب الشورى أن يبايعوه بشرط التزامه بسيرة الشيخين رفض، وهذا الرفض يدل على عدم أخذه بالتقية[3].

وتورد بعض المصادر الشيعية أسباباً أخرى لظهور مذهب التقية، فقد ذكـر النوبختي أن بعض أصحاب الإمام جعفر بن محمد انفضوا عنه ومالوا إلـى مقولة مذهب البتريـة الذي سبـق أن عرضناه، وبعضهـم أخذ بمقولة

(١) عبدالنبي الجزائري. المبسوط. ص ١٣٥ – ١٧٤.
(٢) ابن أبي الحديد. شرح نهج البلاغة. جـ١٢. ص٢٥٦ – ٢٦٧.
(٣) المصدر السابق عن كتاب الشافي للسيد المرتضى.

سليمان بن جرير الذي ذكر أنه لا يمكن أن يقع على الشيعة أو أئمتهم القول بالكذب، وذلك لوجود مذهب البداء والتقية، وقال: إنه لما كثرت على أئمتهم مسائل شيعتهم من الحلال والحرام أجابوا فيها، فحفظ عنهم شيعتهم إجاباتهم عنها، ولكن لم يحفظ هؤلاء الأئمة هذه الإجابات؛ لتقادم العهد وكون المسائل لا ترد في يوم واحد بل سنين متباعدة، فوقع بأيدي أتباع الإمام إجابات متباينة لمسألة واحدة، فأنكروا على أئمتهم ذلك، لكن أئمتهم برروا ذلك بأنهم قد أجابوا تقية؛ لأن في ذلك بقاء الأئمة وأتباعهم[1].

ويبدو أن هذه هي الأسباب المهمة التي أدت بالشيعة إلى التوسع في القول بالتقية، فعلى ذلك شواهد في كتب الشيعة الإمامية، فقد ذكر النجاشي في كتابه (الرجال) أن عمر (ابن رباح) كان من أصحاب الإمام أبي جعفر الصادق، ولكن انفض عنه بسبب أنه سأل الصادق عن مسألة، فأجابه فيها بجواب، ثم أعاد السؤال عليه في عام آخر فأجابه بجواب غير الأول، فقال له: إنك أجبتني عامك الماضي بكذا، فقال له الإمام: «إن جوابنا خرج على وجه التقية» فشك في إمامته، وانفض عنه[2].

إن رفض المجتمع الإسلامي لآراء الشيعة كان من الأسباب المهمة التي جعلتهم يأخذون بمبدأ التقية، فيجيبون السائل بخلاف ما يعتقدون ويخفون اعتقادهم؛ خشية أن يفتنوا ويدخلوا في خصومات مع الآخرين، ويبدو لهذا السبب أن أئمتهم وقادتهم يأمرون بكتمان اعتقادهم وعدم إذاعته، فقد نقل المجلسي عن كتاب (سن) عن سليمان بن خالد قال:

(١) النوبختي. فرق الشيعة. ص ٥٥- ٥٧.
(٢) النجاشي. رجال. ص ٢٣٧.

قال لي أبو عبد الله: يا سليمان، إنكم على دين من كتمه أعزه الله، ومن أذاعه أذله الله[1].

وقد عقد المجلسي في كتابه البحار بابًا طويلًا عن التقية والمداراة، فقد روي عن الإمام الصادق أن التقية تسعة أعشار الدين، ولا دين لمن لا تقية له. وأجازوا القول بالتقية إلا في شيئين: عدم حلية شرب النبيذ والمسح على الخفين. وهذا يمثل رد فعل ضد أصحاب أبي حنيفة في الكوفة مجاوريهم الذين يقولون كما هو معلوم بحلية شرب النبيذ والمسح على الخفين[2].

ونقل المجلسي رواية عن الإمام علي قوله: إنا لنبش في وجوه قوم وإن قلوبنا تلعنهم[3]. كما أورد المجلسي روايات عن الإمام علي تجيز للشيعة سبه إذا دعاهم المخالفون إلى ذلك، وهذا يعكس حقيقة ما أوردنا في شيوع سب الإمام في العهد الأموي. بل أورد أيضاً روايات وأخبارًا تفيد عدم تحرج الشيعي بالقول بأي شيء يرضي المخالف؛ وذلك كي يخلصوا من الرمي بالرفض، وتأمر هذه الروايات أو أخبار الإجابة بالتورية، ويحتجون بذلك أن عمار بن ياسر قد سب النبي ﷺ حينما طلب منه المشركون ذلك، وأقره الرسول ﷺ على ذلك ومازال قلبه مطمئنًا بالإيمان [4]. ونقل المجلسي عن كتاب الهداية رواية عن الإمام الصادق أنه قال: خالطوا الناس بالبرانية، وخالفوهم بالجوانية مادامت الإمرة صبيانية[5].

---

(١) المجلسي. البحار. المجلد ١٦ ص٢٢٥.
(٢) المصدر السابق. ص٢٢٤. عن الكليني. الأصول. جـ٢. ص٢١٩.
(٣) المصدر السابق. ص ٢٢٦.
(٤) المصدر السابق. ص٢٢٦ – ٢٢٨ وانظر أيضاً: ص ٢٣٣.
(٥) المجلسي. البحار. المجلد ١٦. ص ٢٣١.

وينتهي العمل بالتقية عند الشيخ الصدوق من الإمامية بظهور الإمام الغائب، فمن تركها قبل خروجه فقد خرج عن دين الله، وخالف رسوله والأئمة، وقد عقد لها فصلًا كاملًا[١].

وتطبيقات التقية عند الشيعة الإمامية اتسع العمل بها إلى أن تشمل جميع نواحي الدين بعد أن كانت في البداية مقتصرة على ما له علاقة بالسياسة والحكم، فقد أفرد الكليني رواية تذكر أن الإمام الحسين بن علي خرج في جنازة أحد المنافقين برغم إنكار أحد مواليه عليه[٢].

وتذهب رواية إلى أن الإمام الصادق قد وافق أبا حنيفة على تأويل رؤيا أحد أصحاب الصادق، فلما خرج أبو حنيفة أقر الصادق لمريده أنه قد قال لأبي حنيفة: إنه قد أصاب الخطأ لا الصواب[٣].

إن في تراث كتب الشيعة خاصة القديمة ما يتفق كثيرًا على ما يذهب إليه جمهور المسلمين وخاصة في أبواب الفقه، لكن دعوى التقية والتوسع في استخدامها حرمت الشيعة من موافقة جمهور المسلمين، وعززت مع الأسف من ابتعادهم وتفردهم، وهذه من أسوأ نتائج التوسع بأخذ التقية وتعزيز مبدأ الغلاة ولها خطورة كبيرة في المستقبل؛ ذلك أن من الممكن - كما حصل سابقًا - إذا اتفق الإمامية أو بعضهم مع جمهور السنة في شيء أن يحمل على التقية، فيذهب عملهم هباء.

وأورد الكليني أيضاً رواية تفيد أن الإمام الباقر كان يفتي في العهد الأموي بأن صيد البازي والصقر حلال، وذلك تقية[٤].

(١) الشيخ الصدوق. الاعتقادات. التقية.
(٢) الكليني. الكافي الفروع. جـ٣. ١٨٩.
(٣) الكليني. الروضة مطبوع في آخر الأصول. جـ٨. ص ٢٩٢.
(٤) الكليني. الكافي الفروع. جـ٦. ص٢٠٨.

وفي المواريث وخاصة خلاف الشيعة الإمامية في نصيب البنت من الميراث الذي يختلف عن بقية المذاهب الإسلامية يورد الكليني روايات فتوى للصادق في نصيب البنت محمولة على التقية [١]. وفي مجاراة الشيعي الإمامي لمخالفيه في الصلاة ورد عن الصادق مديح للذي يصلي الفريضة، ثم يصلي مع المخالفين صلاة تقية، فإن له بذلك خمسًا وعشرين درجة من الله[٢].

إن هذا التوسع في تطبيق التقية دفع مخالفي الشيعة إلى الطعن عليهم ورميهم بالنفاق والكذب، وإنه في التعامل معهم لا يمكن أن تقع على حقيقة، ولا يمكن أن تبنى عليها قولًا أو عملًا[٣]. وهذه الحقيقة دفعت بعض المصلحين من الشيعة الإمامية إلى المناداة بإصلاح معتقد الشيعة الإمامية، ومنها التقية هذه، فقد ذكر الدكتور موسى الموسوي في كتابه (التصحيح) أنه لم يعد الآن من المبررات الأخذ بالتقية، وقد توافرت للجميع حرية الفكر والاعتقاد[٤].

وهكذا استقر مفهوم التقية عند الإمامية على ما ذكره الشيخ المفيد بأن «التقية كتمان الحق وستر الاعتقاد فيه، وكتمان المخالفين، وترك مظاهرتهم بما يعقب ضررًا في الدين والدنيا»[٥] ومن هنا ندرك أن الفرق بين التقية هذه ومفهوم أهل السنة بعيد حقًّا، حيث إن التقية عند السنة لا تجوز إلا مع الكفار، وخاصة في بداية ظهور الإسلام، حيث أجازها الرسول ﷺ لأصحابه، فهي على هذا رخصة للمضطر كما ذكر: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗ﴾ [٦].

(١) الكليني. الكافي الفروع. جـ٧. ص٨٦ - ٨٨.
(٢) الشيخ الصدوق. من لا يحضره الفقيه باب صلاة الجماعة.
(٣) إحسان إلهي ظهير. الشيعة والسنة. ص١٥٣ وما بعدها.
(٤) د. موسى الموسوي. التصحيح.. ص . مبحث التقية. مغنية. الشيعة في الميزان. ص ٥٢.
(٥) المفيد. أوائل المقالات. وشرح عقائد الصدوق. ص٢٦١.
(٦) انظر تفاسير الآية لدى الطبري وغيره من المفسرين.

ولكـن الإماميـة يستحلـون استعمالهـا مع جميـع مخالفيهم مـن المسلمين، بل يعدونها ركنا أساسيًّا في الاعتقاد، ويروون حديثًا عن الإمام جعفر أنه قال: إنها تسعة أعشار الدين ولا دين لمن لا تقية له[1]. وهي على هذا في اعتقادهم واجبة وليسـت رخصـة خاصة في دار التقية. وقد خدمت فكـرة التقية منهج الكذابين من الـرواة، كما خدمت الخـروج من التناقضـات المنقولة عـن الأئمة، ولكنها أوقعت علماءهم ومحققيهم في حيرة من عدم وضوح الرأي فيما نقل إليهم.

فكرة الرجعة عند اليهود

يؤمـن اليهود برجعة الأموات إلى الحياة قبل يوم القيامة، فقد ورد في التلمـود قـدرة بعض رجال دينهم على إرجاع الحيـاة لمن مات، جاء في سفر العـدد أن شعب إسرائيل لمـا شكوا إلى موسى موت بعضهـم، أمره الرب أن يصنع حية مـن نحاس، فكل من لدغته من الأموات عاد إلى الحياة، (انظر الإصحاح ٢١/ ٤ - ٨).

وكذا عند خروج المسيح المنتظر عند اليهود، ترجع الأموات إلى الحياة، (الإصحـاح ٢٦/ ١٩)، وفي نبوءة حزقيال، أن أمـوات بني إسرائيل سترجع إلـى الحياة بشكل مفصل، حيـث تكسو العظام لحمًا، واللحـم جلدًا، وتعاد الروح للجسد، (انظر حزقيال ٣٧/ ١ - ١٢).

وعندهـم أن النبي إيليا طلب إلى الرب إعـادة الحياة لابن المرأة التي يسكن بقربها، حينما طلبت منه ذلك (الإصحاح ٤/ ٣٢).

(١) الكافي. الأصول. جـ٢. ص٢١٧.

أورد علي بن إبراهيم القمي، في معرض تفسيره عن الإمام أبي جعفر في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ﴾ (الأنعام: ١٥٠)، يعني أنهم لا يؤمنون بالرجعة أنها حق، ثم قال: نزلت هذه الآية هكذا: (وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم في علي، قالوا أساطير الأولين)، كما أورد تفسير الآية: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ (النحل: ٣٨)، نزلت في قوم قيل لهم ترجعون بعد الموت قبل القيامة، ولكن هؤلاء كانوا كاذبين - يعني بالرجعة-[١]، كما أورد في مكان آخر في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ (القصص: ٨٥)، يعني الرجعة[٢].

الرجعة عند الشيعة:

معناها رجوع بعض الصالحين وذوي الدرجات العليا من الشيعة إلى عالم الأحياء بنفس صورهم التي كانوا عليها، ورجوع بعض المفسدين والظالمين للشيعة؛ ليقتص منهم جميع الظلامات التي اقترفوها في حقهم. ويكون ذلك عند قيام دولة آل البيت، ثم يصير الجميع إلى الموت. واحتج بعض الشيعة بالآية الكريمة: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾. فهذا لسان حال المفسدين الذين حكم الله عليهم بالرجعة، فهم يتساءلون هل من خروج لهم ثالث كي يتوبوا ويصلحوا. هذا ما عليه أكثر علماء الإمامية. وذهب آخرون إلى أن معنى الرجعة الواردة في كتب الحديث هي رجعة دولة آل

(١) القمي: تفسير، جـ١، ص٣٨٥.
(٢) القمي: تفسير، جـ٢، ص١٢٣.

البيـت بظهور الإمام المنتظر على التفصيل الوارد سلفاً من غير رجعة لأحد من الأموات سواء من شيعة أو غيرهم[١].

ولمتأخري علماء الشيعة الإمامية تفصيل في الرجعة، حيث يذكرون أن أئمـة آل البيت سيرجعـون من عالم الأموات إلى الحيـاة، فيحكمون الأرض بدءاً بالإمام علي ثم يتوفى فيخلفه الحسن وهكذا إلى أن تنتهي بظهور الإمام الغائب. وعند رجوع كل إمام يرجع معه أعداؤه فينتقم منهم. فبرجوع الإمام علـي سيرجع أبو بكـر وعمر فينتقـم منهما على سلبهما حقـه في الخلافة، وكذلك يفعل الحسين بن علي مع يزيد بن معاوية[٢].

ورأي الإماميـة هذا في الرجعة مستعار من فرقة الكيسانية التي سبقت الإشارة إليها، فقد حكى النوبختي في كتابه (فرق الشيعة): «وقالت الكيسانية يرجـع الناس في أجسامهم التي كانوا فيها، ويرجع محمد ﷺ وجميع النبيين فيؤمنون به، ويرجع علي بن أبي طالب فيقتل معاوية بن أبي سفيان و...»[٣].

والواقـع أن الإمامية قد ورثوا كثيراً مـن معتقدات الشيعة الغالية، ولم يتمكـن علماؤهم من تنقيتهـا، ففي هذا الباب قلة مـن الإمامية نفت صحة

---

(١) عقائد الشيعة. محمد رضا المظفر. ص٥٩. وساق أدلة أخرى على الرجعة، وإنها ليست مستحيلة ما حكاه الله عن عيسى عليه السلام بإحيائه الموتى، وكذلك ما ذكره الله في كتابه عن المتعجب من كيفية إحياء الله لتلك القرية: ﴿قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾ ص ٦٢. المصدر السابق.

واحتج آخرون أيضاً للدلالة على الرجعة بالآية الكريم: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾. ويفسرون العباد الصالحين بأنهم أئمة الشيعة وأعيانهم.

والرجعة عندهم تكون بعد ظهور الإمام الغائب أو عندها.

(٢) المجلسي. بحار الأنوار. باب الرجعة.

(٣) النوبختي. فرق الشيعة. ص ٦٢.

الرجعــة، ولكن الغالبية لم يلتفتــوا لهم[1]. ولم تكن فكــرة الرجعة من بنات أفــكار الكيسانيــة، فقد سبقهم إلــى القول بها كثير مــن الجماعات الدينية المضطهدة؛ فاليهود بعد شتاتهــم واضطهادهم على يد نبوخذ نصر ظهرت في أفكارهــم فكــرة الرجعة التي هي من حق أولئــك اليهود الذين لم يتمتعوا بحياتهــم فعاشوا تحــت سلطان الجوييــم أو عاشوا مشرديــن، فمن حقهم أن يعــودوا إلــى الحياة مرة أخــرى؛ لينالــوا نصيبهم الذي فــات من المتعة والنعيم[2]. ولهذا لم يكن الأمر غريباً على عبدالله بن سبأ اليهودي المسلم في صدر الإسلام قوله برجعة محمد ﷺ بعد وفاته، وأن عليًّا سيكون معه بمنزلة هــارون من موسى[3]. ومما سهل القول بالرجعــة عند كثير من فرق الشيعة الغالية التي نبتت أفكارها في الكوفة والعراق عموماً، ذلك الارتباط الفكري بــين الرجعــة وفكرة التناسخ التي كانت شائعة في هــذه المنطقة توارثتها عن المجوسية الهندوكية، كما سنفصل ذلك في موضعه، ولكن مع تحوير بسيط، ففي التناسخ ترجع الأرواح فتحل في مخلوقات سعيدة أو متعبة، وفي الرجعة ترجــع الأرواح إلى نفس أجسادها، فتسعد أو تعذب بحسب مآلها. وقد حكى النوبختــي عقيدة بعض الشيعة الغلاة مــن أصحاب عبدالله بن معاوية ومن فرقــة العباسيــة الراوندية الذين يقولــون بالتناسخ وتنقــل الأرواح مدة من

(١) الشيعة والتصحيح: موسى الموسوي. ص ١٤٢.

(٢) أحمد شلبي. مقارنة الأديان: ١-١ اليهودية. ص ١٧٤، مكتبة النهضة. ١٩٦٦ القاهرة.
ومن طوائف اليهود الذين آمنوا بفكرة الرجعة الفريسيون. انظر كتاب علي وافي. بين الشيعة وأهل السنة ٥٦. القاهرة .١٩٨٤م. ويرى الدكتور موسى الموسوي أن الرجعة شبيهة بفكرة التناسخ التي جاء بها فيثاغورس وتبناها أنصاره، وإن من قال بالرجعة من الشيعة ربما يكون قد تأثر بهذه الفلسفة. انظر كتابه الشيعة والتصحيح. ص ١٤٢ – ١٤٣.

(٣) النوبختي: فرق الشيعة. ص ٤٤.

الزمـن وحلولها في المخلوقـات السعيدة أو المتعبة، ثم قـال: هذه هي جنتهم ونارهم، وهذه هي الرجعة عندهم لا رجوع بعد الموت[1].

وممـن قال بالتناسخ مـن أوائل الشيعة المغالية عبـدالله بن الحارث، فقـد حكى النوبختي أن أبـاه كان زنديقاً من أهل المدائن فأبرز عبدالله هذا لأصحابـه القـول بالغلو والتناسـخ والأظلة والدور، وادعـى أن هذه هي آراء جابـر بن عبدالله الأنصاري (صحابي معروف) وجابر بن يزيد الجعفي[2]. وقد نسب لجابر بن يزيد الجعفي هذا القول برجعة الإمام علي، وكان يفسر قولـه تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ أن الدابة هي علي بن أبي طالب[3].

هـذا وقد سبق لنا حين عرض الديانة الفرعونية القديمة أن ذكرنا أن الفراعنة كانوا يعتقدون بالرجعة؛ ولذا فإنهم يهيئون في مقابرهم الملكية من الطعـام والوسائل الحياتيـة ما يمكن الملك حين عودة الـروح إليه أن يباشر نشاطـه كسابق أيامه، وهذا يدل منـذ القدم على معاناة الإنسان في مقاومة الفناء والتمسك بالبقاء ولو بعد حين.

والآن نتساءل: ما الذي دفع الشيعة للقول بالرجعة على المعنى السالف؟

والجواب: إنها الحاجة النفسية للمقهور الذي لا يستطيع أن يعمل شيئاً في عالم الواقع، فيرتد منه إلى عالم الخيال. فهؤلاء الذين ارتبطت مصالحهم

(١) النوبختي: فرق الشيعة. ص ٦١ – ٦٢.

(٢) المصدر السابق. ص ٥٦.

(٣) وجابر الجعفي، هذا قال عنه أبو حنيفة: ما رأيت أكذب منه. وقالت عنه كثير من مصادر الشيعة: إنه مذموم متهم. انظر رجال الكشي. ص ١٩١. وروى عنه الكليني في الأصول كثيرًا من الأحاديث في نقص القرآن ولكن بعض متأخري الشيعة كعبدالحسين شرف الدين يوثقه. انظر كتابه المراجعات. ص٧٥.

وواقعهم في البداية بخلافة الإمام علي، وعايشوا جميع الإخفاقات السياسية التي جرت على الإمام ومن بعده بشكل أقسى وأمرّ في ثورة ابنه الحسين ومن ناصرهم فيما بعد، لم يجدوا من عوض عن هذا الإخفاق السياسي، إلا القول برجعة هؤلاء الأئمة وأصحابهم، وأنهم سيحكمون سياسيًّا فتكون لهم الكلمة، وسيرجع كذلك جميع من ظلمهم وظلم الشيعة فيقتص منهم، فلن تذهب تلك الظلامات هدراً، وسيسعد الشيعة حينئذ بالتشفي ممن عاداهم، وفي ذلك زاجر أيضاً لمن سيقدم على أي ظلامة ضدهم في المستقبل.

وقد تفتق خيال علماء الشيعة ورجالها عن صنوف من القصاص والعذاب الذي سينال خصومهم بدءاً بأبي بكر وعمر ومعاوية ويزيد و....

ففي كتاب (بحار الأنوار) للمجلسي تفاصيل وروايات كثيرة نقلها عن مجموعة من المصادر الشيعية القديمة منها أن الحسين بن علي سيرجع، فيملك الدنيا حتى تقع حاجباه على عينه من الكبر، وأن سبعين رجلاً من أصحابه سيرجعون معه. وأن أبا بكر وعمر سيصلبان على شجرة [1]. ويذكر نعمة الله الجزائري في كتابه الأنوار النعمانية أن الحرمين المكي والمدني سيقضى عليهما عند ظهور الإمام ورجعته، ويتم إنشاء المسجد في الكوفة. وأن أهل السنة حينها سيتناولون براز الشيعة في الوجبات نكاية بهم [2].

وأورد الشيخ المفيد في كتابه الإرشاد روايات كثيرة منها ما ذكره عن عبدالله بن المغيرة أنه إذا قام القائم من آل محمد قامت خمس مئة من قريش تضرب أعناقهم، ثم أقام خمس مئة أخرى تضرب أعناقهم، ثم يفعل ذلك ست مرات [3] والشيخ المفيد من قبيلة حارثة الجنوب.

(١) المجلسي. البحار. جـ ١٢ ص ٢١٠.
(٢) نعمة الله الجزائري، الأنوار النعمانية. جـ ١. ص ١٥٧ – ١٦٣
(٣) المفيد. الإرشاد. ص ٣٦٤.

وفي كتاب الغيبة للنعماني روايات تنم تماماً عن روح الانتقام وتعجيله لمن يستحقه في نظرهم في مدة الرجعة هذه قبل يوم الحساب، ففي رواية منسوبة إلى الإمام الصادق أنه قال:

«لو يعلم الناس ما يصنع القائم إذا خرج لأحب أكثرهم ألا يروه يقتل من الناس، أما إنه لا يبدأ إلا بقرشيين فلا يأخذ منها إلا السيف ولا يعطيها إلا السيف، حتى يقول كثير من الناس: هذا ليس من آل محمد ولو كان من آل محمد لرحم»[1].

وجاء في تفسير الصافي رواية تقول: إنه إذا قام قائمنا ردت الحميراء (عائشة رضي الله عنها أم المؤمنين) حتى يجلدها الحد، وحتى ينتقم لابنة محمد صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام[2].

كما أورد النعماني أيضاً أن الإمام المنتظر إذا رجع فسيكسر مسجد الكوفة، ويسوي قبلته والشيعة يومئذ يعلمون الناس القرآن فيه.

وأورد رواية نسبها إلى علي يقول: «كأني بالعجم فساطيطهم في مسجد الكوفة يعلمون الناس القرآن كما هو أنزل. قلت: يا أمير المؤمنين أو ليس هو هذا كما أنزل؟ فقال: لا، محي عنه من قريش بأسمائهم وأسماء آبائهم وما ترك أبو لهب إلا إزاره على رسول الله صلى الله عليه وآله لأنه عمه»[3].

وتختلف المصادر الشيعية عن الزمن الذي يتم فيه الرجعة، فعند الشيخ المفيد أنها تتم عند ظهور الإمام الغائب[4]. ومن قائل: إنها تتم

(١) النعماني: كتاب الغيبة. ص ٢٣٣.
(٢) تفسير الصافي. جـ٢. ص١٠٨.
(٣) النعماني: كتاب الغيبة. ص ٢١٧ – ٢١٩.
(٤) المفيد. أوائل المقالات. ص ٩٥.

عنـد رجعة الحسين بن علي للانتقام من قاتليـه[1]. وتتركز الأخبار الواردة بالرجعـة على أنها ستتـم في مكة والمدينة؛ لأن المنتقـم منهم الأوائل خاصة في هـذه البقعة، كمـا أسلفنـا في الروايـات السابقة، ولهذا هـدف سياسي يرمـز إلى تمني الشيعة ظهور دولتهم بدءاً بالحرمين الشريفين، حيث تركز رواياتهم على مقتل أعدائهم من قريش وبقية المسلمين، وهذا يفسر بوضوح مـع الأسـف الاضطرابات التي يقـوم بها الحجاج الشيعـة في أثناء الحج في بعض السنين وأهداف المخططين من قادتهم، والمتتبع لتاريخ التشيع يجد أن الرغبـة في حصول الاضطرابات في الحرمين الشريفين رغبة قديمة، مهدت لها إرهاصات سياسية ذات معنى وهدف بعيد، ومن أوائل ما وصلنا من هذه الإرهاصـات مـا ورد في نص الخطابـين الذين ادعى الشيـخ المفيد أو ادعى عليـه أنهـا قد وردت إليه من الإمام الغائب، ومنهـا فقرة تفيد حصول هرج ومـرج وقتل وفتنـة بين الناس، والدارس الناقد لا يفهـم من هذا إلا محاولة تهيئـة الأذهان إلـى حصول الفتنة بـين المسلمين، وانتهـاز الشيعة الفرصة في فرضـ الأمر الواقع للاستيـلاء على أمور المسلمين بالقـوة[2]. والشواهد علـى تكـرار أعمال الفتن في الحـج من قبل الشيعة في كثير مـن السنين أمر لا يحتـاج معه إلى دليل تاريخي من القديم إلـى الحديث، ولهذا كانت فكرة الرجعـة عندهم تحاط بسرية تامة، وقد نبه علـى ذلك قديماً شيخ المعتزلة أبـو الحسن الخياط. كما ورد هذا التنبيه من قبـل المجلسي في البحار، وأن أفكارها من التقية[3].

(١) المجلسي. البحار. جـ١٢. ص ٢١٠ وما بعدها.
(٢) النعماني. كتاب الغيبة. ص٢٣٣.
(٣) تفسير الصافي. جـ٢. ص ١٠٨.

هذا، وقد أنكر بعض متأخري الإمامية حقيقة الرجعة، فلا رجعة سوى عند ظهور الإمام الغائب[1]. في حين اعتبر البعض القول بالرجعة ليس من ضرورات المذهب ولا من معتقدات الإمامية[2].

وممن أنكر الرجعة من علماء شيعة إيران العالم شريعتي صانقلاجي (١٩٣٠م)، وكان رأيه هذا سبباً في الهجوم عليه من العلماء الآخرين، كما نقل عن الشيخ عبدالكريم الحائري في إحدى دراساته في قم أن الرجعة ليست ضرورة في دين الإمامية[3].

القرآن:

إن أول ظهور لفكرة نقصان القرآن والزيادة فيه ظهرت عند الغلاة من الشيعة، وتسربت آراؤهم وأحاديثهم المنسوبة للأئمة عن هذا الموضوع لكتب الشيعة من المتأخرين، ولم يستطع متقدمو الشيعة الإمامية على العموم التخلص من هذه الأخبار المنسوبة في هذا الباب إلى أئمتهم، بل أثبتوها في أمهات كتبهم، شأنها شأن كثير من الأخبار التي تفرد بها الشيعة عن غيرهم من المذاهب الإسلامية. وقد اعتقد بعض الإمامية بفكرة حصول النقص في القرآن دون الزيادة فيه. وذهب بعضهم الآخر إلى حصول النقص والزيادة معاً، وقلة من الإمامية ذهب إلى عدم حصول نقص وزيادة، وإنما القرآن هو الموجود بين الدفتين الذي لا خلاف فيه بين جميع المسلمين كما هو رأي

(١) الخنيزي. الدعوة الإسلامية. جـ ٢. ص٩٤.

(٢) هاشم الحسيني. الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة. ص ٢٣٧. محمد رضا المظفر. عقائد الإمامية. ص ١١٣.

(٣) أيان ريشار. الإسلام الشيعي. ص ٧٢. ترجمة حافظ الجمالي. بيروت ١٩٩٦م.

السيد المرتضى. ولشناعة القول بنقص القرآن أو الزيادة فيه، فقد كان مادة للإنكار على الشيعة طيلة العصور جرّت عليهم الويلات الكثيرة من خصومهم كما سنفصل ذلك.

عن علي بن الحكم بن هشام بن صالح عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إن القرآن الذي جاء به جبريل عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وآله سبعة عشر ألف آية»[1].

وفي رواية مطولة عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام:«.... قال: قلت: وما مصحف فاطمة عليها السلام؟ قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد»[2].

ويذكر علي بن إبراهيم القمي[3] في تفسيره، وهو من أقدم التفاسير عند الشيعة أن: «القرآن منه ناسخ ومنسوخ منه... ومنه على خلاف ما أنزل الله ومنه رد على المخالفين».

فكرة البداء عند اليهود

ينسب اليهود لربهم الحزن والندم على ما سبق أن قرره، ففي سفر الخروج، يقول موسى للرب: «ارجع عن غضبك واندم على الشر بشعبك و... فندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه»، (الإصحاح ٣٢/ ١٢ - ١٤).

كما ينسب صموئيل الندم إلى الرب على تعيينه شاؤول ملكًا، (انظر الإصحاح ١٥/ ١٠).

(١) الكليني. الكافي. جـ٢. ص ٦٣٤ والمعروف أن القرآن ٦٢٦٣ آية.
(٢) الكليني. الكافي. جـ١. ص ٢٤٠.
(٣) معاصر للإمام الحسن العسكري الإمام الحادي عشر توفي سنة ٣٠٧هـ.

وينسب اليهود النسيان إلى الله كما جاء في سفر التكوين: أن الرب تأسف من أن يمحو الإنسان من على الأرض من أجل شروره، (الإصحاح ٦/ ٥ - ٨).

وتنص التوراة في عدة مواضع أن بعض أنبياء بني إسرائيل قد ذكروا الله بعهده وميثاقه لبني إسرائيل، كي لا ينساهم، (سفر الخروج، الإصحاح ٢/ ٢٣).

كما ينسب اليهود في التوراة الجهل إلى الله؛ لأن الرب ليلة الخروج من مصر طلب من بني إسرائيل أن يضعوا علامة الدم على بيوتهم، لأنه سوف يضرب بيوت المصريين، ويهلكهم، فقد نسبوا لربهم عدم القدرة على التمييز، (انظر الإصحاح ١٢/ ١٣).

البداء عند الشيعة

أورد الكليني في كتابه الكافي، في الأصول ستة عشر حديثًا، يحتج بها بفكرة البداء، وقد جاءت بمعانٍ مختلفة، منها أن (الله يقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء)، والبداء لا يكون فيما نقل إلا بعلم الله المكنون، أما العلم الذي علمه لملائكته وأنبيائه، (وربما للأئمة)، فليس محلًا للبداء[1].

إن الراوي أبا الجارود (....) يمتدح أهل الكتاب قائلًا: (لقد آتى الله أهل الكتاب خيرًا كثيرًا)، في معرض امتداح القرآن لهم، وأنه: ﴿يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ (القصص: ٥٤)[2].

(١) الكليني، الكافي: الأصول، ص٨٤، بيروت ٢٠٠٥م.
(٢) الكليني، الكافي: الأصول، ص١١١.

وفي تفسير القمي أورد حديثًا عن الإمام الرضا: (ما بعث الله نبيًّا إلا بتحريم الخمر، وأن يقر له بالبداء، أن يفعل الله ما يشاء)[1].

ويرى بعض المستشرقين أن فكرة البداء قالت بها بعض الفرق اليهودية[2]، وينسب القول بالبداء أول الأمر إلى ما ذكرته طائفة من أصحاب جعفر بن محمد الصادق، حيث رجعوا عن القول بإمامته؛ لأنه حسب قولهم قد كذب عليهم، والإمام لا يكذب ولا يقول ما لا يكون، وذلك حينما سألوه عن الإمام بعده فقال: ابني إسماعيل، فلما مات إسماعيل في حياة أبيه نسبوا إلى جعفر القول: إن الله ﷻ قد بدا له في إمامة إسماعيل، وإن الإمام بعده هو ابنه موسى، فأنكرت هذه الطائفة القول بالبداء، وقالوا: هذا باطل على الله، ومالوا إلى مقالة طائفة البترية ومقولة سليمان بن جرير، الذي قال: إن أئمة الشيعة وضعوا لأصحابهم مقالتين لا يمكن لأحد مهما كان أن يرمي الإمام بالكذب، وهما البداء والتقية. فأما البداء فإن أئمتهم حسب قول سليمان قد وضعوا أنفسهم موضع الأنبياء في العلم بما كان وما سيكون، وقالوا: إنه سيكون كذا وكذا، فإن حصل ذلك احتجوا به على موقعهم، وإن لم يحصل قالوا بدا لله في ذلك أمر آخر[3]، ويقرب من هذا المعنى ما رواه الطوسي في كتاب (الغيبة) في رواية مسندة إلى الإمام علي قوله: بعد السبعين رخاء. فقال الإمام جعفر: إن الله غيّرها بعد غضبه على أهل الأرض بسبب قتل الحسين[4].

وينسب الكليني للإمام جعفر الصادق أنه قال: «ما عظم الله بمثل البداء» وفي رواية أخرى أنه قال أيضاً : «إن الله لم يبعث نبيًّا قط إلا صاحب

(١) علي بن إبراهيم القمي: تفسير القمي، جـ١، ص٢٠١.
(٢) د. صابر طعيمة. الشيعة معتقد ومذهب. ص١٨٩. بيروت. ١٩٨٨م.
(٣) النوبختي. فرق الشيعة. ص٥٥- ٥٧.
(٤) الطوسي. الغيبة. ص٢٦٣ – ٢٦٤.

مـبرة صافية، فما بعث الله نبيًّا قط حتى يقول لـه بالبداء» وعنه أيضاً: «ما تنبـأ نبي قط حتى يقر لله بخمس منها البـداء والمشيئة والسجود والعبودية والطاعة..»[١].

والبـداء في هذا المعنى عند الأقدمين مـن الشيعة جائز على الله فيما علـم أنـه يكون حتـى لا يكون وجوزوا البـداء على الله حتى فيمـا اطلع عليه عباده، ومن باب أولى جوازه على الله فيما لم يطلع عليه عباده.

وقـد أنكر مخالفو الشيعـة هذه المقالة، وقالوا بوجـوب تنزيه الله عن البداء؛ لأن القول فيه يفضي إلى القول بجهل الخالق تعالى عن ذلك؛ لأنه لو كان يعلم ما سيحدث ما تغيرت مشيئته[٢] ولهذا فقد مال بعض المتأخرين من علماء الشيعة إلى تأويل معنى البداء، بما يقرب من معنى النسخ عند فقهاء المسلمـين، وأن أمـر البداء يفهـم بما يقرب من تأخـير الله في أجل الإنسان ومد عمره، ومـن هؤلاء الشيخ الطوسي[٣]. واحتج هـذا الفريق أن الروايات التـي جـاءت بالبـداء بالمعنى السابق إنما هـي أخبار آحـاد لا تفيد علماً ولا عمـلاً[٤]. ومن هذا الرأي الشيخ الطبرسـي في تفسيره، والسيد المرتضى في كتابه الانتصار حيث ينفي القول عن الله بالبداء[٥].

ومـن تأويـلات متأخـري الشيعـة الإماميـة القـول: إن معنـى البداء هـو حـدوث الاختيار لله تعالـى، فلـه أن يختار بـين الإيجاد والعـدم، وبعد

(١) الكليني. الكافي. جـ١. ص ١٤٨.
(٢) فخر الدين الرازي. كتاب المحصل. ص.
(٣) الطوسي. الغيبة. ص٢٦٤. المجلسي. البحار. مجلد ٢. ص ١٤٠.
(٤) المجلسي. البحار. مجلد ٢. ص١٤٠.
(٥) الميرزا أبو الحسن الشعراني في مقدمته التي كتبها على أصول الكافي. جـ١. ص .وانظر: كتاب الانتصار للسيد المرتضى ص ١٨٠.

الإيجاد له أن يختار بين الإبقاء والعدم أيضاً، أوردوا لذلك رواية عن هشام بن سالم (الجواليقي) عن أبي عبدالله الصادق في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾، فقال: (كانوا يقولون قد فرغ من الأمر)[1].

وقد اختصر الأشعري في كتابه "مقالات الإسلاميين" رأي الشيعة في البداء على ما ذكرنا[2]. وهي تكشف تطور رأي الشيعة وخاصة الإمامية في البداء من المعنى الذي لا يجوز على الله تعالى إلى معنى مقبول يقرب عن مفهوم النسخ، ويضرب لذلك محمد رضا المظفر قصة رؤيا إبراهيم أنه يذبح ابنه إسماعيل[3]. لكن منتقدي الشيعة لا يوردون إلا المعنى الأول للبداء، ويتركون تطور الأفكار المعدلة له فيما بعد أو التي تعدله عن طريق تأويل المعنى كما ذكرنا[4].

وهكذا يبدو لنا أن أساس قول الشيعة في البداء هو عن حاجة سياسية قصد بها تثبيت إمامة موسى بن جعفر، ونفي الإمامة لأخيه الأكبر إسماعيل الذي مات في حياة أبيه، واضطرارهم لهذه المقولة هي القاعدة عندهم في الإمامة: أنها تكون في الولد الأكبر للإمام، ففكرة البداء التي تفيد أنه وإن كان إسماعيل هو الإمام حسب القاعدة التي هي بعلم الله تعالى، لكن الله بدا له أمر فغير الإمامة من إسماعيل لموسى، وفي ذلك دفاع ضد فرقة الإسماعيلية التي استمرت في الاعتقاد بإمامة إسماعيل وابنه محمد بعده على ما أوردنا ذلك مفصلاً. لكن الشيعة الإمامية قد لا يحتاجون إلى هذه الفكرة، ويكفي

(١) إبراهيم الموسوي الزنجاني. عقائد الشيعة. الاثنا عشرية. جـ١ ص ٣٥.
(٢) الأشعري. مقالات الإسلاميين. جـ١. ص ٣٩.
(٣) محمد إبراهيم المظفر. عقائد الشيعة. ص٢١ – ٢٢.
(٤) إحسان إلهي ظهير، الشيعة والسنة. ص٦٣. الرياض.

القـول: إن الإمام جعفر قد سمى ابنه موسى إماماً بعده خلافاً للقاعدة، ثم إن هـذه الفكرة من شناعة القول بها حري بالشيعة الإمامية أن يتخلوا عنها بوصفها قد فقدت مبررات وجودها اليوم، وإن استقامة عقيدتهم مع مجموع الأمـة الإسلامية خـير من التفرد بهـذه المقولة التي لا نفع لهـا الآن إلا شق المسلمين وإعطاء مبرر للتشنيع والفرقة[1].

تشبيه الخالق عند اليهود

ذهـب بعض اليهود إلى تشبيه الخالق بالإنسان، ونقلوا عن التوراة «أن الله قد خلق الإنسـان على صورته»، وذكروا للخالق حواس قريبة من حواس الإنسـان، فقالوا: إن الخالق قد بكى من حادث الطوفان، وما أصاب الأرض من دمار، فاشتكى عيناه من الرمد حتى عادته الملائكة.

وشبـه اليهود الخالـق بالخلق حينمـا يتعبون من العمـل، فعندهم أن الله قـد استراح يوم السبت بعد تعبه من خلق العالم بستة أيام[2]، وفي سفر الخروج من التوراة ورد أن الخالق سار أمام شعبه في البرية على شكل عمود في النهار، وعمود نار في الليل؛ ليهديهم الطريق[3].

تشبيه الخالق عند الشيعة

انتقلـت فكـرة تشبيـه الخالق بخلقه مـن اليهودية إلـى كثير من فرق الشيعـة ورجالهم، وذكر العلماء أن القائلين بفكرة الحلول، أي حلول الله في بعض مخلوقاتـه، هو نوع من التشبيه والتجسيم، ففـرق الغلاة من الشيعة،

(١) د. موسى الموسوي. الشيعة والتصحيح. ص١٤٧-١٥٠ مطبوع. ١٩٨٨م.
(٢) الشهرستاني: الملل والنحل، جـ١، ص١٨٥، ص٢١٩.
(٣) الإصحاح١٣/ -٢٠ ٢٣.

ومـن ضمنهـم المغيريـة والتبيانيـة، والمنصوريـة والخطابية، جميعهـم قالوا بالحلـول، فادعـوا أن الله قد حل بأئمتهم، وأثبت بعض هـؤلاء لله سبحانه عن ذلـك الجوارح من يد ورجل، واشتهر مـن المشبهة المؤثرين على الفكر الشيعي، هشام بن الحكم، وهشام بن سالم الجواليقي، وأسماء هذين الشخصين تتردد حتـى في مصادر الشيعة الإمامية، حيث أكثر مـن وصف الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إلى درجـة إضفاء بعض الصفـات الإلهية عليه، ونقل عن هشـام بن الحكم، قوله: إن لله جسمًـا له طول وعرض وله حـد ونهاية، ونقل عن هشام أن معبوده سبعة أشبـار بأشبـار نفسه، أمـا الجواليقي فنقل عنـه أنه يرى معبـوده على صدرة الإنسان أعلاه مجوف، وأسفله مصمت، وهو نور ساطع لا لحم ولا دم[1].

فرقـة المجسمـة: ومـن قال بفكـرة تجسيم الخالق فـرق عدة من الشيعـة، منهـم المنسوبـون إلـى هشام بـن الحكـم، وهشام بـن سالم الجواليقـي الملقب بشيطان الطاق، ويونس بـن عبدالرحمن القمي، فقد نسـب للأول قولـه في الخالق تعالى عن ذلك: إنـه جسم له طول وعرض وحـدود، وإنه نـور ساطع له لون وطعـم ورائحة، وإن الخالـق قد كان له مـكان، ثـم خلق المكان بحركتـه ومكانه هو العرش. ونسب لـه القول: إن بـين الله وبين الأجسـام تشابهًا، فلولا ذلـك لما خضعت إليـه. وإنه يعلم مـا تحت الثرى عن طريـق الإشعاع. وإن علـم الله وصفاته لا هي قديمة ولا هـي محدثـة؛ لكونها صفـات، وإن الصفـات لا توصـف. ونسب إليه القـول: إن الأنبياء يعصون الله، فينبئهم على ذلك[2] بخلاف الأئمة فهم

(١) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص١٣٨.

(٢) وقد ترك هذا الرأي على قدمه أثراً لدى كثير من الشيعة، حيث تردد لدى بعضهم بصور شتى.

معصومون. وينسب هشام بن الحكم إلى فرقة الإمامية (الاثني عشرية) مع أنهم قد خطؤوه فيما ذهب إليه.

وهشام بن الحكم من موالي كندة من الفرس، وكان ينزل في بني شيبان في الكوفة، حيث ولد بها، لكنه بعد ذلك نشأ في واسط ثم سكن بغداد، وتعده مصادر الشيعة الإمامية من أصحاب الإمام الصادق والكاظم، وتمتدحه هذه المصادر؛ لأنه أول من فتق الكلام في الإمامة [1] كونها بالنص والوصية، وتذكر هذه المصادر أن له كتابًا في الإمامة. وهذه المصادر صادقة فيما ذكرته عن هشام بن الحكم، فيعد من المؤسسين لمذهب التشيع، فتفتيق الكلام في الإمامة يعني أنه أضاف شيئاً جديداً على هذا الموضوع المهم في أساس التشيع كما ذكرنا، وانتصاره لهذه دفعه إلى استخدام جميع ما عنده من علوم الفرس القديمة وعلوم اليهودية، فأدخلها على التشيع الذي لم يزل طريًّا في نشأته، فأضاف لموضوع الإمامة أنه بالنص لعلي، وأن النبي قد أوحي له بهذا، وهذا لم يقله أحد في بداية القرن الأول الهجري في حق علي، وإنما قيل بتفضيله فقط. وهكذا كلما تقدم الزمن جاء من يضيف على هذا التراث، فيدخل فيه ما ليس به في الأصل.

تؤكد المصادر التاريخية على انحراف آراء هشام بن الحكم، وأنه كان يستقيها من آراء الفرس واليهودية؛ لتشابه مقالاته بآرائهم، فقد ولد هشام في الكوفة وتربى على يد أبي شاكر من الزنادقة. وحينما استكمل أفكاره وانتقل إلى بغداد انضوى تحت سقف البرامكة، فقد كان المقيم على مجلس يحيى بن خالد البرمكي، وقد أوضحنا في بحثنا هذا مدى الأثر السياسي ومن ثم الفكري للبرامكة على الخلافة والمجتمع، ومما لا شك فيه أن هشامًا

(١) الطوسي. الفهرست. ص٢٠٣.

كان مـن أعمدة البرامكة ونفوذهم، ولكن لما ضرب الرشيد البرامكة استتر هشام، ثم توارى في الكوفة حيث توفي فيها.

لا يمكـن إغفال الأثر الذي تركه هشـام بن الحكم على التشيع المغالي وتحلـق الرجال مـن الموالي الفرس حـول أفكاره والانتصـار لها في مجالس البرامكـة، ثم انتقال هذه الأفكار عن طريـق رواة التشيع من هؤلاء الغلاة، وتلقف الكليني وغيره لتدوين هذه الأفكار الغالية على شكل أحاديث منسوبة لأئمة آل البيت وهم منها براء. فقد كان هشام بن الحكم ينسب بعض آرائه إلـى الإمام أبـي الحسن موسى الكاظم، ولذا شهد عليـه الإمام علي الرضا ابـن موسى بأنه هو الـذي صنع بأبي الحسن ما صنع أتـرى الله أن يغفر له مـا ركب منا [1] يشير بذلك إلـى سجن الرشيد للإمام موسى الكاظم لتردد هشام عليه، وكـذب هشام على الإمام فيما يرويه. وعلماء الشيعة ينقسمون بين مادح لهشام وبين قادح له على غلوه.

أمـا الثاني وهو هشام بن سالم الجواليقـي، فهو على مذهب الإمامية مـن الشيعة أيضـاً، لكنه قال بالتشبيـه، حيث زعـم أن الله تعالى عن ذلك علـى صورة الإنسان، ولكنه ليس بلحم ولا دم، بل هو نور، كما قال هشام بن الحكم. وأن للخالق حواسَّ كحواس الإنسان، وله يد وعين وأذن.

وممـن تابع على هـذه المقالة من الإمامية أيضـاً أبو مالك الحضرمي وعلـي بن ميثـم (التمار)[2]، أما يونـس بن عبدالرحمن القمـي فنسب إليه القول بالتشبيه أيضاً، حيث زعم أن الله تعالى يحمله حملة العرش الثمانية، وهـو أقـوى منهـم، وأن الكرسي تحملـه أرجله، وهـو أقوى منهـا، واستدل

(١) الكشي. رجال. ص٢٣٧.

(٢) البغدادي: الفرق بين الفرق. ص٤٧- ٥٢.

بالآيــة ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ [1] وقد دافـع المجلسي عن هؤلاء، ونسـب القدح الوارد فيهـم إلى كتب السنـة[2] برغـم استفاضة قدحهم في كتـب الشيعـة نفسها، وأفكار تجسيـم الخالق (تعالى الله عـن ذلك) كانت مـن عقائد اليهـود ونصوص التلمود، تشير إلى كثير مـن هذه الأفكار، التي تشبه الخالق بالبشر. فقد ورد في تعاليم التلمود: أن الله ينام بالليل، ويعمل بالنهـار، ويدرس التـوراة، ثم يلعب مع الحوت وهو ملـك الأسماك. وعندما شـرد خالقهـم أبناءه، وخرب الهيـكل أخذ يبكي ويزأر، ويقـول: تباً لي على تفريق أبنائي، وتسقط منه في اليوم دمعتان في البحر.

وفي التـوراة تذكـر أن الـرب ظهـر للنبي يعقـوب في صـورة إنسان، فصارعـه يعقوب حتـى طلوع الفجر، وأخذ منه العهـد والبركة له ولأبنائه بعـده. وفي سفـر التكوين: أن الله تعب عند خلق العـالم فاستراح في اليوم السابـع، والأنبياء لم يقوموا بأي عبادات سوى تقديم اللحم المشوي للرب، حيـث كان يحبه كثيراً كما فعل إبراهيم ذلك، وحصل علـى رضـا الـرب.

٤ - التعلق بالمعجزات عند اليهود

تمتلـئ النصوص الواردة في التوراة والتلمـود وشروح وتفاسير الربان اليهـود بالقصص والحكايات والأحداث المعجـزة، التي تدل فيما يرون على إعجـاز وصحة من نسبوها لهم[3]، حيث تتحدث عن معجزات النبي إلياهو، الـذي تأتـي إليه الغربان بطعامـه صباح مساء، وأنه هو الـذي بارك لامرأة دقيقها القليل، فظلت تخبز منه طيلة مدة المجاعة.

(١) البغدادي: الفرق بين الفرق. ص٥٢- ٥٣.
(٢) انظر المجلسي. البحار. ابن بابويه. كتاب التوحيد. ص٩٧.
(٣) (انظر الملوك الأول ١٧/ ١).

وهـو الـذي أرجـع نفـس الولد إلـى جوفه قبـل أن يموت، ذكـر بعض شراحهـم أن هـذا الولد هو المسيح الـذي سيأتي، ونسبوا إلـى نبيهم إلياهو هـذا معجـزات تشمل حتى أطفالهم، فهو بابا نويـل الذي يقدم لكل طفل ما يتمناه من هدايا في العيد.

ومن ضمن الصلاة اليهودية الشكر للرب على المعجزات التي سخرها لهم ولأجدادهـم، من قبل: «... ومعجزاتك التي هي معنا كل يوم وعجائبك وخيراتـك...»، «... نشكـرك أيضًـا علـى المعجـزات والخلاص والأعمال العظيمة وعلى الفرج والخوارق...».

جاء في سفر يوشع: أن الرب أوقف الشمس والقمر، عن الحركة عندما طلـب منه يوشع، وذلك كـي ينتقم شعب إسرائيل مـن أعدائه، (يوشع ١٠/ ١٢ - ١٤).

واعتبر هـذا الوحي عند اليهود كالنبي يوحـى إليه، وتجري على يديه المعجزات، كما وردت بذلك نصوص التوراة المتعلقة بيوشع.

*****

معجزات الأئمة عند الشيعة وتعلقهم بها

جميع فرق الشيعة تلتقي عند فكرة كون الإمامة إلى علي بن أبي طالب بعد رسول الله ﷺ، وأن الإمام عليًّا أحق بها من غيره، وأن عليًّا قد أوصى بها إلى ابنه الحسن ومن بعده الحسين. وفرق الشيعة تختلف فيما بينها بعد ذلك من هو الإمام؛ فالزيدية ترى إمامة زيد بن علي بن الحسين، في حين يرى الإمامية أن الإمام بعد علي بن الحسين هو ابنه محمد الباقر. وبعد وفاة جعفر بن محمد اختلفت الشيعة إلى فرق، فأي مِن أبناء الصادق هو الإمام؟! ففرقة الشمطية ترى أن الإمام هو محمد بن جعفر، وفرقة الفطحية ترى الإمام ابنه عبدالله، والموسوية أو المفضلية والإمامية (الاثنا عشرية) ترى الإمام موسى بن جعفر هو الإمام بعد أبيه، بينما فرقة الإسماعيلية ترى إسماعيل بن جعفر هو الإمام. والإمامية (الاثنا عشرية) يرون الإمامة في ولد الحسين بن علي، ينص الأب فيها على إمامة ابنه بعده، ولا تجتمع الإمامة عندهم في أخوين بعد الحسن والحسين، فالأئمة الاثنا عشر عندهم على الترتيب الآتي:

١- الإمام علي بن أبي طالب.

٢- الحسن بن علي.

٣- الحسين بن علي.

٤- علي بن الحسين.

٥- محمد بن علي (الباقر).

٦- جعفر بن محمد (الصادق).

٧- موسى بن جعفر (الكاظم).

٨- علي بن موسى (الرضا).

٩- محمد بن علي (الجواد).

١٠- علي بن محمد (الهادي).

١١- الحسن بن علي (العسكري).

١٢- الإمام الغائب (محمد بن الحسن بن علي العسكري).

فالإمامة عندهم نور يقذف في الأرحام، وهو بعد ذلك وراثة لعلوم الأنبياء السابقين، التي أورثها النبي محمد ﷺ لعلي بعده، ثم للائمة بعد علي واحد بعد الآخر. وتذكر رواية قديمة موضوعة على لسان الإمام جعفر الصادق: أن الرسول محمدًا ﷺ قد أفضت إليه صحف إبراهيم وموسى، فأتمن الرسول ﷺ عليها عليًّا وأتمن علي الحسن... إلى أن أفضت إليه[١].

وقد ورثت كتب الشيعة الإمامية (الاثني عشرية) ما قالته الشيعة الغلاة في أئمتها، ولم يستطيعوا تنقية إلا القليل من المقولات الفاحشة كالادعاء بالألوهية، وما أشبهها.

فالأئمة عند الشيعة (الاثني عشرية) يعلمون جميع علم الملائكة والأنبياء، وأنهم إذا شاؤوا أن يعلموا علموا، وأنهم يعلمون متى يموتون، وأنهم يعلمون علم ما كان وما سيكون، وأن الله ﷻ لم يعلم نبيه محمدًا ﷺ علماً إلا أمره أن يعلمه إلى علي بن أبي طالب[٢]. وأن الجن يأتون إلى الأئمة فيسألونهم عن معالم دينهم[٣]، وأن الأئمة يعلمون اللغات الآدمية ولغات الحيوان، حيث روي أن الإمام الصادق رد على محدثه باللغة النبطية

(١) الكشي. رجال. الطوسي. اختيار. ص٣٥٥. المجلي. البحار. المجلد ١. ص ١١٤.
(٢) الكليني. أصول الكافي. جـ٦. ص ٢٢ – ٤٢.
(٣) الكليني. أصول الكافي. جـ٦. ص ٣٨٦.

والفارسية، وأنه حدث خمسة عشر رجلاً بكلام واحد، وكل منهم سمعه بلغته، الحبشي بالحبشية، والفارسي بالفارسية، والصقلبي بالصقلبية[١].

وتقع الروايات في كتبهم القديمة في حيرة من التوفيق بين رواية أن الإمام يعلم متى يموت، فكيف يقبل إذن من وضع له السم من الأئمة حيث ترد روايات كثيرة بأن أكثر من إمام من الأئمة (الاثني عشر) كان قد مات مسموماً. وللخروج من هذا المأزق يؤول بعضهم أن الله يلقي على قلب الإمام النسيان في وقت أكله السم [٢]. وتخريج آخر يذكر أن عبدالله بن طاوس سأل الإمام الرضا... أن يحيى بن خالد سمّ أباك موسى بن جعفر؟ قال: نعم، سمه في ثلاثين رطبة. قلت: فما كان يعلم أنها مسمومة؟ قال: غاب عنه المحدث. قلت: ومن المحدث؟ قال: ملك أعظم من جبريل.. كان مع رسول الله ﷺ فهو مع الأئمة[٣] وعلى هذا، فالأئمة عندهم معصومون كالأنبياء؛ لأنهم الواسطة بين الله وخلقه[٤]. وتنسب خوارق روايات في مولد الحسن والحسين كتلك المنسوبة لنبي الله عيسى عليه السلام [٥].

وتذهب روايات إلى أكثر من علم الأئمة بموعد موتهم إلى موعد موت الآخرين، منها ما رواه ميسر حينما دخل على الإمام أبي جعفر وهو في جماعة، حيث ذكروا صلة الرحم، فقال أبو جعفر: يا ميسر، إن الله قد حضر أجلك غير مرة ولا مرتين، كل ذلك يؤخره الله بصلتك وقرابتك[٦].

---

(١) المجلسي. البحار. المجلد ١١. ص ١٢٦ – ١٣٣.
(٢) المجلسي. البحار. المجلد ١١. ص ١٢٦ – ٣٥٣.
(٣) الكشي. رجال. الطوسي. اختيار. ص ٦٠٤.
(٤) إبراهيم الموسوي الزنجاني. عقائد الإمامية. جـ ١. ص ٤. وانظر أيضاً جولدزيهر العقيدة والشريعة في الإسلام ص ٢٠٧ – ٢١٠.
(٥) المجلسي. البحار. المجلد ١٠. ص ٦٧ – ١٤٠.
(٦) الكشي. رجال. الطوسي. اختيار. ص ٢٤٤.

وتنسب روايات أن الإمام الغائب في يوم مولده تكلم في المهد وسلم على أمه[١]. بل من الأئمة من نسب إليه تكليم سيدنا الخضر[٢]. وتنسب للإمام الصادق معجزات كتلك التي ذكرت للأنبياء أو أكبر منها، فمن هذه الروايات أن الإمام الصادق أخرج لهم من تحت رجله سبائك ذهب[٣]. وأخرى تذكر أن الصادق أخذ عبدالله بن سنان خارج المدينة، فأراه نهراً من ماء ونهرًا من لبن وثالثًا من خمر، كما أراه الحور العين، وقال له: هذا ما أعد لشيعتنا[٤]. بل إن الصادق ذكروا أنه يعلم كل أعمالهم حيث تعرض عليه كل يوم خميس[٥]. ورواية تشبه الصادق بالنبي موسى عليه السلام حيث أنبع الصادق الماء لأصحابه وهم في فلاة[٦]. وإن من علامات الإمام المنسوبة للصادق أنه لو قال للجبل: سر لسار. قال الراوي: فنظرت فإذا الجبل يسير. فنظر الصادق إلى الجبل، وقال: إني لم أعنك[٧]. ورواية أخرى أنه رد روح امرأة بعد أن ماتت، وفي هذا تشبيه بعيسى عليه السلام[٨]. بل إنه يأمر ملك الموت بتأجيل موت امرأة من نساء شيعته [٩]، ومنها أن الصادق أخذ أربعة من الطير فذبحن وخلطهن، ثم دعا بالحمامة فتأتيه وهكذا ببقية الطير[١٠] وفي هذا تشبيه بسيدنا إبراهيم عليه السلام.

(١) المجلسي. البحار. المجلد ١٣. ص ب – جـ.
(٢) المجلسي. البحار. المجلد ١٥. القسم الثاني. ص ١٥٧.
(٣) المجلسي. البحار. المجلد ١١. ص ١٢٨.
(٤) المرجع نفسه. ص ١٢٩.
(٥) المرجع نفسه. المجلد ١١. ص ١٢٩.
(٦) المرجع نفسه. المجلد ١١. ص ١٣٠.
(٧) المرجع نفسه. المجلد ١١. ص ١٣٢.
(٨) المرجع نفسه. المجلد ١١. ص ١٣٣.
(٩) المرجع نفسه. المجلد ١١. ص ١٣٧.
(١٠) المرجع نفسه. المجلد ١١. ص ١٣٥.

وتتعدى الحال إلى معجزات وكرامات منسوبة لفاطمة مقتبسة من تلك المنسوبة للسيدة مريم، ففي ميلادها ظهر نور في السماء، وينسب لها رواية أنها قالت: «أنا من ذلك النور أعلم ما كان وما يكون وما لم يكن»[١] ولما طلب منها الرسول ﷺ طعامًا قدمت له جفنة مملوءة خبزاً ولحماً، ولما سألها من أين لك هذا؟ قالت: هو من عند الله[٢]. وهذه استعارة لما ورد في القرآن الكريم من أمر يحيى ومريم وأشياء كثيرة من هذا القبيل[٣].

وهذه الأوصاف تجعل الأئمة في أذهان هؤلاء القوم من الشيعة فوق مستوى البشر، فإذن لا بد أنهم مخلوقون خلقاً آخر يختلف عن سائر الناس، وهكذا تفتق ذهن الرواة والغلاة إلى وسيلة لتبرير ذلك، حيث ينقل المجلسي عن كتاب (فضائل الشيعة) للشيخ الصدوق ابن بابويه القمي مسنداً الرواية عن أبي سعيد الخدري، قال: كنا جلوسًا مع رسول الله ﷺ إذا جاء رجل فسأل عن القوم المعنيين بالآية: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾ فأجابه الرسول ﷺ: إن الذين هم أعلى من الملائكة، أنا وعلي وفاطمة والحسن والحسين، كنا في سرادق العرش نسبح قبل أن يخلق آدم بألفي عام[٤].. وعلى ذلك فالأئمة لم يخلقوا كخلق آدم الذي عصى ربه حينما أكل من الشجرة المحرمة بالجنة، بل إن الأئمة خلقوا من نور ظل معلقاً تحت عرش الرحمن قبل آدم بألفي عام. وهكذا يصل الفكر الغالي هذا إلى تبرير وتأكيد مبدأ عصمة الأئمة عند الشيعة[٥]. وإن ذرية آدم هم أولئك العصاة المخالفون

(١) المجلسي. البحار. المجلد ١٠. ص٣ - ٥.
(٢) المجلسي. البحار. المجلد ١٠. ص ١٠.
(٣) المجلسي. البحار. المجلد ١١٠. ص ١٠ - ٥٦.
(٤) المجلسي. البحار. المجلد ٥. ص٣٩.
(٥) المجلسي. البحار. المجلد ٥. ص٣٠-٤٠.

للشيعة، فتنسب رواية عن الصادق أنه ذكر أن آدم أنكر ولاية الرسول محمد ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين لما عرضت عليه، ولذلك رمته الجنة بأوراقها، فلما تاب وأقر بحق الخمسة عفا الله عنه، وذلك قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ﴾[1]. وهذه الروايات وأشباهها كثيرة في كتب الشيعة القديمة ما دفع الكثير من علمائهم وفقهائهم إلى القول: إن الأئمة أفضل من الأنبياء. بعضهم يخفف ذلك ويستثني محمدًا ﷺ. وذكر المجلسي أن أكثر الإمامية على هذا القول[2] وفي رواية أخرى قد اشتطت أكثر من ذلك، حينما أظهرت الإمام عليًّا أكثر توكلاً على الله من الرسول ﷺ. تضع الرواية الخبر عن ابن عباس أن النبي ﷺ لما جاع يوماً أتى متعلقاً بأستار الكعبة داعياً: رب محمد، لا تجع محمدًا أكثر مما أجعته، فهبط جبريل معه جوزة... فلما فتحها وجد فيها مكتوبًا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، أيدت محمدًا بعلي ونصرته به ما أنصف الله من نفسه، من اتهم الله في قضائه واستبطأه في رزقه[3]. ولنا أن نتساءل: ما الأسباب التي دفعت الشيعة إلى هذا القول الشطط في أئمتها؟

إن الدوافع السياسية مع الجهل وتأثرهم بالمعتقدات الأخرى هي أهم الأسباب.

(١) المجلسي. البحار. المجلد ٥. ص٥١.

(٢) المجلسي. البحار. المجلد٦ ص (مجلد ٦ غير مرقم الصفحات وهذه تقع تقريباً ما قبل الصفحة الأخيرة بستين صفحة. وهذا يوضح مقالة الخميني في تفضيل الأئمة على الأنبياء التي استنكرها العالم الإسلامي.

(٣) المجلسي. البحار. المجلد ١٥. القسم الثاني. ص١٥٦ – ١٥٧.

الفصل السادس

ممارسات وعادات

الصلاة عند اليهود

كانت صلاة اليهود القدماء عبارة عن تقدمات من ثمار أو ذبائح، وهذه القرابين كانت تقدم على أيدي الكهنة (انظر التكوين ١٨/ ٢٣ و٢٠/ ١٧)، وغيرها كثير.

وبعد ذلك ظهرت بينهم الصلاة كعبادة ودعاء من الرب، ولم تكن في البداية إجبارية بل اختيارية، انظر المشنا (البركات ٣٢).

ثم ظهرت بينهم الصلاة المحددة بالكيفية بالترانيم والمزامير، وهناك صلاة مخصوصة في مناسبات وأعياد مختلفة، وكانت الصلاة في البداية مرتين، ثم صارت ثلاث مرات في اليوم، واستقرت على ذلك (انظر أخبار الأيام الأولى ٢٣/ ٣٠)، وقبلتهم في الصلاة إلى أورشليم.

وعند بعض اليهود الصلاة تتم بواسطة الملائكة أو بعض منهم يدعونهم كشفعاء.

ولليهود صلاة كثيرة متنوعة، يهمنا منها هنا صلاة الدعاء للمسبين، وهم فرقة من اليهود (انظر أشعيا ١١/ ١٣، إرميا ٥١/ ٢٧)، ونسمي هذه الصلاة بـ: (قبوحى جلوت)، وهناك صلاة بخلافها وهي صلاة (هملشيم) الصلاة ضد الصدفيين (المزامير ٨١/ ٥١)، ومما ذكر عن صلاة يهود يثرب، أنهم كانوا يصلون العشي عند اشتباك النجوم، ولهذا ورد نهي

الرسول ﷺ، في المدينة أن يؤخروا المغرب، حتى اشتباك النجوم؛ كيلا يتشبهوا بصلاة اليهود.

الصلاة عند الشيعة

لا تختلف صفة الصلاة عمومًا عند الشيعة عن بقية المذاهب الإسلامية، إلا في بعض التفاصيل والفروع.

وهذه التفاصيل والفرعيات نجدها غالبًا فيما يسمى بمستحبات الصلاة التي عقد لها صاحب اللمعة الدمشقية الفصل الرابع من كتابه، وهذه المستحبات هي: (ترتيل، التكبير، ورفع اليدين... والتوجه بست تكبيرات ... ثم يذكر المؤلف الأدعية التي تقال في الصلاة، وكثير منها أدعية ضد مخالفيهم[١])، واستخدموها بدوافع سياسية، ونسبوها إلى أئمة آل البيت.

وأدخل الشيعة في أدعية الصلاة، الدعاء ليس للنبي وآله، وإنما يسمون أئمتهم الاثني عشر بأسمائهم، كما يضيفون التبرء من أعدائهم، وأجازوا الصلاة خلف المخالف لهم في العقيدة تقية[٢]، كما للشيعي الإفطار تقية مجاراة للولاة[٣].

وصلاة الميت عند ابن بابويه خمس تكبيرات، والسبب أنها خمس؛ لأن الصلاة المكتوبة خمسة أوقات، كما أورد أن النبي كان يكبر على بعض الموتى بخمس، والبعض بأربع[٤]، (على المنافقين أربعًا)، وهذا من أجل التفرد؛ لأن المسلمين يكبرون على الميت أربعًا.

(١) زين الدين الجبعي العاملي: الروضة البهية، شرح اللمع الدمشقية، جـ١، ص٨٢.
(٢) ابن بابويه القمي: من لا يحضره الفقيه، ص١٢٨.
(٣) ابن بابويه القمي: من لا يحضره الفقيه، ص٢٥٣.
(٤) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، جـ١، ص ٣٥٢ - ٣٥٣.

ويذكر ابن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ) في كتابه من لا يحضره الفقيه، أن بعض علماء اليهود جاؤوا للنبي ﷺ، وسألوه عن علة الاغتسال من الجنابة دون البول والغائط؟ وما ذلك في رأيي إلا تقريب لمشروعية الأخذ عند اليهود، وأنهم أصحاب علم شرعي![١].

ونقل ابن بابويه عن النبي ﷺ، قوله: إن فاطمة ليست كأحد النساء إنها (لا ترى دمًا في حيض ولا نفاس كالحورية)[٢].

وروى ابن بابويه عن الإمام الصادق قوله: «إنما كره النظر إلى عورة المسلم، فأما النظر إلى عورة من ليس بمسلم، مثل النظر إلى عورة الحمار»[٣].

وينقل ابن بابويه علومه الفقهية عن طريق يهودي، سأل الرسول ﷺ عن علة وجوب الصلوات الخمس، فيأتي الرد بأن تلك مواقيت كان فيها آدم قد تاب من معصيته هو وزوجته[٤].

وقد أدخل غلاة الشيعة في الصلاة كثيرًا من الأدعية المخالفة لقواعد الشيعة وآدابها، ما دفع بعض المصلحين الشيعة إلى الإنكار عليهم، إشاعتها بين العامة أو تدريسها أو تحفيظها لهم في الصلاة، أو كجزء مكمل للصلاة أو الأدعية، ومن هؤلاء المصلحين: أبو الفضل اليرفعي القمي الذي كتب كتابه (الخرافات الوافرة في زيارة القبور)، وكذلك حيدر علي القمي الذي كتب في الزيارات وأدعية المزارات.

(١) ابن بابويه القمي: من لا يحضره الفقيه، ص ٣١ مؤسسة الأعلمي - لبنان، ٢٠٠٥.
(٢) المصدر السابق: ص٣٥.
(٣) المصدر السابق: ص٤٣.
(٤) المصدر السابق: ص٨٥.

وفي كتاب علل الشرائع لابن بابويه القمي تفاصيل كثيرة، وعلل مبتدعة، أضافها رجال الشيعة على الصلاة، في حين أن صفة الصلاة في الإسلام لا تحتمل الكثير من الخلاف حولها؛ لأنها منقولة عمليًا عن النبي ﷺ[1].

لقد وقع الشيعة وعلماؤهم في المسائل الفقهية، والزيادة على الفرائض المكتوبة مثل ما وقع به سائر الملل من التزيد والابتداع لشتى الأسباب والعلل، وفي الصلاة خاصة نجد الكثير من ذلك، عند الكثير من فرق الصوفية.

وأشير هنا إلى تأخير الشيعة صلاة المغرب، عن بقية توقيت المسلمين عامة، فهم يصلونها في وقت مقاربة لاشتباك النجوم، وفي ذلك تشبه باليهود، أدخل هو من آثار ما تركه يهود يثرب، من عادة تأخر صلاة المغرب حتى اشتباك النجوم، وقد كان رسول الله ﷺ قد نهى عن ذلك[2].

المواسم والأعياد اليهودية والزيارات

يقدس اليهود يوم السبت يوم راحة، على تفاسير مختلفة عندهم، فبعضهم يرجعه إلى أنه يوم الخليقة، وآخرون كونه يوم خروج موسى وقومه من مصر، وآخرون يعللونه على أنه يوم راحة بعد تعب العمل لستة أيام، ولا يجوز فيه العمل ولا إيقاد النار، ولا الكتابة ولا الزواج، ولا تحل فيه الحرب الهجومية؛ ولذا ادعوا أن حروبهم كلها دفاعية، وحتى جيشهم للدفاع فقط.

وفي الأعياد اليهودية، توقد الشموع خاصة ما كان منها بهيجًا، وفي يوم الغفران، أو الكفارة يكفر فيه اليهودي، ويندم على ما اقترفه من آثام طيلة

(١) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، جـ٢، ص٥ - ٦٨، حيث أطال بتفاصيل وعلل غريبة، يحار القارئ من أين جاءت تلك العلل، والتفاصيل، وكيف تجمعت، وما مصادر الأخذ بها؟

(٢) ابن عبدالبر: الاستيعاب، جـ٤، ص١٤٦٣.

السنة الماضية، ويذكر الدكتور حسن ظاظا، أنه قد شاع بين بعض اليهود في هذا اليوم، يجوز التحلل من العهود والعقود وإنكار الديون و...[1]، وربما هذا ما أشار إليه القرآن الكريم عندهم في قولهم: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ (آل عمران: ٧٥)، لأن منطقهم يقول: إنه في آخر هذا اليوم، وبعد التحلل سيغفر الله لك!

زيارة قبور أولياء الشيعة ومواسمها

تحاط زيارة قبور الأولياء عند الشيعة مثل زيارة قبر الإمام علي رضي الله عنه أو ولده الحسين رضي الله عنه، بالكثير من القداسة والمبالغة، لدرجة أدخلوا فيها الكثير من المبتدعات، كسؤال صاحب القبر أن يشفع له، أو يعطيه كذا، أو يشفيه من مرض، ولكن الأنكى من كل ذلك تركيزهم في الزيارة على لعن من يسمونهم بالنواصب، بدءًا بالخلفاء الراشدين وبني أمية، ثم شمل جميع أعدائهم.

ذكر ابن بابويه في كتابه من لا يحضره الفقيه، وهو يعد من المعتدلين الإمامية، يذكر جملة من الأدعية مثلاً عند زيارة قبر علي والحسين رضي الله عنهما، وينسب تلك الأدعية للأئمة، فمن دعاء طويل أورده للتلاوة على قبر علي رضي الله عنه: «... ولعن الله من خالفك، ولعن الله من افترى عليك، ولعن الله من غصبك، ولعن الله من بلغه ذلك، ورضي به و...»[2].

وفي زيارة قبر الحسين رضي الله عنه، ذكر حديثًا طويلاً ورد فيه: «... بكم تنبت الأرض ... بكم تنزل السماء مطرها ... بكم يكشف الله الكرب ... بكم ينزل الغيث ... لعنت أمة خذلتكم ...»[3].

(١) المصدر السابق: ص١٦٨ - ١٦٩.
(٢) ابن بابويه القمي: من لا يحضره الفقيه، ص٤١٠.
(٣) المصدر السابق: ص٤١١.

أمـا المصـادر التي كتبت في العصـر الصفوي حيث اطمـأن كاتبوها، وأمنوا العقوبة، فتذكر اللعن صريحًا بأسماء الخلفاء، أو أسماء مخالفيهم، أو بالصفـات والنعوت، التـي تواضعوا عليها في كتاباتهـم وأحاديثهم، مثل: صنمي قريش الجبت والطاغوت[1].

ويستعين أفراد الشيعة برجال دينهم لمعرفة أفضل يوم للسفر، أو عقد الـزواج، وفي كتـب الفقه تعاليم في أيـام الشهر التي يأتي بهـا الرجل أهله، فكأنمـا لهـم تعلق بالنجـوم وبؤستها، فـأول الشهر ووسطه وآخـره، أو برج العقـرب، مثلًا كلها لا تصلح للزواج، حيث لا يأمـن الرجل أن يأتي له بولد، مجـذوم أو ذي صفة ذميمـة[2]، ويتشاءم الشيعة من يوم الأربعاء، فقد جمع ابـن بابويـه القمي ما حصل من مآسٍ منذ خلق آدم إلـى العصور المتأخرة كلها، حصلت يوم الأربعاء[3].

عزاء الحسين

مـن أقدم الإشـارات إلى الحزن الجماعي مـا ورد في ملحمة كلكامش (في حدود ٣٢٠٠ قبل الميلاد)، حيث خاطب كلكامش محبوبته الإلهة عشتار حينمـا عرضـت الزواج عليه، قال: «من أجل تمـوز حبيب صباك قد قضيت بالبـكاء سنـة بعد سنة». وتموز إلـه الربيع عند البابليين الـذي صوروه براعٍ شـاب مات في زهـرة شبابه، فنزلـت الالهة عشـتروت إلى جهنـم؛ لتأخذه وتعيده إلى الحياة.

(١) المجلس: بحار الأنوار، المجلد، ص.
(٢) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، جـ٢، ص٢٢٧ - ٢٣٢.
(٣) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، جـ٢، ص٣٢٢

ثـم توجـه هذا البـكاء الجماعي عنـد الطرفين في بابل عنـد مناسبة مـوت الإله مـردوخ، وقد انتقلت هذه العادة إلى اليهـود (حينما كشف الرب لبنـي إسرائيل ما اطلع عليه حزقيال حينما وجد نسوة على باب الرب يبكين تمـوز). كما كان الصابئة في العـراق يبكون أيضاً على نبيهم تاوز الذي قتله ربه وطحن عظامه وذراها في الريح، ولدى طائفة الخرمية في العراق وفارس القديم عادة البكاء على نبيهم شروين المولود من أب زنجي وأم فارسية.

ويذكر أن أبا مسلم الخراساني في العصر العباسي أعلن الحداد سبعة أيـام علـى روح يحيى بن زيـد، وعلى الرغم من أن الرسـول ﷺ قد نهى عن النياحـة على الميت وشق الجيوب، فإن هذه العادة وبشكل جماعي ظهرت في العـراق وفارس عند الشيعة بمناسبة مقتل الإمـام الحسين، واتخذت طابعاً منظمـاً في العصـر البويهي في العـراق وفارس، حيث سـاد التشيع كثيراً في الأقطـار الإسلاميـة. وفي عهد الصفويين اتخذ عـزاء الحسين والبكاء عليه شكلاً مسرحيًّا، حيث يجري تمثيل مقتل الحسين بشكل مفجع ومؤثر[1].

وقد سبب وجود الشيعة حول قبر الحسين في كربلاء نوعاً من التنظيم السياسي للشيعة، ما دفـع الخليفة العباسي المتوكل إلى طرد من حول القبر وحرثـه مرتين، حيـث أخفى موضعه ولكن رجع الشيعـة - خاصة في العصر البويهـي - إلى التجمع حول القبر وزيارته، وتكونت حوله قصص ومعجزات لا تزال تدور عند الشيعة. وقد دونتها كتبهم منذ القديم، فتذكر الروايات أن الإمام الصادق بعث إلى أحد أصحابه المرضى شراباً فيه طين قبور آبائه[2]. وتحدث المجلسي في كتابه (بحار الأنوار) في ثلاث صفحات من القطع الكبير

(١) د. كامل مصطفى الشيبي. الفكر الشيعي والنزعات الصوفية. ص٤٤- ٥٠.
(٢) المجلسي. البحار. المجلد ١٤. ص ٣٠٤.

حول تحريم أكل الطين إلا طينة قبر الحسين، فإنها كما يذكر شفاء[١]. ونقل المجلسي رواية في كتاب التهذيب عن الإمام الصادق في تفسير قوله تعالى: ﴿شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ﴾ : هو الفرات، والبقعة المباركة المذكورة في القرآن هي كربلاء[٢]. وينقل المجلسي رواية عن الإمام أبي جعفر الصادق أنه قال: «خلق الله أرض كربلاء قبل أن يخلق أرض الكعبة بأربعة وعشرين ألف عام، وقدسها وبارك عليها»[٣]. ولا شك أن في ذلك تطاولاً ومبالغة قصد بها دفع الشيعة إلى زيارة كربلاء، وقد قال شاعرهم:

وفي حديث كربلاء والكعبة لكربلاء بان علو الرتبة

ففي هذه الزيارة فوائد جمة للشيعة، منها الفوائد المالية والاجتماعية والسياسية، كما لا يخفى ذلك. ومثل هذه الروايات تكونت حول قبور أولياء الشيعة وأئمتهم، وليس فقط حول قبر الحسين وزيارته. منها ما نقله المجلسي من كتاب الأمالي للشيخ الصدوق عن الإمام الرضا قوله في حياته ،وكان تنبأ في قوله : إنه سيموت ويدفن بفارس (مشهد) فقال: «... فمن زارني في غربتي كتب الله له ﷻ مئة ألف شهيد، ومئة ألف صديق ومئة ألف حاج ومعتمر، ومئة ألف مجاهد، وحشر في زمرتنا»[٤]. كما أورد المجلسي روايات كثيرة بأن الدعاء حول قبر الرضا مستجاب، وذكر أن ركن الدولة البويهي أوصى الشيخ الصدوق أن يدعو له عند قبر الرضا، ففعل. وشخص طلب عند قبر الرضا أن يرزقه الله بولد ذكر فاستجاب الله دعاءه[٥]. وقد

(١) المصدر السابق. ص٣٢٢- ٣٢٥.
(٢) المصدر السابق. ص ٣٣٥.
(٣) المصدر السابق. المجلد ١٤. ص ٤٩.
(٤) المجلسي. البحار. المجلد ١٢. ص ٨٤. موسى الموسوي. الشيعة والتصحيح. ص٩٣.
(٥) المصدر السابق. ص ٩٥.

اعتـاد الشيعـة حينما يزورون قبـور أئمتهم ومنهم الحسـين، أن يتلوا صيغًا معينـة يتلونها في هذه المناسبة، وفي بعض هذه الصيغ شدة وتجريح للخلفاء الراشديـن، وتنديد بظالمـي الأئمة من أمويين وعباسيـين، واعتراف بفضل الأئمـة، وأنهـم وحدهم أصحـاب الحق في الولايـة والإمامـة دون غيرهم، ويوصفون بصفات فوق البشر. ولكون زيارة كربلاء تتم عادة في موعد محدد بين محرم وصفر، وتكون الاجتماعات في قمتها في اليوم العاشرة من محرم يوم مقتل الحسـين فإن علماء الشيعة ومخططي حركتهـم يستفيدون كثيراً مـن مجيء هذه الوفود الشيعية من شتـى أقطار الأرض، فيقومون بتعليمهم وحثهم على أخذ تعاليمهم.

ومـن مراسيم الحـداد والعـزاء على مقتـل الحسين مـا يجري لدى الشيعة في كربلاء وفي غيرها مـن البلاد كالهند والباكستان وإيران ولبنان اللطم على الخدود وشق الجيوب والعويل والبكاء أو التباكي ولباس السواد، والأشـد من ذلك يجـري أيضاً ما يسمى بضرب القامـات (السيوف) على الجباه وضـرب الأكتاف بالسلاسـل. وهي عادات أدخلهـا الصفويون على عـزاء الشيعـة؛ رغبـة في توحيدهم ضد الخلافـة العثمانيـة السنية؛ لأنها كانـت في نزاع دائـم معهم، فكان البلاط الصفوي يعلـن رسميًّا الحداد في العشـرة الأيام الأولى من محـرم، وكان الشاه عباس الصفوي الذي حكم إيـران ما يقرب من خمسين عامـاً يلبس بنفسه السواد في عاشوراء، ويلطخ جبينـه بالوحل، ويتقـدم مواكب العزاء. ويرى الدكتـور موسى الموسوي: أن عادة القامـات والضرب على الأكتاف بالسلاسل عـادة وفدت على الشيعة مـن شيعة الهند الذين شجعهم الإنجليز على ذلـك، وجلبوا لهم السلاسل والقامات لهذا الغرض، وذكر أيضاً أنه لعهد قريب كانت السفارة البريطانية

في طهران وبغداد تمولان مواكب العزاء الحسينية بهذه المعدات؛ لأغراض استعمارية منها تأصيل الخلاف بين السنة والشيعة، وإظهار الإنكليز في استعمارهم لهذه البلاد بأنهم إنما يحكمون أناساً متوحشين يحتاجون إلى من يدخل المدينة عليهم [١].

وقد نادى كثير من علماء الشيعة في العصر الحديث إلى وجوب التوقف عن هذه البدعة، نخص منهم في سوريا السيد محسن الأمين العاملي وقبله السيد أبو الحسن الموسوي في العراق وإيران وحفيده الآن السيد الدكتور موسى الموسوي [٢].

(١) د. موسى الموسوي. الشيعة والتصحيح. ص٩٩.
(٢) المصدر السابق. ص١٠٠.

obeikandl.com

الفصل السابع

الزواج

الزواج عند اليهود

الأصل عند اليهود أنه لا يصح الزواج إلا بين إسرائيلي وإسرائيلية، فإذا كان أحدهما غير إسرائيلي بطل العقد، بل اشترط أحدهم اتحاد مذهب الزوجين، فإذا اخترقت هذه القاعدة أصبحت المعاشرة بين الزوجين غير مشروعة، والأولاد غير شرعيين، ويخرج عن هذه القاعدة اجتهادات، نصت على صحة الزواج إذا دخل أحد الطرفين في الديانة اليهودية وكان غير يهودي، والقواعد السابقة نصت عليها مشاريع عدة للقوانيين عند الإسرائيليين، في أزمان مختلفة[1]، والحقيقة أن اليهودية بوصفها ديانة عنصرية، بدليل أن اليهودي وإن كفر بدينه، فإن ذلك لا يخرجه من شرعية زواجه وأولاده بخلاف ما هو مقرر في الإسلام، وعند اليهود، زواج (اليبوم) وهو وجوب زواج الإسرائيلي زوجة أخيه الميت، فإن لم يكن لأخيه الميت منها ولد، فإن الولد البكر من زواج الأخ زوجة أخيه الميت ينسب للميت، وفي هذا تشابه مع بعض زواج الفرس الساسانيين القدماء، حيث كان عندهم زواج الاستعارة، والأبناء يكونون للزوج المعير[2].

(١) حسن ظاظا: المصدر السابق، ص١٩٢.

(٢) انظر كتابنا الزواج المؤقت ص، بيروت ٢٠٠٠م.

وفرقة القنانين من اليهود فرقة غالية، عمد كاهنها فنحاس إلى قتل اليهودي الذي تزوج بأجنبية غير يهودية، كما جاء في المشنا (القضاة) أن القنانين كانوا يقتلون كل من تزوج بآرامية[١].

الزواج المؤقت عند اليهود

في كتابنا الزواج المؤقت قديمًا وحديثًا[٢]، أوضحنا أن اليهود قديمًا في العراق بعد السبي البابلي، وكتابتهم في العراق، للتلمود البابلي يبدو أنهم مارسوا الزواج المؤقت ليلة، أو ليلتين، على حد تعبير أحد حاخاماتهم، جاء في التلمود البابلي ما نص ترجمته من الإنجليزية من قبل: (الرآبان جيدال (GIDDAL)، قال باسم الرابي (RAB): الضيف يجب ألا يأكل البيض ولا ينام على كساء مضيفه، حينما جاء الرابي (RAB)، إلى دار دشير كان يعلن: من تود أن تكون لي ليوم واحد، وحينما الرابي نحمان (RAB NAHMAN) يأتي إلى شكنزب كان يعلن: «من ترغب أن تكون لي ليوم واحد ...»[٣]، وقد تناول شراح التلمود اليهود هذا النص بكثير من التأويل تعرضنا له في كتابنا المذكور.

المتعة عند الشيعة الإمامية

زواج المتعة عند الشيعة الإمامية لا يحتاج إلى إثبات، فأكثر المصادر الفقهية تتعرض لحليته وتورد عليه الأسانيد الشرعية، وتذكر أن التحريم

(١) حسن ظاظا: المصدر السابق، ص٢١٨.
(٢) دار الحرف العربي، بلبنان ٢٠٠٦م.
(٣) انظر قسم يباموث من النسخة المترجمة للإنكليزية للتلمود البابلي، والمطبوع في مطبعة سانسيمو بلندن ص٢٣٥.

للمتعة من عمل عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد قمت بتحقيق مخطوطة الشيخ محمد بن محمد بن نعمان المفيد (٤١٣هـ)، المسماة (خلاصة الإيجاز في المتعة)، أوجز فيها المفيد حجج الشيعة، ورد فيها على قول السنة بتحريمها، وقد نشرتها ضمن كتابي المذكور (الزواج المؤقت)، كما أفردت تفصيلاً لمن كتب عن المتعة قديمًا من الشيعة، وأفردها في بحث أو كتاب، ما يدل على أهمية هذا الموضوع عندهم، وكتب فقه الشيعة تفرد عادة بابًا خاصًّا للمتعة يطول أو يقصر، فمثلًا: ورد في كتاب من لا يحضره الفقيه لابن بابويه القمي، ذكر حلية المتعة، والأحاديث الواردة في هذا الباب، ثم ذكر صفات المرأة المتمتع بها، فكان السائل يسأل الإمام الصادق عن التمتع بالجارية الصغيرة؟ (عن محمد بن مسلم سألته عن الجارية يتمتع بها الرجل؟ قال: نعم، إلا أن تكون صبية تخدع، قلت: أصلحك الله، وكم الحد الذي بالغته لم تخدع؟ قال: ابنة عشر سنين)[١].

الربا والطعام والشراب عند اليهود

الربا بين يهودي ويهودي آخر محرم عندهم وجائز مع غير اليهودي، والنظرة العنصرية واضحة مع هذا المنحنى، على الرغم من كون العاملات المالية شأن إنساني.

ويحرم عند اليهود أكل لحم الأرنب؛ لأنه ذا أنياب وأظفار، كما يحرم عند اليهود أكل الأسماك الملساء التي لا أصداف ولا زعانف لها كسمك (الجري) في العراق.

(١) ابن بابويه القمي: من لا يحضره الفقيه، ص٥٨٥.

تحريم أكل الأرنب والسمك الجري عند الشيعة

جاء في كتاب من لا يحضره الفقيه، لابن بابويه القمي، حديث عن جعفر الصادق قوله: (لا تأكل الجري ولا الطحال).

وسأل سائل أبا جعفر عن أكل الكنعد من السمك، فقال: لا بأس. فاعترضه السائل أن ليس له قشر (كالجري)؟ فرد الإمام أن ذلك من سوء خلقها تحشك بكل شيء[1]، ونقل عن الصادق أنه لا تأكل من الشاة الفرث والطحال والدم والنخاع.

وجاء في كتاب علل الشرائع، لابن بابويه القمي، رواية وضعها راوية عن بلال «أن رسول الله ﷺ، حرم الجري والضب والحمر الأهلية، ألا فاتقوا الله، ولا تأكلوا من السمك إلا ما كان له قشر، ومع القشر فلوس ...»[2]، ورواية أخرى ذكر فيها أن رسول الله ﷺ، حضر ليتغدى مع قوم، فأخذ خبزًا فلما علم أن مرقهم سمك جري تركهم، وقام لم يأكله...

وقد أورد ابن بابويه القمي، أحاديث عدة أورد فيها تحريم أكل الأرنب، وجاء في تعليل ذلك: «ومسخت الأرنب لأنها كانت امرأة تخون زوجها، ولا تغتسل من حيض ولا جنابة ...»[3].

بعض أحكام الربا عند الشيعة

ورد في كتاب الروضة البهية، شرح اللمعة الدمشقية للشهيد زين الدين الجبعي العاملي في باب الربا: «ولا ربا في المعدود، ولا بين الوالد وولده،

(١) ابن بابويه القمي: من لا يحضره الفقيه، ص٥٤١، وما بعدها.. وانظر المفيد: الاختصاص، ص١٣٧.

(٢) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، جـ٢، ص١٧١.

(٣) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، جـ٢، ص١٩٨.

ولا بين الزوج وزوجته، ولا بين المسلم والحربي، إذا أخذ المسلم الفضل»، ويتخلص من الربا أيضًا «بأن يبيعه بالمماثل ويهبه الزائد» في عقد واحد[1].

وينقل ابن بابويه القمي، في كتابه علل الشرائع، حديثًا عن داود بن فرقد، أنه سأل الإمام الصادق، عن مال الناصبي فقال: «توه ما قدرت عليه»، وهذا يعني فيما يبدو ضيع على الناصب ماله[2]، ويشكو أحد الرجال لإمامه من استقامة العامة على الخلق القويم، بينما شيعتهم فيهم من يشرب الخمر، ويزني، ويلوط، ويفعل المنكرات، ولكنه يقر بالولاية، فيفسر له إمامه أن ما شاهده من خير في العامة إنما يعود إلى طينة الشيعة الطيبة التي خلقوا منها، وما شاهده من انحراف بعض الشيعة وعمل الموبقات إنما هو من عمل طينة العامة التي خلقوا منها؛ لأن الله قد مزج بين الطينتين في خلقه[3]، وفي آخر الحديث أوصى الإمام السائل أن ذلك من الأسرار، فلا يذيعه إلا لمؤمن مستبصر!!

(١) الروضة البهية شرح اللمعة الدمشقية: زين الدين الجبعي العاملي. جـ١، ص٣١٩، دار الكتاب العربي بمصر.

(٢) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، جـ٢، ص٣٢٦.

(٣) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، جـ٢، ص٣٣٣ - ٣٣٥.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الثامن

التحريف والتأويل

تعطيل بعض الأحكام زمن التشرد

ظهر بين طائفة اليودجانية اليهودية والمنسوبة إلى أبي عيسى (عويديا)، من يهود أصفهان في القرن الأول الهجري، زمن خلافة عبد الملك ابن مروان، فادعى النبوة، من بعده ادعى تلميذه يودجان هو الآخر الادعاء النبوة، وجمع اليهود على كيان قومي، وعند موته، ادعى أتباعه أنه هو المسيح المنتظر وأنه سيرجع.

إن أهم تعاليم هذه الطائفة القول بعدم وجوب إقامة الشعائر اليهودية يوم السبت أو في غيره، وأن تعطل الشريعة ما دام اليهود متشردين لا قوة تحميهم، وأغرقت هذه التفرقة بالتفسير الباطني لنصوص التوراة، وجاؤوا بشروح وتأويلات باطنية المعاني مما تخدم فكرهم الديني وأغراضهم البعيدة، وفكرة تعطيل الشريعة ظهرت في طوائف كثيرة من اليهود، منهم طائفة (الشادجانية)[1].

وسنة ٢٧٦ هـ، ظهر في الكوفة يهودي يظهر الإسلام، اسمه ميمون ابن ديصان، المشهور بالقداح، وأصله رجل دين يهودي، أظهر تفسيرات باطنية لبعض نصوص القرآن الكريم والحديث الشريف، تخدم فكر الشيعة بدعواهم الخاصة بحق آل بيت علي رضي الله عنه، بالولاية والخلافة، وكان هذا الرجل مولى لجعفر بن محمد الصادق[2].

(١) حسن ظاظا: المصدر السابق، ص٢٤٦.

(٢) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص٢٨٢.

تعطيل بعد الأحكام زمن الغيبة عند الشيعة

ذكرنا فيما سبق أن الشيعة تعرضوا في تاريخهم الطويل إلى التشرد والضياع، كما حصل لليهود ما عدا أحقاب تاريخية استثنائية، إذا ما قيست بتاريخهم الطويل، ويعبر الشيعة عن تلك المدة من الضياع بالغيبة، وهي المدة التي غاب عنهم فيها الإمام الثاني عشر، وغياب الإمام يستتبعه عندهم بعض الأحكام الشرعية على تفاصيل واختلاف فيما بين فقهائهم، ولكن عمومًا قيل: إن تنفيذ الأحكام الشرعية تتعطل منها إقامة الحدود وصلاة الجماعة في المساجد، والجهاد في سبيل الله، خاصة جهاد الطلب وغير ذلك من الأحكام التي عادة ما ينهض بها الإمام.

إن ظهور فكرة ولاية الفقيه أريد بها سد تلك الثغرة من عدم إقامة تلك الأحكام، خاصة حينما توافر للشيعة إقامة دولة، كما هي الحال في إيران اليوم.

لقد ورث المجتمع الشيعي عمومًا عدم الاهتمام بإقامة صلاة الجماعة، حتى في المساجد، وذلك للسبب الوارد أعلاه، فترى حتى في إيران الناس يدخلون فرادى، فيصلون في المساجد ويخرجون، عدا بعض الفقهاء يرى وجوب إقامة الجمعة.

لقد شجع الإنكليز شيعة الهند وإيران أيام الاحتلال البريطاني على فكرة تعطيل الجهاد في سبيل الله، برغم أنه جهاد دفع الاحتلال والغزو الأجنبي.

تحريف اليهود للتوراة

إن تحريف اليهود لكتبهم خاصة التوراة مثبت لا خلاف فيه، فقد ذكرت هذه الحقيقة في القرآن الكريم: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ (النساء: ٤٦)، وفي آية أخرى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ (المائدة: ٤١)، وتدل نصوص التوراة نفسها على أن كاتبها غير نبي الله موسى، بل إن النص ينسب بالقول له، ومرة أخرى ينسب القول إلى الرب، وهذا يدل على أنها كتبت بعد عصر موسى بمدة طويلة، برغم ادعاء بعضهم أن موسى هو الذي كتبها، ومن ناحية ثانية أن هناك نصين مختلفين للتوراة: نص التوراة العبرية، ونص التوراة السامرية، وبينهما اختلاف كبير في كثير من المواقع، وقد درس ليكرك تلك الفروق وبين مواضعها واختلاف النص فيما بينها، في التسمية أو الأعداد، أو مجيء نص مجمل وآخر مفصل.

ويرى المستشرق الألماني نولدكه أن التوراة جمعت في عصور مختلفة من كتبة عدة، فقد بدأ جمعها بما يقرب من قرن من الزمان بعد موت موسى، وهذا يفسر احتواء التوراة على جذور ديانة الإسرائيليين الوثنية في عبادتهم للإله يهوه، وهو صنم عند المحققين[1]، وقد ذكرنا سابقًا نسبة كتابة التوراة إلى عزرا الكاتب، وذلك بعد السبي البابلي المشهور.

تحريف بعض الشيعة لنص القرآن

إن أكثر المتقدمين من الشيعة يرون أن القرآن جرى عليه بعض التحريف زيادة أو نقصًا، وخالفهم قلة في ذلك، حيث يرون أن القرآن هو ما بين الدفتين، وأكثر الشيعة الإمامية المتأخرين على هذا الرأي، وقد

(١) حسن ظاظا: المصدر السابق، ص، وانظر ص ، من هذا البحث.

حققنا ذلك بالتفصيل في كتابنا جذور التشيع، وعمومًا فإن أكثر ما يدور عليه النقصان عندهم هو سقوط النص بولاية علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقد أورد الكليني في كتابه الكافي رواية تنص أن الآية الآتية نزلت هكذا: (سأل سائل بعذاب واقع، للكافرين (بولاية علي) ليس له دافع)[1].

وفي تفسير علي بن إبراهيم القمي ذكر في معرض تفسيره للآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ (النور: ٦٢)، قال: «هذه الآية في سورة النور وأخبار (غزوة أحد) في سورة آل عمران، فهذا دليل على أن التأليف على خلاف ما أنزل الله»[2].

وفي معرض تفسيره للآية: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ (آل عمران: ١٢٣)، قال القمي: قال أبو عبدالله الصادق: ما كانوا أذلة وفيهم رسول الله ﷺ، وإنما نزل: لقد نصركم ببدر وأنتم ضعفاء، وعند تفسيره للآية: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ﴾ (النساء: ٦٤)[3]. قال: «عن أبي جعفر عليه السلام قال: ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك يا علي، واستغفر لهم الرسول، لوجدوا الله توابًا رحيما» هكذا نزلت[4].

وذكر القمي في تفسيره آية محرفة أخرى، وهي: (لقد تاب الله بالنبي على المهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة). وقال: قال الإمام الصادق: هكذا نزلت، وهم أبو ذر وأبو خيثمة وعمر بن وهب، الذين تخلفوا ثم لحقوا برسول الله ﷺ[5].

(١) الكليني، الكافي: الأصول، ص٧٠٠.
(٢) القمي: تفسير، جـ١، ص١٢٥.
(٣) القمي: تفسير، جـ١، ص١٢٩ - ١٣٠.
(٤) القمي: تفسير، جـ١، ص١٥٠.
(٥) القمي: تفسير، جـ١، ص٢٩٧.

كما ذكر القمي أن الآية الآتية نزلت هكذا: (وإذا قيل لهم ما أنزل ربكم في علي قالوا أساطير الأولين)[١]. إن تفسير القمي مليء بالزيادة والتحريف، خاصة ما تعلق بذم أبي بكر وعمر رضي الله عنهما أو ما تعلق بالزيادة في ولاية الإمام علي بن أبي طالب[٢].

وليس القرآن وحده قد ناله التحريف، ولكن أمورًا كثيرة عمد رجال الشيعة وعلماؤهم، بأن ينفرد الشيعة عن بقية المسلمين، في أحكام الإسلام، وقد سيطرت هذه الفكرة على الشيعة إلى درجة قول علمائهم المنقول: (خالفوهم فإن الحق ما خالفهم)، ومقتضى الخلاف طبعًا يدفع إلى التحريف والتأويل، فقد لحق التحريف بأبسط الأشياء، حتى في القبلة في الصلاة، حيث قد أمروا بالانحراف في القبلة إلى اليسار على دعوى إصابة القبلة بالحجر الأسود[٣].

والشيخ المفيد (محمد بن محمد بن النعمان ٤١٣ هـ) من الذين يرون وقوع التحريف بالقرآن، وفي أثناء كتبه إشارات على ذلك، منها ما جاء في كتابه (الاختصاص) أن الآية التاسعة من سورة الجمعة نزلت هكذا: (إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فامضوا إلى ذكر الله)[٤].

نقل إلينا أن فريقًا من الشيعة يدعون بوجود سورة أسموها (سورة النورين)، يزعمون أنها من القرآن، ولكن المخالفين حذفوها منه، وقد تولى الدكتور إبراهيم عوض[٥]، نشر هذه السورة ودراسة صياغتها اللغوية خاصة،

(١) القمي: تفسير، جـ١، ص٣٨٥.
(٢) القمي: تفسير، جـ٢، ص٢٦٠.
(٣) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، جـ٢، ص١٠ - ١١.
(٤) المفيد: الاختصاص. ص١٢٩، بيروت ١٩٨٢م.
(٥) د. إبراهيم عوض: سورة النورين (التي يزعم فريق من الشيعة أنها من القرآن الكريم)، دار زهراء الشرق، القاهرة.

أثبت فيها استحالة أن تكون من القرآن الكريم؛ لخروجها عن سياقه، ومعناه اللغوي خاصة، ونورد أدناه نص السورة المزعومة؛ ليطلع عليها القارئ:

نص السورة المزعومة

بسم الله الرحمن الرحيم (يا أيها الذين آمنوا آمِنوا بالنورين أنزلناهما يتلوان عليكم آياتي ويحذرانكم عذاب يوم عظيم * نوران بعضهما من بعض وأنا السميع عليم * إن الذين يوفون ورسوله في آيات لهم جنات النعيم * والذين كفروا من بعد ما آمنوا بنقضهم ميثاقهم وما عاهدهم الرسول عليه يُقذَفون في الجحيم * ظلموا أنفسهم وعصوا الوصي الرسول أولئك يُسقون من حميم * إن الله الذي نورَّ السموات والأرض بما شاء واصطفى من الملائكة وجعل من المؤمنين * أولئك في خلقه يفعل الله ما يشاء لا إله إلا هو الرحمن الرحيم * قد مكر الذين من قبلهم برسلهم فأخذهم بمكرهم إن أخذي شديد أليم * إن الله قد أهلك عادًا وثمودًا بما كسبوا وجعلهم لكم تذكرة فلا تتقون * وفرعون بما طغى على موسى وأخيه هارون أغرقته ومن تبعه أجمعين * ليكون لكم آية وإن أكثركم فاسقون * إن الله يجمعهم في يوم الحشر فلا يستطيعون الجواب حين يُسألون * إن الجحيم مأواهم وأن الله عليم حكيم * يا أيها الرسول بلغ إنذاري فسوف يعلمون * قد خسر الذين كانوا عن آياتي وحكمي معرضون * مثل الذين يوفون بعهدك أني جزيتهم جنات النعيم * إن الله لذو مغفرة وأجر عظيم * وإن عليًا من المتقين * وإنا لنوفيه حقه يوم الدين * ما نحن عن ظلمه بغافلين * وكرّمناه على أهلك أجمعين * فإنه وذريته لصابرون * وإن عدوهم إمام المجرمين * قل للذين كفروا بعدما آمنوا طلبتم زينة الحياة الدنيا واستعجلتم بها ونسيتم ما وعدكم الله ورسوله ونقضتم العهود من بعد توكيدها وقد ضربنا لكم الأمثال لعلكم تهتدون * يا أيها الرسول قد أنزلنا إليك آيات بينات فيها من يتوفاه مؤمنًا ومن يتوليه من بعد يظهرون * فأعرض عنهم إنهم معرضون * إنا لهم محضرون * في يوم لا يغني عنهم شيء ولا هم يرحمون * إن لهم جهنم مقامًا عنه لا يعدلون * فسبح باسم ربك وكن من الساجدين * ولقد

أرسلنا موسى وهارون بما استُخلِف فبغوا هارون فصبر جميل فجعلنا منهم القردة والخنازير ولعناهم إلى يوم يبعثون * فاصبر فسوف يبصرون * ولقد آتينا لك الحكم كالذين من قبلك من المرسلين * وجعلنا لك منهم وصيًا لعلهم يرجعون * ومن يتول عن أمري فإني مرجعه فليتمتعوا بكفرهم قليلاً فلا تسأل عن الناكثين * يا أيها الرسول قد جعلنا لك في أعناق الذين آمنوا عهدًا فخذه وكن من الشاكرين * إن عليًا قانتًا بالليل ساجدًا يحذر الآخرة ويرجو ثواب ربه قل هل يستوى الذين ظلموا وهم بعذابي يعلمون * سنجعل الأغلال في أعناقهم وهم على أعمالهم يندمون * إنا بشرناك بذريته الصالحين * وإنهم لأمرنا لا يخلفون * فعليهم مني صلوات ورحمة أحياء وأمواتا يوم يبعثون * وعلى الذين يبغون عليهم من بعدك غضبي إنهم قوم سوء خاسرين * وعلى الذين سلكوا مسلكهم مني رحمة وهم في الغرفات آمنون * والحمد لله رب العالمين.

إن أول ظهور لفكرة نقصان القرآن والزيادة فيه ظهرت عند الغلاة من الشيعة، وتسربت آراؤهم وأحاديثهم المنسوبة للأئمة عن هذا الموضوع لكتب الشيعة من المتأخرين، ولم يستطع متقدمو الشيعة الإمامية على العموم التخلص من هذه الأخبار المنسوبة في هذا الباب إلى أئمتهم، بل أثبتوها في أمهات كتبهم، شأنها شأن كثير من الأخبار التي تفرد بها الشيعة عن غيرهم من المذاهب الإسلامية. وقد اعتقد بعض الإمامية بفكرة حصول النقص في القرآن دون الزيادة فيه. وبعضهم الآخر ذهب إلى حصول النقص والزيادة معاً، وقلة من الإمامية ذهب إلى عدم حصول نقص وزيادة، وإنما القرآن هو الموجود بين الدفتين، الذي لا خلاف فيه بين جميع المسلمين كما هو رأي السيد المرتضى. ولشناعة القول بنقص القرآن أو الزيادة فيه فقد كان مادة للإنكار على الشيعة طيلة العصور جرّت عليهم الويلات الكثيرة من خصومهم كما سنفصل ذلك.

عـن علي بن الحكم بن هشام بن صالح عن أبي عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إن القرآن الذي جاء به جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وآله سبعة عشر ألف آية»[١].

وفي روايـة مطولة عـن أبي بصير عـن أبي عبـدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «.... قال: قلـت: وما مصحف فاطمة عليهـا السلام؟ قال: مصحف فيـه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد»[٢].

ويذكـر علي بن إبراهيم القمـي[٣] في تفسيره، وهو من أقدم التفاسير عند الشيعة أن: «القرآن منه ناسخ ومنسوخ منه... ومنه على خلاف ما أنزل الله، ومنـه رد على من أنكر المتعة والرجعـة... ومنه مخاطبة الله عَزَّ وَجَلَّ لأمير المؤمنين والأئمـة..»[٤]. ثم أورد روايات تنسب إلـى الإمام أبي عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بـأن الآيات الآتيـة هي القراءة الصحيحـة للقرآن، وتفصل كيـف أنها على خلاف ما أنزل الله منها: «كنتم خير أمة أخرت للناس».

«الذيـن يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعل لنا من المتقين إمامًا».

«لـه معقبات من خلفه ورقيـب من بين يديه ومن خلفـه يحفظونه من أمر الله».

«لكـن الله يشهـد بمـا أنـزل إليـك (في علي) أنزلـه بعلمـه والملائكة يشهدون».

---

(١) الكليني. الكافي. جـ٢. ص ٦٣٤ والمعروف أن القرآن ٦٢٣٦ آية.
(٢) الكليني. الكافي. جـ١. ص ٢٤٠.
(٣) معاصر للإمام الحسن العسكري الإمام الحادي عشر توفي سنة ٣٠٧هـ.
(٤) علي بن إبراهيم القمي. تفسير القمي. جـ١. ص ١٧-٢٠. (بيروت ١٩٩١ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات).

وهذا من قبيل ما هو محرف من القرآن كما يقول القمي. ومثله:

«يـا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك (في علي) وإن لم تفعل فما بلغت رسالته»[١].

وفي تفسـير العياشـي، وهو محمد بـن مسعود بن عياشـ السلمي من طبقة الكليني أورد رواية عن ميسر عن أبي جعفر قال: «لولا أنه زيد في كتاب الله ونقص منه ما خفي على ذي حجى»[٢].

وتـتردد روايـات كثـيرة منسوبـة للأئمـة بوقـوع التحريـف في القـرآن عـن جملـة مـن رجـال الشيعـة ومفسريهـم الأقدمـين منهـم محمـد بـن محمـد الصفـار القمـي المتوفـى سنة ٢٩٠هـ، وفـرات بـن إبراهيـم الكـوفي، وسليم بـن قيس العامـري، وسعد بن عبـدالله القمي، ومحمد بن مسعود العياشي[٣] وغيرهم كثير من رجال القرن الثاني والثالث، حتـى ليخيـل للباحث أن هذه هـي عقيدة الشيعـة الإماميـة في القرآن دون خلاف بينهم في تلك المدة.

ولكن بعد الانفتاح الاجتماعي الذي حصل للشيعة في القرن الثالث وما بعده وسيـادة مذهب التشيع في الأمصار الإسلامية على يـد البويهيين والفاطميين تعرضت عقائد الشيعة للانتشار والبحث بين المسلمين، ظهرت بين بعض علماء الشيعـة الإماميـة آراء مختلفة أو معدلـة أو بعضها متناقضـ في مسألة نقص القـرآن أو الزيادة فيه أو وقوع التحريف فيه، فهذا الشيخ محمد بن محمد بن النعمان المفيد (المتوفى ٤١٣هـ) قد نسب القول في كتابه المسائل السروية:

(١) المصدر السابق. ص ٢٢ – ٢٣.
(٢) العياشي. تفسير. جـ ١. ص ١٣.
(٣) آغابزرك. الذريعة. جـ ٤. ص٤٨٨ – ٥٠٠.

«..إن الـذي بين الدفتين من القرآن جميعـه كلام الله وتنزيله، وليس فيـه شيء آخـر من كلام البشر... غير أن الخبر قد صـح عن أئمتنا عليهم السـلام أنهم قد أمروا بقراءة ما بين الدفتـين، وألا نتعداه إلى زيادة فيه أو النقصـ منه إلـى أن يقوم القائـم ﷺ، وإنما نهونا عن قـراءة ما وردت به الأخبار من أحرف تزيد على الثابت في المصحف؛ لأنها لم تأتِ على التواتر، ولأنـه متـى ما قرأ الإنسان بمـا يخالف ما بين الدفتين غـرر بنفسه من أهل الخلاف، وأغرى به الجبارين وعرض نفسه للهلاك، فمنعونا...»[1].

وقـال المفيد في كتـاب آخر: «.... اتفقت الإماميـة على وجوب رجعة كثـير من الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامـة، واتفقوا على إطلاق البداء في وصـف الله تعالـى، واتفقوا علـى أن أئمة الضلال خالفـوا في كثير من تحريـف القرآن، وعدلوا فيـه على موجب التنزيل وسنـة النبي ﷺ، وقال في موضـع آخر «... إن الأخبـار قد جاءت مستفيضة عـن أئمة الهدى من آل محمـد ﷺ باختلاف القرآن، وما أحدثه بعض الظالمين فيه من الحذف والنقصـان»[2].

ويلاحـظ الباحث أن الذين قالـوا بحصول التحريـف والنقصان من قدمـاء أوائـل الشيعة الإماميـة الغالب فيها تدور على آيـات متعلقة بالولاية أو متعلقـة بحـذف أسماء أشخاص، وذلك بإسقاط اسم علـي أو الأئمة في رأيهم[3]. ولكـن المتأخرين من الإمامية والذين ذهبـوا مذهب هؤلاء وسعوا الخـرق، وأوردوا آيـات ادعـوا سقوطها أو سور بكاملها. وهـذه آفة قد عمت

(١) المفيد. المسائل السروية كما حكاها عنه المجلسي في كتابه "مرآة العقول".
(٢) المفيد. أوائل المقالات. ص ١٣ وص ٥٤.
(٣) القمي. تفسير القمي. جـ١. ص ٢٠ – ٥٠.

جميع الفرق، حيث تبدأ الدعوى بسيطة وصغيرة، ربما يكون أصلها مجرد تأويل أو تفسير أو تكون انحرافاً من مغرض، ثم بعد ذلك يتزايد فيها أهل الأهواء، فتتسع جيلاً بعد جيل، وهذا ما حصل تماماً في موضوع دعوى الأوائل، نقلوا رواياتهم في التحريف ولم يعلقوا عليها بالقبول أو الرفض، كما فعل الكليني، وعد سكوته عند بعضهم موافقة منه، وهكذا شأن الشيعة الإمامية لم يستطيعوا تنقية عقائدهم من آراء الغلاة ليس فقط في مسألة التحريف، وإنما هذا الأثر واضح كل الوضوح كما رأينا عند دراسة معتقدات الشيعة. وحينما جاء المتأخرون من بعض علماء الإمامية كانت مهمتهم عسيرة جدًّا في نفي حصول التحريف كما نرى.

ومن القائلين بالتحريف أيضاً أبو منصور أحمد بن علي الطبرسي صاحب كتاب الاحتجاج بحصول التحريف في القرآن، وأن القرآن الكامل هو ما كتبه الإمام علي في زمن النبي وتوارثه أبناؤه بعده، وفي هذه النسخة صريح كلام الله تعالى بأسماء من اقترفوا الآثام، وارتكبوا الكبائر، وصدوا عن سبيل الله، لكن كتَّاب القرآن من الصحابة زمن عمر وعثمان غيروها وجعلوها كنايات. ولا يرى الطبرسي مسوغاً لذكر أسماء المبدلين ولا ذكر الزيادة في آيات القرآن؛ لأن في ذلك تقوية لحجج أهل الباطل، فيقول:

«وليس يسوغ من عموم التقية التصريح بأسماء المبدلين ولا الزيادة في آياته على ما أثبتوه من تلقائهم في الكتاب؛ لما في ذلك تقوية حجج أهل التعطيل والكفر و... ولأن الصبر على ولاة الأمر مفروض فحسبك الجواب عن هذا الموضع ما سمعت، فإن شريعة التقية تحظر التصريح بأكثر منه»[1].

(١) الطبرسي. الاحتجاج. جـ١. ص٣٧١.

ويقـول في موضـع آخر مـن كتاب الاحتجـاج: «ولو شرحـت لك كل ما أسقـط وحرف وبدل ما يجري في هذا المجـال لطال، وظهر ما تحظر التقية إظهاره من مناقب الأولياء ومثالب الأعداء»[1].

ومـن القائلـين بحصـول التحريـف في القرآن مـن متأخـري الشيعة الإماميـة العلامـة المجلسي، ونعمة الله الجزائري والحـر العاملي والعلامة الفتوني والسيد البحراني وملا محسن الكاشاني وغيرهم.

فقـد ذكر محمد باقـر المجلسي (تـوفي سنة ١١١١هـ) أن عثمان بن عفـان رضي الله عنه حذف مـن هذا القرآن ثلاثـة أشياء: مناقب أمـير المؤمنين علي وأهـل البيت وذم قريش والخلفاء الثلاثة مثل آية: «يا ليتني لم أتخذ أبا بكر خليـلاً». وهو يرى أن أخبار التحريـف جاءت متواترة ولا سبيل إلى إنكارها، وأنه إذا أسقطنا أخبار التحريف، فإن ذلك يؤدي أيضاً إلى نفس الحجة إلى إسقاط أخبار الإمامة، فلا سبيل إلى ذلك [2].

أمـا نعمـة الله الجزائري فقد قـال في كتابه: (الأنـوار النعمانية في بيـان معرفـة النشـأة الإنسانيـة): «إن تسليـم تواترها (القـراءات) عن الوحي الإلهي وكون الكل قد نزل به الروح الأمين، يفضي إلى طرح الأخبار المستفيضـة بل المتواتـرة الدالة بصريحها على وقـوع التحريف في القرآن كلاماً ومادة وإعراباً، مع أن أصحابنا قـد أطبقوا على صحتها والتصديق بهـا... والخاص أنه قـد استفاض في الأخبار أن القرآن كما أنزل لم يؤلفه إلا أمـير المؤمنـين بوصية مـن النبي، فبقي بعـد موته ستة أشهـر مشتغلاً بجمعـه، فلما جمعه كما أنزل أتى به إلى المتخلفين بعد رسول الله ﷺ فقال

(١) الطبرسي. الاحتجاج. جـ١. ص٣٧٧ – ٣٧٨.
(٢) المجلسي. مرآة العقول. جـ ١٢. ص٥٢٥. طهران. ١٤٠٠. مطبعة الحيدري.

لهـم: هذا كتـاب الله كما أنزل، فقال عمر بن الخطـاب: لا حاجة لنا إليك ولا إلى قراءتك عندنا قرآن جمعه وكتبه عثمان، فقال: لن تروه بعد هذا اليوم، ولا يـراه أحد حتى يظهر ولد المهـدي، وفي هذا القرآن زيادات كثيرة وهو خالٍ من التحريـف... ولما جلس أمير المؤمنين علـى سرير الخلافة لم يتمكن من إظهار ذلك القرآن وإخفاء هذا؛ لما فيه من إظهار الشنعة على من سبقه...».

وقـال الجزائـري: «إن الأصحـاب قـد أطبقـوا علـى صحـة الأخبـار المستفيضة بل المتواترة الدالة بصريحها على وقوع التحريف في القرآن كلاماً ومادة وإعراباً والتصديق بها»[1].

وأمـا البحراني هاشـم (المتوفى سنـة ١١٠٨هـ) فقد قـال في مقدمة تفسـيره المسمى بالبرهان: «... اعلـم أن الحق الذي لا محيص عنه بحسب الأخبـار المتواتـرة الآتية وغيرها أن هذا القرآن الـذي في أيدينا قد وقع فيه بعـد رسول الله ﷺ شيء مـن التغييرات، وأسقط الذين جمعـوه بعده كثيراً مـن الكلمات والآيات»[2]. وحكم على الشيخ الصـدوق بأنه قد توهم في رأيه من كون القرآن هو ما بين الدفتين. ويذهب محمد بن مرتضى المشهور بملا محسـن الكاشـاني (توفي سنة ١٠٩١هـ) إلى أخطر من ذلـك تأسيساً على ما يـراه وغيره من تواتر الأخبار المتعلقة بتحريـف القرآن، إذ قال: «.... لم يبـقَ لنا اعتماد علـى شيء من القـرآن، إذ على هذا يحتمـل كل آية منه أن يكون محرفاً ومغيراً، ويكون على خلاف ما أنزل الله» فلم يبقَ لنا في القرآن حجـة أصلاً، فتنتفـي فائدته، ويخطر في البال في دفع هـذا الإشكال والعلم

(١) نعمة الله الجزائري. الأنوار النعمانية. جـ٢. ص٣٥٧- ٣٥٩- (طباعة تبريز بإيران).
(٢) البحراني. البرهان. جـ١. ص ٣٦. وما بعدها. وقد ذكر واحدًا وعشرين حديثاً في هذا الباب جمعها من كتب الإمامية.

عنـد الله أن يقال: إن صحت هذه الأخبار فلعل التغيير إنما وقع فيما لا يخل بالمقصـود[1]». وفائـدة الأمر باتباعه والوصية بالتمسـك به إلى غير ذلك.. وردّ على الذين قالوا بعدم حصول التحريف أو الزيادة والنقص من الشيعة الإمامية فقال: «... كما أن الدواعي كانت متوافرة على نقل القرآن وحراسته من المؤمنين كانت كذلك متوافرة على تغييره من المنافقين المبدلين للوصية...» «... وأمـا كونه مجموعاً في عهـد النبي ﷺ ما هو عليه الآن، فلم يثبت وكيف كان مجموعاً وإنما كان ينزل منجماً»[2].

وذهـب أيضاً مذهب القائلين بالتحريف أبو الحسن العاملي بن محمد طاهر الفتـوني (المتوفى سنة ١١٣٨هـ) وهو تلميـذ محسن الكاشاني ونعمة الله الجزائري اللذين نقلنا مذهبهما سابقاً.

سـاق هـذا الشيـخ رأي القائلـين بالتحريف ممن سبـق ذكرهم هنا، وحرر رأي النافين للتحريف من الإمامية كالشيخ الصدوق والسيد المرتضى والطوسـي صاحب تفسير البيان ورد عليهم، وانتقد رأي القائلين بالتحريف على التفصيل الذي سنورده لاحقاً[3].

ومـن أشمل المؤلفات وأوسعها في موضوع نقص القرآن والزيادة فيه أو تحريفه عند الشيعة الإمامية ما كتبه حسين بن محمد تقي النوري الطبرسي (١٢٥٤هـ - ١٣٢٠هـ) المولود بطبرستـان والمتوفى في الكوفـة. كتب كتابه (فصـل الخطاب في تحريف كتـاب رب الأرباب) فجمع فيه ما ذكره سابقوه

(١) الكاشاني: تفسير الصافي. جـ١. ص٣٣- ٣٤.
(٢) المصدر السابق. جـ١. ص٣٥- ٣٧.
(٣) انظر: مقدمة تفسير البرهان للبحراني حيث طبع كتاب العاملي هذا معه والمسمى (مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار) ص ٣٦. طهران. ١٣٧٤هـ. مطبعة الأفتاب.

في هذه المقالة، فجمع أكثر من ألف حديث غطت معظم سور القرآن منسوبة للأئمة، تتضمن إما نقصاً أو زيادة أو مجرد تحريف في حروف القرآن. وفيه أيضاً رد على القائلين بعدم حصول الزيادة أو النقص أو التحريف، واعتبر رأيه هو المتواتر، وأن هؤلاء لا يعتد برأيهم؛ لكونه لا سند لهم من حديث كما هو مذهبه.

وقد أحدث هذا الكتاب ردود فعل شديدة، فأنكر عليه بعض علماء الشيعة الإمامية في حينه، ومنهم الشيخ محمود الطهراني في رسالته المسماة (كشف الارتياب عن تحريف الكتاب) كما فعل ذلك كثير من علماء الإمامية[1] ومنهم من اعتذر له كآغابزرك الطهراني صاحب الذريعة، وذلك برسالة صغيرة أسماها (النقد اللطيف) اعتذر فيها للنوري أنه لم يشتمل كتابه السالف على إثبات التحريف، بل على خلاف ذلك اشتمل على عدم التحريف[2].

وناصر النوري فيما ذهب إليه أيضاً جملة من علماء الإمامية منهم من ذكرهم صاحب الذريعة وهم ملا باقر بن إسماعيل الكاجوري في كتابه (هداية المرتاب في تحريف الكتاب). وملا محمد بن سليمان السليماني والشيخ هادي النجفي في كتابه (محجة العلماء) والخراساني في كتابه (الكفاية)[3].

(١) منهم الشريف الشهرستاني في كتابه (نزاهة المصحف) انظر: الذريعة. جـ ٢٤. ص ١٠٥.
(٢) آغابزرك. الذريعة. جـ٢٤. ص٢٧٨. جـ٤. ص٢٤٣.
(٣) آغابزرك. الذريعة. جـ٢٥. ص١٩١. جـ١٨. ص ٢٧. جـ١٦. ص٢٣٢. جـ٢٠. ص١٤٤. جـ٢٤. ص ١٠٥.

ومن الذين اعتذروا أيضاً أبو محمد الخاقاني حيث وصف النوري بأنه مجتهد، وقد أخطأ في مقولته هذه، وأن للمجتهد حسنة على مجرد اجتهاده. ومنهم كذلك السيد محمد الطباطبائي في تعليقه كتاب (الأنوار النعمانية) للجزائري حيث قال في النوري: «لم يكن غرضه اعتقاد التحريف. وكيف كان ما أجاد تأليفه ولا وافق الصواب في جمعه. وليته لم يؤلفه، وإن ألفه لم ينشره، وقد صار ضرره أكثر من نفعه، بل لا نفع يتصور في نشره، فإنه جهز السلاح للعدو، وهيأه وأداه إلى خصماء الإسلام»[1].

ومن قدماء النافين لحصول زيادة في القرآن أو النقص منه أو التحريف فيه من علماء الشيعة الإمامية الشيخ الصدوق المشهور بابن بابويه القمي والشريف المرتضى والشيخ الطوسي في كتاب التبيان، والطبرسي صاحب مجمع البيان لعلوم القرآن. ومن المتأخرين السيد كاشف الغطاء وأبو قاسم الخوئي ومحمد جواد البلاغي ومحمد تقي الحكيم ومحمد رضا المظفر وغيرهم.

فقد ذكر الشيخ الصدوق وهو محمد بن بابويه القمي (المتوفى سنة ٣٨١هـ) في كتابه (الاعتقادات): «... اعتقادنا أن القرآن الذي أنزله الله تعالى على نبيه ﷺ هو ما بين الدفتين، وهو ما بأيدي الناس وليس بأكثر من ذلك ومبلغ سوره عند الناس مئة وأربع عشرة سورة، وعندنا أن (الضحى) و(ألم نشرح) سورة واحدة، و(لإيلاف) و(ألم تر كيف) سورة واحدة. ومن نسب إلينا أنا نقول أكثر من ذلك فهو كاذب»[2].

(١) محمد مال الله. الشيعة وتحريف القرآن. ص١١٥. عمان الأردن. ١٩٨٥. حيث ينقل عن الخاقاني في كتابه (مع الخطوط العريضة). ص٣٣.
(٢) الطبرسي. مجمع البيان. جـ١. ص١٥

أمـا الشريف علم الهدى المرتضى (تـوفي ٤٣٦هـ) فقد نقل الطبرسي رأيـه في مقدمـة تفسيره المعـروف بمجمع البيـان، فقال عنـه: «... القرآن معجـزة النبوة ومآخذ العلوم الشرعية والأحكام الدينية وعلماء المسلمين قد بلغـوا في حفظه وحمايته الغاية، حتى عرفوا كل شيء اختلف فيه من إعرابه وقراءتـه وحروفه وآياته، فكيف يجوز أن يكـون مغيراً أو منقوصاً مع العناية الصادقة والضبط الشديد». وقال في موضع آخر أيضاً: «إن القرآن كان على عهد رسول الله ﷺ مجموعاً مؤلفاً على ما هو عليه الآن... وكان يعرض على النبي ﷺ ويتلى عليه، وإن جماعة من الصحابة مثل عبدالله بن مسعود وأبي ابن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبي ﷺ ختمات عدة، وكل ذلك يدل بأدنـى تأمل على أنه كان مجموعاً مرتبـاً غير مبتور ولا مبثور، وإن الخلاف في ذلـك مضاف إلى قوم مـن أصحاب الحديث نقولاً أخبـاراً ضعيفة ظنوا صحتهـا لا يرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع على صحته» وذكر المرتضى: «أن من خالف في ذلك من الإمامية والحشوية لا يعتد بخلافهم»[1].

وقـال الشيخ الطوسي، وهو محمد بن الحسـن الطوسي (المتوفى سنة ٤٦٠هـ)، وهـو تلميذ الشيـخ المفيد والسيـد المرتضى في التبيـان في تفسير القـرآن: «... وأمـا الكلام في زيادتـه ونقصانه، فمما لا يليق بـه أيضاً؛ لأن الزيـادة فيه مجمع على بطلانهـا، والنقصان منه فالظاهر أيضاً في مذهب المسلمـين خلافـه، وهو الأليـق بالصحيـح من مذهبنـا، وهو الـذي نصره المرتضـى وهـو الظاهـر في الروايـات... ورواياتنا متناصـرة في الحث على قراءتـه والتمسك بما فيـه، وردّ ما يرد من اختلاف الأخبـار في الفروع إليه وعرضهـا عليه في واقعـة عمل عليه، وما خالفه تجنـب، ولم يلتفت إليه. وقد

(١) الطبرسي. مجمع البيان. جـ١. ص١٥.

روي عن النبي ﷺ رواية لا يدفعها أحد أنه قال: «إني مخلف فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا: كتاب الله وعشيرتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض...».

وأضاف الطوسي: «وهذا يدل على أنه موجود في كل عصر؛ لأنه لا يجوز أن يأمرنا بالتمسك بما لا يقدر على التمسك به، كما أن أهل البيت ومن يجب اتباعهم حاصل في كل وقت، وإذا كان الموجود بيننا مجمعاً على صحته، فينبغي أن نتشاغل في تفسيره وبيان معانيه وترك ما سواه....»[1].

أما أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (المتوفى سنة ٥٤٨هـ) فقد قال في تفسيره مجمع البيان: «.... ومن ذلك الكلام نقص في القرآن وزيادته فإنه لا يليق بالتفسير، فأما الزيادة فيه فمجمع على بطلانه، وأما النقصان منه فقد روى جماعة من أصحابنا وقوم من حشوية العامة أن في القرآن تغييراً ونقصاناً، والصحيح من مذهب أصحابنا خلافه، وهو الذي نصره المرتضى قدس الله روحه، واستوفى فيه غاية الاستيفاء في جواب المسائل الطرابلسيات.... أن القرآن معجزة النبوة ومأخذ العلوم الشرعية والأحكام الدينية وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه وحمايته الغاية. إن العلم بتفسير القرآن وأبعاده في صحة نقله كالعلم بجملته، وجرى ذلك مجرى ما علم ضرورة من الكتب المصنفة ككتاب سيبويه والمزني. ومعلوم أن العناية بنقل القرآن وضبطه أصدق من العناية بضبط كتاب سيبويه [2].

(١) الطوسي. التبيان. جـ١. ص٣. ومن شدة اعتدال الطوسي في تفسيره هذا أن بعض الشيعة الإمامية قالوا: إن الطوسي وضعه مسايرة لعموم أهل السنة. وقد التبس أمر الطوسي على السبكي وحاجي خليفة في كشف الظنون وعدّوه شافعيًّا.

(٢) الطبرسي. مجمع البيان. جـ١. ص١٥. بيروت.

وقال محمد حسين آل كاشف الغطاء: «إن الكتاب الموجود في أيدي المسلمين هو الكتاب الذي أنزله الله إليه للإعجاز والتحدي ولتعليم الأحكام وتمييز الحلال من الحرام، وأنه لا نقص فيه ولا تحريف ولا زيادة، وعلى هذا إجماعهم، ومن ذهب منهم أو غيرهم من فرق المسلمين إلى وجود نقص أو تحريف، فهو مخطئ بنص الكتاب العظيم ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾. والأخبار الواردة من طرقنا أو طرقهم الظاهرة في نقصه أو تحريفه ضعيفة شاذة وأخبار آحاد لا تفيد علماً ولا عملاً، فإما أن تؤول بنحو من الاعتبار أو يضرب بها الجدار»[1].

وقال محمد رضا المظفر: «نعتقد أن القرآن هو الوحي الإلهي المنزل من الله تعالى على لسان نبيه الأكرم، فيه تبيان كل شيء وهو معجزته الخالدة.. لا يعتريه التبديل والتغيير والتحريف، وهذا الذي بين أيدينا نتلوه هو القرآن نفسه المنزل على النبي، ومن ادعى فيه غير ذلك فهو مخترق أو مغالط أو مشتبه، وكلهم على غير هدي، فإنه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه»[2].

ونقل عن أبي القاسم الخوئي رأيين متضاربين: أحدهما يقول فيه: إن المشهور في المذهب عدم حصول التحريف في القرآن[3]. والثاني يرى فيه القطع بحصول التحريف؛ وذلك لكثرة الروايات التي تقطع بحصوله[4]. ويرى محسن الأمين العاملي والخنيزي أن روايات التحريف تعد شاذة، وحاول الخنيزي نفي ما ورد عن الأئمة من هذه الروايات.

(١) كاشف الغطاء. أصل الشيعة وأصولها.
(٢) محمد رضا المظفر. عقائد الشيعة. ص٣٦. منشورات الحيدرية بالنجف. ١٩٥٤.
(٣) الخوئي. البيان. ص٢٢٦.
(٤) الخوئي. البيان. ص٢٢٢.

وبمثـل ما اعتذر بعض الإمامية لعلمائهم الأقدمين أو المتأخرين القول بنقص القرآن أو تحريفه، وحاولوا تأويل مقالاتهم كما سبق، فإن بعض شيوخ الإماميـة أيضاً حاولوا تأويـل مقولة النافين لحصول النقصـ أو الزيادة أو التحريف في القرآن بالقول على أن هذا الرأي صدر منهم على سبيل التقية، والمحافظـة علـى المذهب ورجاله من أن يبطش بهـم المخالفون الحكام. كما احتـج البعض أن النافين ليس لهم دليل، بـل بالعكس هم يخالفون الروايات المتواترة بنقص القـرآن أو زيادته أو تحريفه دون دليل مقبول، وإن رأيهم لا يستند لقول أحد من الأئمة المعصومين، كما هي القاعدة. نقل الشيخ النوري في كتابـه السالف (فصل الخطـاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب) أن السيـد نعمة الله الجزائـري قال: «إن الأخبـار الدالة على ذلـك تزيد على ألفـي حديث، وادعى استفاضتها جماعة كالمفيـد والمحقق الداماد والعلامة المجلسـي وغيرهـم» ونقل أيضاً عنـه: «أن الأصحاب قـد أطبقوا على صحة الأخبـار المستفيضة، بـل المتواترة الدالة بصريحها علـى وقوع التحريف في القرآن»[1].

وذكـر محسن الكاشاني في (تفسير الصـافي): «المستفاد من مجموع هـذه الأخبار وغيرها من الروايات من طريق أهـل البيت عليهم السلام أن القرآن الذي بين أظهرنا ليس بتمامه كما أنزل...»[2].

ونقـل النوري عـن المجلسي قولـه: «... وعندي أن الأخبـار في هذا الباب متواترة معنى، وطرح جميعها يوجب رفع الاعتماد على الأخبار رأساً، بل ظني أن الأخبار في هذا الباب لا يقصر عن أخبار الإمامة، فكيف يثبتونها بالخبر؟»[3].

(١) النوري. فصل الخطاب. ص٢٢٧. طباعة إيران سنة ١٢٩٨هـ.
(٢) محسن الكاشاني. الصافي.
(٣) النوري. فصل الخطاب. ص٢٢٦. وما بعدها.

وقد ذكر السيد نعمة الله الجزائري في كتابه (الأنوار النعمانية) اتفاق الشيعة على فكرة تحريف القرآن واعتراف أن المرتضى والصدوق والطبرسي والطوسي خالفوا هذا الرأي، ولكنه علل ذلك: «.... والظاهر أن هذا القول إنما صدر منهم لأجل مصالح كثيرة، منها سد باب الطعن... كيف وهؤلاء الأعلام رووا في مؤلفاتهم أخباراً كثيرة، تشتمل على وقوع تلك الأمور في القرآن...»[1].

وأما رأي الشيخ الطوسي النافي للتحريف كما ورد في تفسيره السالف الذكر، فقد ذكر في رد هذا الرأي وإضعافه أن الطوسي ألف تفسيره هذا مماشاة ومداراة للمخالفين، حيث نقل رأي قتادة والضحاك والسدي وابن جريج، ثم قال: «... ومما يؤكد وضع هذا الكتاب (التبيان) على التقية، ما ذكره السيد الجليل علي بن طاوس في كتابه (سعد السعود)»[2].

وذكر الكاشاني رادًّا على من يقول: إن الكليني في كتابه الكافي والشيخ أحمد بن أبي طالب الطبرسي في كتابه (الاحتجاج) إنما كانا ينقلان الأحاديث المروية في هذا الباب، دون ذكر رأيهم في مضمونها، حيث لا يجوز أن نعدهم من القائلين بحصول النقص في القرآن أو تحريفه، يقول ردًّا على ذلك: «... أما اعتقاد مشايخنا رحمهم الله في ذلك فالظاهر من ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني طاب ثراه أنه كان يعتقد التحريف والنقصان في القرآن؛ لأنه روى روايات في هذا المعنى في كتابه (الكافي) ولم يتعرض لقدح فيها مع أنه ذكر في أول الكتاب أنه يثق بما رواه فيه، وكذلك أستاذه علي بن إبراهيم القمي في تفسيره مملوء منه وله غلو فيه. وكذلك

(١) نعمة الله الجزائري. الأنوار النعمانية. جـ١. ص١٥٠ وما بعدها، جـ٢. ص٣٥٦ وما بعدها.
(٢) النوري. المصدر السابق. ص٢٢٦ وما بعدها.

الشيخ أحمد بن أبي طالب الطبرسي قدس سره أيضاً نسج على منوالهما في كتابه (الاحتجاج)[1].

ونقل الشيخ النوري عن الشيخ أسد الله الكاظمي في كتابه (كشف القناع) أن رأي الشيخ الصدوق في هذا الباب مضطرب، ولا يحصل من فتواه غالباً علم ولا ظن.. ثم قال: «هذا الخبر مأخوذ من الكافي وفيه تغييرات عجيبة تورث سوء الظن بالصدوق، وأنه فعل ذلك لتوافق مذهب أهل العدل»[2].

طعن اليهود بأنبيائهم

وبخلاف تقديسهم لأنبيائهم ورجال دينهم، وإضفاء العصمة عليهم، تجرأ اليهود في رمي بعض أنبيائهم بأخس الصفات، التي لا تليق بالإنسان العادي، فكيف بالنبي المرسل؟!

جاء في التوراة أن ابنتي النبي لوط، قامتا بسقيه خمرًا، واضطجعتا مع أبيهما دون وعيه، لأجل أن يكثرا نسل بني إسرائيل. (انظر سفر التكوين ٣٠ - ٣٦).

ورمت التوراة هارون بصنع عجل من ذهب بني إسرائيل، من أجل أن يعبدوه بعد غياب موسى عنهم (الإصحاح ٣٢/ ١ - ٤).

كما ترمي التوراة النبي داود بالزنى بامرأة أحد جنوده، فيأمر داود بإرسال الجندي إلى ساحة الحرب، فيقتل، فيضم المرأة إلى نسائه فيما بعد ما حملت منه. (الإصحاح ١١/ ٢ - ٦، وكذلك ١٤ - ١٦).

(١) الكاشاني. الصافي. ص ١٤.

(٢) النوري. فصل الخطاب. الدليل الحادي عشر في إثبات التحريف في القرآن.

وتصور التوراة النبي سليمان بأنه زير نساء إلى درجة أن العشاء قد أمكن قلبه عن الخالق. (الإصحاح ١١/ ١ - ٤).

والنصوص كثيرة في القدح بالأنبياء وبالربانيين، ووصفهم بكثرة شرب الخمر والسكر، والعربدة، لدرجة أن يضلوا في أحكام قضائهم بين الناس. (الإصحاح ٢٣/ ١١).

طعن الشيعة بأزواج الرسول محمد ﷺ وأصحابه والأنبياء

أورد علي بن إبراهيم القمي، في معرض تفسيره لآية الإفك: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ (النور: ١١)، قال: إن العامة (السنة) قالوا: نزلت في عائشة رضي الله عنها، وأما الخاصة (الشيعة)، فإنهم رووا أنها نزلت في مارية القبطية، وما رمتها به (عائشة)، وعلقت جهة التحقيق في الحاشية: (الظاهر أن هناك نقصًا)[1]، والنقص فيما يبدو هو رمي عائشة رضي الله عنها بهذا الإفك، وأما البراءة من الإفك الواردة في الآية، فهي براءة لمارية القبطية، حيث رمتها عائشة، وأنها ولدت إبراهيم من رجل حبشي، فجاءت البراءة لها في الآية، وليست البراءة لعائشة. كما أن في ذلك طعنًا على رسول الله ﷺ، فإذا كان الاتهام متوجهًا لذلك الحبشي الذي اكتشف علي بن أبي طالب أنه عنين أو مقطوع الذكر، فكيف يعلم علي رضي الله عنه شيئًا يجهله رسول الله ﷺ[2].

وفي موضع آخر من تفسير القمي، ورد الطعن واللعن على زوجة الرسول ﷺ حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما جميعًا، كما أورد اتهامًا

(١) القمي: تفسير، جـ٢، ص٧٥.
(٢) القمي: تفسير، جـ٢، ص٢٩٣.

لأبـي بكر وعمـر، وبعض الصحابة ﷺ بأنهم قـد عزموا أن يضعـوا السم للرسول ﷺ، ولكن جبريل أعلمه بذلك[1].

ثـم أورد القمي في تفسيره للآيـة: ﴿ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴾ (القلم: ١٣)، والآيـات بعدهـا اتهامات للخلفـاء الراشدين والصحابة، ممـا يترفع القلم عـن ذكره، قام محقق الكتاب بحذف بعضه، فوضع بدلها نقاطًا أو عبر عن أسمـاء الخلفاء بفلان وفلان، وهو المشهـور والمتكرر في كتبهم على ما يعلمه الدارسون[2].

وهـذا قد كتب في آخر القـرن الثالث الهجري، ومنه وعـن أمثاله نقل صاحـب بحـار الأنوار، محمد باقـر المجلسي في نهاية القـرن الحادي عشر الهجري، ونعمة الله الجزائري، وغيرهم من الشيعة الغلاة.

وعنـد تفسير القمـي للآيـة: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾ (المدثر: ١١)، الوحيـد ولـد الزنا، وهو زفـر، ﴿ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴾ (المدثـر: ١٢) أجلاً إلـى مـدة، ﴿ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴾ (المدثـر: ١٣) أصحابـه الذيـن شهـدوا أن رسـول الله ﷺ لا يـورث، ﴿ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ﴾ (المدثـر: ١٤) ملكه الذي ملكه، ﴿ إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴾ (المدثـر: ١٦) ولايـة أمير المؤمنين جاحـدًا[3]، وأترك للقارئ معرفة الاسم المعني هنا بزفر، فهو واضح من سياق الكلام.

وأورد ابـن بابويه القمـي في كتابه علل الشرائع نقـلاً وروايات في حق أنبيـاء الله، يعلل فيهـا العقوبة التي حلت بهم، فنبـي الله يعقوب عاقبه ربه

(١) القمي: تفسير، جـ٢، ص٣٦١.
(٢) القمي: تفسير، جـ٢، ص٣٦٧.
(٣) القمي: تفسير، جـ٢، ص٣٨٦.

بضيـاع ابنـه المحبوب له يوسف؛ لأنـه لم يطعم فقيرًا حل ببابـه، طالبًا سد رمقه من الجوع، وكذلك نبي الله يوسف، عوقب بالسجن؛ لأنه اختاره لنفسه لم يسأل العافية[١].

ولعـل ذلك من تأثير نقولهم من المصادر اليهودية التوراتية عن أنبياء بني إسرائيل.

ومثـل ذلك ما نقله ابن بابويه في سبب رمـي نبي الله يوسف بالسرقة تأويلًا للآية: ﴿إِن يَسْـرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ﴾ (يوسف: ٧٧)[٢]، كما رمـوا نبي الله يوسف بالتقية، حينما قـال للعير: ﴿إِنَّكُمْ لَسَـٰرِقُونَ﴾ (يوسف: ٧٠)، اتهمهم بالسرقة، وتقول الرواية وما هم بسارقين[٣].

كما روي أن يوسف عاقبه الله بقطع نسله، واستمرار نسل أخيه بنيامين؛ لأنـه لم ينزل عن كرسي عرشه، حينما قدم أبـوه وإخوته إليه، وإنما جعلهم أو تركهـم يخرون له سجدًا، وكان عليه أن يستقبل أباه ويخر له ساجدًا، بعد عذاب الأب الطويل من فقد ابنه[٤]، ونبي الله موسى لما أمده الله بالمعجزات الكثيرة وأغرق فرعون وجنوده ظن موسى أنه يعلم كل شيء، فسلط الله عليه عبدًا يدعى الخضر، علمه من علم الله ما لم يكن يعلم، ليدرك شدة جهالته واحتياجه إلى ربه[٥].

---

(١) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، جـ١، ص٦٥، وما بعدها.
(٢) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، جـ١، ص٦٧.
(٣) المصدر السابق: جـ١، ص٦٩.
(٤) المصدر السابق: جـ١، ص٧٢.
(٥) المصدر السابق: جـ١، ص٧٩٢.

وقد طعن كثير من علماء الشيعة بالصحابة والتابعين، والمصادر القديمة تنص على أن المسلمين، بعد وفاة الرسول ﷺ، ارتدوا إلا ثلاثة، أو إلا أربعة[١].

وقد توارد الطعن في مصادر الشيعة على السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وزوج رسول الله ﷺ، وبهتوها كما بهت اليهود مريم العذراء أم المسيح عليه السلام، وهم على علم بهذا البهتان مخالفين كلام الله، الذي أنزل ببراءتها مما نسب إليها، ويقرب الشيخ الطوسي الإمام علي رضي الله عنه من صورة المسيح، ناسبًا القول للرسول ﷺ: «يا علي، إن فيك شبهًا من عيسى ابن مريم، أحبته النصارى حتى أنزلوه منزلة ليس بها، وأبغضه اليهود حتى بهتوا أمه»[٢].

فكرة الحلول في اليهودية

تؤمن اليهودية بأن الله الواحد قد حل في شعب إسرائيل وباركه، فخصه دون غيره من الشعوب بتلك القداسة والبركة، كما أن الخالق أيضًا حل في أرض إسرائيل، فجعلها مباركة ومقدسة، ويتبع ذلك أن الله كان قد حل في نبيه موسى عليه السلام، فانتقلت تلك القداسة والبركة في نسل موسى والأنبياء بعده.

وقام علماء اليهود بتفسير نصوص التوراة الواردة في حق موسى والرسل الآخرين، وفي حق شعب إسرائيل وأرضهم بما يقتضي بهذه الفكرة، وقامت الفرق اليهودية بتوسيع هذا المفهوم والدفاع عنه بشتى الحجج الفلسفية[٣].

(١) الشيخ المفيد: الاختصاص. ص٧٩، ص٥، ٩، ١٠.
(٢) محمد بن الحسن الطوسي: الأمالي، ص٢٦١.
(٣) عبدالوهاب المسيري: الموسوعة اليهودية، مجلد٢، ص٢١، وما بعدها.

ولم تسلم الفرق الإسلامية - وخاصة الصوفية - من تأثرها بفكرة الحلول تلك، وادعت أن الله قد حل بمحمد ﷺ، فتحققت له العصمة، وأصبح ذلك الحلول عبارة عن نور محمدي، ينتقل في الأصلاب، ومن هنا جوز بعضهم الحلول في شيخهم الصوفي عن طريق العبادة والصوم والتجرد و... إلى أن يصل لمرتبة الحلول في الذات الإلهية.

التأويل الباطني عند اليهود

يرى بعض الباحثين أن اليهود أو فرقًا منهم، قد تأثروا بالفلسفة اليونانية، وذلك في القرن الأول الميلادي على يد المفكر اليهودي (فيلون)، عمد الفيثاغوريون اليونان إلى شرح قصص الميثولجيا، وعبادات الأسرار بشكل باطني غنوصي[1]، وبرع يهود الإسكندرية في الشرق بتأويل التوراة، وذلك بشكل رمزي، ففي شرحهم لسفر التكوين: أن الله خلق العقل في عالم المثال، ومنه خلق الإنسان على شكل آدم، وأعطاه الإحساس (أي حواء)، وانقاد إلى اللذة المرموزة بالحية، التي وسوست لحواء فولدت قابيل رمز الكبرياء، وانتقى منها الخير رمزًا لهابيل.

وأما آباء إبراهيم فرمزهم الكواكب، كما أولوا إبراهيم بأنه التنور، وسارة حق الفضيلة، ويرى بعض الدارسين أن السبب الدافع لهذا المنهج هو الهروب من المعنى الظاهر للنص؛ لكونه خرافيًّا وغير معقول، أو خاطئًا من الأساس وهي وسيلة لتصديق ما بيدهم من توراة.

فالنبي إدريس رمز له بالندم، ونوح والطوفان رمز للتطهير النفسي، والجنة رمز لشجرة الحياة، أما الوعود الواردة فهي مجرد رمز لخيرات

(١) الغزالي: فضائح الباطنية، ص١١، يوسف كرم: الفلسفة اليونانية، ص٢٤٨.

روحيـة[1]، وقد انتقلت هـذه الأفكار إلـى بقية المدارس الفكريـة في الشرق خاصة في أنطاكية وحران، والرها ونصيبين والحضر والحيرة.

وانتقـل التفسـير الباطنـي من اليهـودة أول الأمر إلـى مذاهب غالية كالخرميـة والقرامطة، ثم عم انتشـاره في الشيعة الإسماعيلية وغيرهم من فرق الشيعة.

صور بعض أنبياء بني إسرائيل منطبعة بالعرش

ورد في سفـر (حزقيال/ ١ - ٢٦)، أن صـورة النبي يعقوب رفعت إلى عرش الرحمن، وفي صـلاة اليهود المعروفة باسم (الهاجـاداة) يوردون أن صـورة الإنسـان الموجود في الجزء العلـوي من العرش السمـاوي هي صورة النبي يعقوب التي رفعت إلى العرش.

٣ - أثر اليهودية على الكيسانية من الشيعة

انتقلـت أفكار السبئيـة إلى الكيسانيـة، عن طريق حركـة المختار بن عبيـدالله الثقفي بالكوفة، وعبـدالله بن حرب، وبيان مـن سمعان، بل يبدو أن هنـاك صلـة مباشرة بين يهود الكوفة، والمغيرة بـن سعيد، وهؤلاء جميعًا أخـذوا من اليهودية أفكارًا باطنيـة، وقد أخذت الكيسانية التفسير الباطني من ابن سبأ في قضية الرجعة، حيث ادعوا برجوع إمامهم وأنه لم يمت.

أمـا عبدالله بن حرب فينسب لـه التأويل الباطني المتعلـق بالأسباط، ولم يستـحِ بيـان بن سمعان، فادعى أنه هو المعني بقولـه تعالى: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾ (آل عمـران: ١٣٨)، وينسـب إلـى أبي هاشم بن محمد ابـن الحنفية بن علي بن

(١) المصدر السابق.

أبـي طالب، أن أباه أفضى إليه بأسرار العلـوم وتقدير التنزيل، على التأويل وتصوير الظاهر على الباطن[١]، وعلى هذا النهج سار المغيرة بن سعيد وأبو الخطاب.

فكرة الحلول عند الشيعة

ذكر محمد بن إبراهيم النعماني (أبو زينب) من علماء القرن الثالث الهجري، في كتابه الغيبة، أمورًا يتضح فيها الاستعارة من التوراة وقصصها، وأنه يستفيد مما ورد في التوراة، لإقامة الدليل على ما يدعيه، فقد عقد باباً أسمـاه: (باب مـا روي في الأئمة الاثني عشر إمامًا، وذكـر ما يدل عليه من القرآن والتوراة)، ويذكر النعماني باب الإمامة وصية من الله لجبريل، أخبر بهـا النبـي ﷺ، ليسلمها لعلي بن أبي طالـب، وكل إمام يسلمها لمن بعده من الأئمة الاثني عشر[٢].

وفي موضع آخر يذكر النعماني أن الإمام الغائب فيه سنة من الأنبياء، فهـو شبه بيوسف وأنه ابن أمـة سوداء[٣]، وفي موضع آخـر وصف النعماني الإمام: «إن الله بعث الإمام عَلَمًا لخلقه، وجعله حجة على أهل طاعته، ألبسه تاج الوقار، وغشاه من نور الجبار، يمد بسبب من السماء لا ينقطع عنه».

ويتحدث النعماني عن نقول من الأحاديث، يذكر فيها أن الإمام الغائب إذا خرج: (يكون جبريل أمامه، وميكائيل عن يمينه، وإسرافيل عن يساره و...)[٤].

(١) الشهرستاني: الملل والنحل، جـ١، ص١٥١.
(٢) محمد بن إبراهيم النعماني: كتاب الغيبة، ص٢١، وما بعدها، ص٣٩، مؤسسة الأعلمي، بيروت ١٩٨٣م.
(٣) المصدر السابق: ص١٠٨.
(٤) المصدر السابق: ص١٥٤.

عبدالله بن ميمون القداح

كان يهوديًّا من ولد الشلعلع من مدينة السلمية بالشام، فأظهر الإسلام، وسكن بالكوفة، وكان من أحبار اليهود، على علم بالنجوم والفلسفة، وكانت دعوته في البداية إلى آل بيت رسول الله ﷺ، وذلك عن طريق التفسير الباطني للنصوص[1].

وقد عرفت تأويلات ابن القداح الباطنية عند العلماء المسلمين بالديصانية، ونسبت له فرقة بهذا الاسم، تركزت مبادئها الباطنية على هدم الإسلام، والتخفي تحت ستار التأويل الباطني، والانتصار لآل البيت عليهم السلام[2].

فرقة الكبالا (القبالا) اليهودية وعلاقتها بالتشيع

الكبالا فرقة يهودية، والكلمة عبرية تعني: (التلقي عن طريق التقاليد)، أي التلقي بالقبول، وكان منهجها الفكري هو التأويل الباطني الغنوصي، مع مزيج من التعاليم الروحية والفلسفية، ويعتقد الكبالا أن الله كائن مطلق، شاعر بوجوده، ينفث نفسه في عالم الأرواح والملائكة، وأن روح الإنسان تنتقل من جسم إلى جسم، ومردها إلى الله[3].

وقد انتقلت تعاليم هذه الفرقة إلى المسلمين بواسطة فرقة العيسوية، المنسوبة إلى أبي عيسى إسحاق بن يعقوب الأصفهاني، وقيل: إن اسمه الحقيقي: (عوفيد الوهيم)، وكان زمن الخليفة المنصور، وكان على شاكلته

(١) محمد بن مالك الحمادي: كشف الأسرار الباطنية والقرامطة، ص١٩٧.
(٢) د. أحمد شلبي: اليهودية. ٣١٨.
(٣) النشار: الفكر الإسلامي، جـ١، ص١٨٧.

كثير من اليهود في العراق خاصة، وعند بعض الباحثين أن هذه الفرقة هي سبب نشأة الشيعة الإسماعيلية التي اشتهرت فيما بعد بالتأويل الباطني[1].

وفي الفرق اليهودية الباطنية أيضًا فرقة المقاربة التي انتشرت أيضًا في ذلك الوقت، وأهم مقولاتها أن للتوراة معنى ظاهرًا وباطنًا، وهذا المقال تبنته كثير من فرق الشيعة، بل وزحف من الغلاة إلى بعض الشيعة الإمامية، ويمكن الرجوع إلى تفسير القمي، المشهور عند الاثني عشرية، ففيه الشواهد الكثيرة على التفسير الباطني للآيات، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾﴾ (الرحمن: ١٩)، أي علي وفاطمة يتزوجان، ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾﴾ (الرحمن: ٢٢) أي يولد منهما الحسن والحسين.

التأويل الباطني عند الشيعة

تأثرت بعض فرق الشيعة وبعض روايتهم بمنهج التأويل الباطني اليهودي السالف، والقارئ لكتب التفسير والحديث القديمة يجد بين طياتها إشارات للتأويل الرمزي، منها:

الجنابة: مبادرة المستجيب بإفشاء السر.

الغسل: تجديد العهد.

الزنا: إلقاء نطفة العلم الباطن في نفس من لم يسبق معه عقد.

الصيام: الإمساك عن كشف السر.

الكعبة: النبي محمد ﷺ.

(١) برنارد لويس: أصول الإسماعيلية، ص١٥٢، الشهرستاني: الملل والنحل، جـ١، ص٢١٦.

الباب: علي بن أبي طالب.

الطوفان: العلم أغرق به المتمسكون بالشبهة.

نار إبراهيم: غضب الملك نمرود.

ذبح إسحاق: أخذ العهد منه.

عصا موسى: حجته ضد فرعون.

يأجوج ومأجوج: أهل الظاهر.

الجنة والنار: أسماء رجال[1].

صور أئمة الشيعة منطبعة ومعلقة بالعرش

في كثير من مصادر الشيعة، يرد أن الله خلق آدم من طينة حمأ مسنون، أما خلق محمد الرسول ﷺ، والأئمة فإنه من طينة مختلفة خلقها الله قبل خلق آدم، وجعلها معلقة تحت العرش، ووضع في ظهر محمد ﷺ نورًا، وهذا النور انتقل منه إلى علي والحسن والحسين عن طريق فاطمة، هكذا إلى بقية الأئمة[2].

(١) الغزالي: فضائح الباطنية، ص٦٠، وما بعدها.
(٢) أجناس جولدزيهر: العقيدة والشريعة في الإسلام، ص٢٠٥.

obeikandl.com

الفصل التاسع

النقمة على المخالفين

١ - ستحل عقوبة الخالق بالمخالفين عند اليهود

تكرر التعاليم اليهودية انتقام الرب من العصاة والمخالفين، وذلك خاصة في (يوم الرب) (أخيرت هياميم = يوم الآخرة) (انظر حزقيال ١٢ / ٢١). وفي (الإصحاح ٤٩: التكوين).

«... يبرز كوكب من يعقوب، ويقدم صولجان من إسرائيل، فيحطم طرفي مؤاب...» أو «.. فيهلك كل نبي الوغى». أو: «يزلزل سائر بني شيت». وجاء في التلمود في باب «السنهدرين»: «.. إن أبانا إلياهو غضوب...» وفي الصلاة التاسعة عشرة التي أضافها صموئيل جاء في بعضها: «... لا تكن رجاء للوشاة بحيث يهلك كل البغاة توًا، ويستأصل كل أعدائك ومبغضيك عاجلًا فتقتلع وتحطم وتدمر ملك الفساد...». ويتكرر الدعاء بالخلاص مما هم فيه من اضطهاد وضيق.

فيكرر وعد الرب في التعاليم اليهودية أنه سينتقم لهم من أعدائهم وجلاديهم ومن آذاهم وقاتلهم، وأن عقوبة الرب ستحل بأعدائهم. وبسبب انكسار اليهود واضطهادهم قديمًا وما تعرضوا له من مآس ظهر بينهم صلاة ابتدعها رجال دينهم، تسمى صلاة الحزن، تتلى بصوت حزين وعبارات فيها تضرع وانكسار للرب: أن ينقذهم مما هم فيه من ضيق وعنت[١].

(١) انظر تفاصيل هذه التلاوة الحزينة ونصوصها عند حسن ظاظا: المصدر السابق، ص١٥٧-١٦١.

رأي اليهود مخالفيهم

يرى اليهود عمومًا حسب نصوص التوراة: والتلمود أن مخالفيهم من الأمم الأخرى إنما هم كفار وثنيون. وقد نص التلمود صراحة على كفر المسيح نفسه. وتبيح التوراة لليهود دماء مخالفيهم وأموالهم: «.. وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب نصيبًا، فلا تستبق منهم نسمة ما» (الإصحاح ٢٠-١٠-١٧).

إن اليهود في مصادرهم يستعملون كلمة (غويم) أو (غوي) للمخالفين من الأمم الأخرى، الذين يستحلونهم، إن تعاليم التلمود أشد وطأة على مخالفي اليهود ليس فقط في استباحة دمائهم وأموالهم، بل عدم جواز مساعدتهم وإنقاذ من يتعرض للهلاك منهم. وقد أباحت التوراة الذهب والفضة والمتاع الذي أخذه اليهود من المصريين في أثناء الخروج خلسة من مصر (الإصحاح: ٣-٢١-٢٢).

وأمرت التوراة اليهود بألا يقطعوا عهدًا، ولا يصاهروا، ولا يشفقوا على مخالفيهم (التثنية، الإصحاح ٢/٧).

والأمم الأخرى عند اليهود أمم نجسة، قامت طوال الوقت بتنجيس الأرض (الأوبين الإصحاح ١٨/٢٤-٢٨). وبسبب هذه النجاسة يحرم على اليهود طعام المخالفين وآنيتهم. وفي تعاليم التلمود غلو وتشديد على وجوب تجنب أن ينجس المخالف طعام اليهودي أو شرابه أو ملابسه بالملامسة أو عن طريق استعمال تلك الآنية أو الأثواب.. وما الأمم الأخرى في نظرهم إلا حيوانات مسخرة لخدمة اليهود.

اضطهاد اليهود

تعكس نصوص التوراة في كثير من المواضع غضب الرب على بني إسرائيل، لما قاموا به من عبادة العجل قديمًا ثم ما قاموا به من مظالم استحقوا عليها

العقوبة من الخالق. وقد تركز الشعور بالذنب والخطيئة عندهم، وبالغوا في تصويرها والعزف عليها واستغلالها لأغراضهم السياسية، وادعاء المبالغة في موضوع المحرقة هو آخر إبداعات الصهيونية؛ ولذا فإن الحزن صفة ملازمة لليهودي أينما حل، حزن على ما فات من تاريخ، وحزن على المجهول من المستقبل[١] . وقد استغل اليهود فكرة معاداة السامية للنيل من خصومهم في العصر الحديث، وأصبحت سبة يخاف منها الساسة الغربيون، فقد أخذت أبعادًا سياسية لخدمة أغراض الصهيونية العالمية[٢].

اضطهاد الشيعة

بسبب حركات الشيعة السياسية الفاشلة في العصر الأموي والعباسي ظلوا مضطهدين سياسيًّا، وبقيت عقائدهم سرية، لما فيها من مخالفة لمجموع ما عليه المسلمون. وتعكس هذه الحقيقة ما ورد في تفسير علي بن إبراهيم القمي رواية عن المنهال بن عمرو وعلي بن الحسن بن علي: أنهما سألا الإمام الصادق: كيف أصبحت؟ فرد عليهما: «أصبحنا في قومنا مثل بني إسرائيل في آل فرعون، يذبحون أبناءنا ويستحيون نساءنا، وأصبح خير البرية بعد محمد يلعن على المنابر و...»[٣].

ولشدة مراقبة السلطة السياسية لأئمة الشيعة لحقهم الكثير من المضايقات والأذى، وقد بثوا هذه الشكوى لمن حولهم، فنقلت إلينا الروايات الكثيرة الدالة على تبرم الأئمة مما حولهم، إلى درجة أنهم أعدوا ذلك الأذى

(١) محمد يونس هاشم: الدين والسياسة والنبوة. ص٣١٥.
(٢) عبدالوهاب المسيري: الموسوعة اليهودية. المجلد الأول ص١٣٧ وما بعدها.
(٣) القمي: تفسير. جـ٢، ص١١١.

جزءًا من الابتلاء، فكان لسان حال بعضهم قوله: «لو كان المؤمن على رأس جبل لقيض الله عز وجل من يؤذيه ليأجره على ذلك»[١].

ولصفات الشيعة السالفة فقد أورثوا في طبعهم الحدة، وهو الأمر الذي لاحظه راوي ابن بابويه القمي في علل الشرائع، حيث ذكر ذلك للإمام الصادق، فعلل له ذلك بأن الشيعة أدخلوا النار، فأصابهم منها وهج، فالحدة من ذلك الوهج، أما مخالفوهم فلم يدخلوا النار، فمن ثم لهم سمت ولهم وقار[٢].

هذا ولكون أكثر الشيعة ليسوا عربًا، وقد كانوا ينبزون بأنهم علوج أو نبط، فإننا نجد رد الفعل في الحديث الذي يرويه ابن بابويه القمي في علل الشرائع رافعاً شأنهم: «المؤمن علوي، لأنه علا في المعرفة، وهو هاشمي لأنه هشم الضلالة، وهو قرشي لأنه أقر بالشيء المأخوذ عنا، وهو عجمي لأنه استعجم عليه الشر، وهو نبطي لأنه استنبط العلم، وهو أنصاري لأنه نصر آل البيت، وهو مجاهد لأنه جاهد بالتقيَّة»[٣].

وتعكس المصادر الشيعية القديمة أن عموم الشيعة كانوا مع اضطهادهم الفكري السالف كانوا فقراء في المجتمع بالنسبة لمخالفيهم. ففي كتاب علل الشرائع يعلل ابن بابويه القمي لماذا كان المهر في الزواج عند أبناء جلدته خمس مئة درهم، بينما المخالفون مهورهم أربعة آلاف درهم[٤].

وحقيقة الفقر في المجتمعات تصاحب الجهل والمرض غالبًا. وينقل محمد باقر المجلسي في كتابه بحار الأنوار أحاديث تفيد عمومًا: أن المرض من صفات المؤمن[٥].

(١) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، جـ١، ص٦٠.
(٢) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، جـ١، ص١٠٧.
(٣) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، جـ٢، ص١٧٧-١٧٨.
(٤) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، جـ٢، ص٢١٣.
(٥) المجلسي: بحار الأنوار: المجلد ص .

وما ذلك في الحقيقة إلا انتكاس للحالة الاجتماعية للشيعة في المجتمع الإسلامي: اضطهاد فكري، وفقر، ومرض. كما يذكر ابن بابويه القمي العلة التي من شأنها أن الرجل هو الذي يدفع المهر للمرأة في الزواج، قائلًا: لأنه يشتريها[١].

والشيخ المفيد (محمد بن محمد بن النعمان الحارثي) مع أنه عربي الأصل من حارثة اليمن، ولكنه يمالئ بني بويه حكام العراق، فيذكر صفات المؤمن في حديث منسوب للإمام، ورد بعضه: أن المؤمن أعجمي لأنه أعجم عن الدلام، والمؤمن فارسي لأنه يفرس في الإيمان[٢].

رأي الشيعة في مخالفيهم

للشيعة مخالفون كثر، ولكن أهم المخالفين الذين يريدون في كتبهم هم (النواصب)، وهم الذين نصبوا الحيلة لتفويت الإمامة على علي بن أبي طالب، ثم من جاء بعدهم ممن لا يقر لهم بعقيدتهم، خاصة ما تعلق منها بولاية علي والأئمة الاثني عشر. وتوصل بعض الأحاديث مرتبة الناصب في بغضه أشد من الذمي غير المسلم، ففي حديث أورده الكليني عن الصادق: أن الشيعي إذا سلم على الذمي فليمسح يده بالحائط، أما إذا سلم على الناصبي فليغسلها[٣]. ويروون عن أئمتهم أن أول شهادة زور وقعت في الإسلام هي شهادتهم: أن صاحبهم مستخلف من رسول اللهَّ، وينقلون أن أصحاب علي مثل عمار بن ياسر وسلمان الفارسي استضعفوا فلم يسمع لهم، وينقلون أن سلمان قال: «استضعفوني، كما استضعف بنو إسرائيل هارون»[٤].

(١) ابن بابويه القمي: علل الشرائع. جـ٢. ص٢١٥.
(٢) المفيد: الاختصاص. ص ١٤٣.
(٣) الكليني: الكافي، الأصول، ص٦٥٨.
(٤) الكليني: الكافي، الأصول، ص٦٨٧.

وتعكس بعض الأحاديث رأي المخالفين في الشيعة أنهم: «أشر من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا»[١].

ويستخدم علماء الشيعة تأويل آي القرآن ضد من يكرهون، ففي معرض تفسير الآية: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ قال علي بن إبراهيم القمي في تفسيره: (يعني) الأول (أبا بكر رضي الله عنه). (يا ليتني اتخذت مع الرسول عليًا وليًا. يا ويلتا ليتني لم أتخذ فلانًا خليلًا) يعني الثاني (عمر رضي الله عنه). وكان الشيطان يعني الثاني (عمر رضي الله عنه) للإنسان خذولًا[٢].

وفي كتاب علل الشرائع لابن بابويه القمي ينقل روايات: أن النواصب أنجس من الكلاب ومن اليهود والنصارى حسب نقله[٣]. ونقل حديثين عن الأكراد، ونهى عن مخالطتهم، لأن أصلهم من الجن[٤].

وينقل ابن بابويه عدة أحاديث عن الصادق أنه يفتي أتباعه الذين لا يجدون من يفتيهم في أمور دينهم في بلد ما إلا قصتين من العامة (السنة)، فيقول لهم: آت مفتي العامة واسأله عن المسألة، ثم خالفه فيها، فإن الحق ما خالفه[٥].

ويصل الحقد على الناصب إلى إباحة قتله، ولكن بطريقة لا تثبت على قاتله. روى ابن بابويه حديثًا: «عن داود بن فرقد قال: قلت لأبي عبدالله (الصادق) ما تقول في قتل الناصب؟ قال: حلال الدم، لكني اتق عليك، فإن

(١) الكليني: الكافي، الأصول، ص٧٠٨.
(٢) القمي: تفسير، جـ٢، ص٨٩.
(٣) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، جـ١، ص٣٤٠.
(٤) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، جـ٢، ص٢٤٤.
(٥) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، جـ٢، ص٢٤٨-٢٤٩.

قدرت أن تقلب عليه حائطًا، أو تغرقه في ماء، لكيلا يشهد به عليك فافعل. قلت: فما ترى في ماله؟ قال: توه ما قدرت عليه»[١].

ومنذ القرن الثالث الهجري وعلاقة الشيعة بالترك غير حسنة، ربما لأن الترك لم يتقبلوا التشيع كتقبل الفرس والإيرانيين عمومًا.

ففي كتاب الأمالي للشيخ الطوسي حديث منسوب إلى النبيَّ يقول: «تاركوا الترك ما تركوكم، فإن أول من يسلب أمتي ملكها وما خولها الله لبنو قنطورين كركره وهم الترك»[٢]. وكراهية الشيعة للترك ربما جاءت من سيطرة الجيش العباسي التركي في سامراء، هذا من جهه، ومن جهة أخرى كراهية الفرس منذ القدم للعنصر التركي، والحروب التاريخية بين الطرفين معروفة، ولم ينتشر التشيع بين الترك إلا متأخرًا وبين عناصر أكثرها غير تركية.

وينسب الطوسي قولاً إلى الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مفاده: أن النواصب أشر من الكلب[٣]. ومصادر الشيعة خاصة القديمة مليئة بالهجوم والرد على من خالفهم حتى من أئمتهم.

ومن أوائل ردود فعل الشيعة ضد أولاد الحسن بن علي بن أبي طالب نجد لها بعض الآثار في مصادر الشيعة القديمة بلا شك، تسجل الخلاف بين الفريقين. فريق اعتزل السياسة واقتدى بأبيه، الذي تنازل عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان كما هو معروف. وفريق استمر مقتدياً بأبيه الحسين بن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي ثار على يزيد بن معاوية واستشهد في كربلاء. فقد نقل المجلسي رواية عن الإمام الصادق: كنت

(١) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، جـ٢، ص٣٢٦.
(٢) محمد بن الحسن الطوسي الأمالي. بيروت ١٩٨١م.
(٣) المصدر السابق ص ٢٧٩.

أنظر في كتاب فاطمة فليس فيه ملك إلا وفيه مكتوب اسمه واسم أبيه، فما وجدت لولد الحسن فيه شيئاً[١].

وهذه مصادرة في الحال والمستقبل من أن يكون لأولاد الحسن بن علي أي حق في الإمامة والسلطان، وتذهب رواية أخرى إلى حد تصوير أولاد الحسن بأنهم أعداء لأولاد الحسين بن علي. ففي رواية وضعت على لسان الصادق قال: «ليس منا إلا وله عدو من أهل بيته، فقيل: بنو الحسن لا يعرفون لمن الحق، قال: بلى، ولكنهم يمنعهم الحسد»[٢] ولتخلي أولاد الحسن عن مقالة الشيعة المتعلقة بالإمامة، وخاصة تلك التي تحث على الوقوف ضد بني أمية، أو ربما وصل ببعض أولاد الحسن موالاة الأمويين ومهادنتهم نجد إنكار هذا المسلك في روايات قديمة، منها ما روي عن ابن يعفور، قال: سمعت أبا عبدالله (الصادق) يقول: «لو توفي الحسن بن الحسن بالزنا والربا وشرب الخمر لكان خيراً مما توفي عليه»[٣].

وحيث إن الشيعة افترقت بعد وفاة الإمام الحسين منها من قالت: إن الإمام بعده هو ابنه زيد، وله تنسب فرقة الزيدية كما أسلفنا، ومنهم من قال بإمامة ابنه علي، وهذا ما عليه الإمامية «الاثني عشرية»، ويتمثل رد فعلهم ضد الزيدية بما روي على لسان أحد الرواة أنه قد قيل لأبي عبدالله الصادق: إن ظفر زيد وأصحابه فليس أحد أسوأ حالاً عندهم منا [٤]. وهذه المقالة تبدو حال تحفز الإمام زيد بن علي على الثورة ضد الأمويين كما أوضحنا سالفاً.

(١) المجلسي. البحار. المجلد ١١. ص ١٨٦.
(٢) المجلسي. البحار. المجلد ١١. ص ١٨٦.
(٣) المجلسي. البحار. المجلد ١١. ص ١٨٦ – ١٨٨.
(٤) المجلسي. البحار. المجلد ١١. ص ٢٠٩.

والجارودية فرقة من الزيدية تنسب إلى أبي الجارود، كما أسلفنا في تفصيل ذلك عند بحث فرقة الزيدية، هؤلاء ورد ضدهم وصمة عار بارتكاب الفاحشة من قبل أحد المنتسبين للجارودية، حيث تذهب الرواية إلى أن هارون بن رئاب له أخ جارودي سأل عنه أبو عبدالله الصادق، فقال هارون: إنه مرض لكن لا يقر بولايتكم زاعماً أنه يتورع، فرد أبو عبدالله: أين ورعه ليلة نهر بلخ؟ فلما رجع هارون لأخيه وأخبره... فقال: والله لم يعلم بها أحد غيري وكان مع رفيق له معه جارية قرب نهر بلخ، واحتاجوا ناراً فذهب صاحب الجارية يلتمس النار وأخو هارون ارتكب الفاحشة بالجارية [1].

وبعد وفاة الإمام جعفر الصادق اختلف الشيعة فيمن هو الإمام بعده فذهب بعضهم إلى أن ابنه محمد هو الإمام وهذه الفرقة تسمى الشمطية، وقال آخرون: بل ابنه عبدالله هو الإمام وهؤلاء هم فرقة الفطحية، وقالت فرقة ثالثة: بل ابنه إسماعيل هو الإمام وتوقفوا في الإمامة عنده، وتنسب فرقة الإسماعيلية له، وكذلك فرقة المباركية، في حين كما هو معلوم أن الإمامية "الاثني عشرية" على الاعتقاد بإمامة ابنه موسى، فسموا بالموسوية أو المفضلية، ومنهم القطعية الذين قطعوا بإمامة موسى وأنه مات مؤكداً، ومنهم أيضاً الواقفة الذين قالوا بعدم وفاة الإمام موسى مؤكدًا. وقد ذكرنا طرفاً من هذه المقالات في بابها، المهم هنا تسجيل رد الفعل السياسي لهذه الفرقة ضد الإسماعيلية؛ لأنه أقسى الجميع [2].

---

(١) المجلسي. البحار. المجلد ١١. ص ١٤٩.
وتسجل كتب الشيعة رد فعل ضد المرجئة والقدرية ولكن ليس بالقساوة الشديدة. انظر المجلسي. البحار. المجلد ١٥. القسم الثالث. ص١٣، ص١٧

(٢) المجلسي. البحار. المجلد ١١. ص ١٧٩.

منها ما روي عن ابن أبي الوليد.. عن الوليد بن صبيح قال: جاءني رجل، فقال: تعالَ حتى أريك ابن الرجل، قال: فذهبت معه، قال: فجاءني إلى القوم يشربون فيهم إسماعيل بن جعفر فخرجت مغموماً... قال: فذكرت ذلك لأبي عبدالله فقال: «لقد ابتلي ابني بشيطان يتمثل في صورته»[١]. وهذا مخرج لطيف يحقق وصمة ضد الإسماعيلية ويبرئ الإمام الصادق وابنه ويلقي اللوم على الشيطان، وينقل المجلسي عن كتاب زيد النرسي وهو من الكتب القديمة رواية منسوبة لأبي عبدالله الصادق قال: «ناجيت الله ونازلته في إسماعيل ابني أن يكون من بعدي، فأبى ربي إلا أن يكون موسى ابني»[٢].

كما تسجل مصادر الشيعة الإمامية رد فعل ضد فرق غير شيعية مثل المرجئة والقدرية. وتذكر المصادر أن أول من قال بفكرة الإرجاء هو شخص من آل علي، وهو محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب، حيث ذكر أنه كان يكتب إلى الأمصار بفكرة الإرجاء، التي من صلبها أن مرتكب الكبيرة لا يكفر، حيث إن الطاعات وترك المعاصي ليست من أصل الإيمان، فلا يزول الإيمان بزوالها[٣].

وروى الكليني في كتابه «الروضة» رواية طويلة عن الإمام محمد الباقر جاء فيها قول الإمام: «اللهم العن المرجئة، فإنهم أعداؤنا في الدنيا والآخرة»[٤].

وأورد المجلسي في كتابه البحار رواية عن سليمان بن رشيد مرفوعة إلى الإمام علي قال: «يحشر المرجئة عمياناً إمامهم أعمى، فيقول بعض من

(١) المجلسي. البحار. المجلد ١١. ص ١٨٥.
(٢) الحكيم. محسن الطبطبائي الحكيم. مستمسك العروة الوثقى. جـ١. ص ٣٧٤.
(٣) الشهرستاني. الملل والنحل. في هامش ابن حزم. الملل. ص١٩١.
(٤) الكليني. الروضة. مطبوع مع أصول الكافي. جـ١٢. ص ٤١٨.

يراهم من غير أمتنا ما تكون أمة محمد إلا عميانًا، فأقول لهم: ليسوا من أمة محمد؛ لأنهم بدلوا فبدل بهم»[١].

وسبب نقمة الشيعة على المرجئة أنهم يرون عليًّا بالدرجة الرابعة بعد الخلفاء الراشدين الثلاثة [٢]. كما أن فكرة الإرجاء خدمت الأمويين سياسياً، حيث إن معصية الخليفة الأموي لا تخرجه عن الإسلام.

ومثل هذا وأشد نجده ضد من يسمونهم النواصب، والأصل كما يبدو أن المعنيين بالنواصب الذين في اعتقادهم نصبوا واحتالوا على علي بأخذ الإمامة منه يوم السقيفة، ويخصون بذلك الخليفتين أبا بكر وعمر، ثم اتسعت الدلالة على مر العصور وبفعل عوامل البغضاء السياسية إلى أن حصرها السيد محسن الطبطبائي الحكيم في المعاني الآتية:

١- إنه من نصب العداوة لأهل البيت.

٢- المتدين ببغض علي أو القادح في علي.

٣- من ينسب لأحدهم (ويقصد بذلك الأئمة) ما يسقط العدالة.

٤- من ينكر فضيلة الأئمة لو سمعها.

٥- من يعتقد بفضيلة غير علي.

٦- من ينكر النص بإمامة علي بعد سماعه أو وصوله إليه بوجه يصدقه[٣].

وتتسع فكرة الناصب عند بعضهم إلى رواية موضوعة على فم الصادق رواها المعلى بن خنيس قال: سمعت أبا عبدالله يقول: «ليس الناصب من

(١) المجلسي. البحار. المجلد ١٥. القسم الثالث. ص ١٣.

(٢) المجلسي. البحار. المجلد ٧. ص ٥.

(٣) الحكيم: محسن الطباطبائي الحكيم: مستمسك العروة الوثقى. جـ١. ص٣٧٤.

نصب لنا أهل البيت؛ لأنك لا تجد أحداً يقول: إني أبغض آل محمد ﷺ، ولكن الناصب من نصب لكم وهو يعلم أنكم تقولون بنا وتبرؤون من أعدائنا»[١].

وعلى هذا التحديد فإن أبناء أهل السنة أو غيرهم إذا انطبق على أحدهم الأوصاف السالفة فهو من النواصب، وإلا فهو مسلم مخالف، وعادة ما يسمون في كتب الشيعة الإمامية بالمخالفين أو العامة وقد قال السيد محسن الحكيم: «المعروف بين أصحابنا إسلام المخالفين»[٢] وفي تفسير الآية الكريمة ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ نقل المجلسي: أن المعنى هم الذين خالفوا دين الله وصلوا وصاموا ونصبوا لأمير المؤمنين... فلا يقبل شيء من أفعالهم[٣]. وفي رواية منسوبة للصادق: أن كل من ناصب وإن تعبد منسوبة لهذه الآية [٤].

ومن أهم أحكام النواصب عند الشيعة الإمامية أنه لا يجوز تزويجهم. ففي رواية عن الفضيل بن يسار قال: سألت أبا جعفر عن المرأة العارفة هل أزوجها الناصب؟ قال: لا، الناصب كافر[٥]. وفي رواية أخرى أنه قال: لا تناكحهم، ولا تأكل ذبيحتهم، ولا تسكن معهم[٦]. والحكم الثاني: أن الناصب نجس شأنه شأن اليهود والنصارى والغلاة والخوارج، فالجميع نجس لا يجوز تزويجهم أو الزواج منهم زواجاً دائماً. ومن المعروف أن الإمام عليًا قد قاتل الخوارج، فورثت كتب الفقه ردود فعل ضدهم، فعن الفضل بن يسار قال: قلت لأبي عبدالله: إن لامرأتي أختاً عارفة على رأينا وليس على رأينا

(١) الحكيم. مستمسك. جـ١. ص٣٧٠.
(٢) الحكيم. مستمسك. جـ١. ص٣٧١.
(٣) المجلسي البحار. مجلد ٣. ص ٣٩٤.
(٤) المجلسي البحار. مجلد ٣. ص ٣٩٤.
(٥) الطوسي. تهذيب الأحكام (وهو شرح كتاب المقنعة للشيخ المفيد). جـ٧. ٣٠٣.
(٦) الطوسي. تهذيب الأحكام (وهو شرح كتاب المقنعة للشيخ المفيد). جـ٧. ٣٠٣.

بالبصرة إلا قليل، فأزوجها ممن لا يرى رأيها؟ قال: لا، ولا نعمة، إن الله عز وجل يقول: ﴿فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ [1].

كما يوردون خبراً مفاده أن علي بن الحسين كان تحته امرأة شيبانية خارجية، فلما تبين له أنها تشتم عليًّا أخلى سبيلها [2].

وتقع كتب الشيعة الإمامية في مشكلة تبرير كيف أن الإمام عليًّا زوج ابنته لعمر وعثمان، وكذلك في تزويج النبي ﷺ ابنته إلى عمر وأبي العاص ابن الربيع؛ لأنهم في نظرهم من النواصب. فالبعض ذهب إلى أنه يجوز تزويج الناصب تقية، ويروون عن زرارة عن الإمام جعفر في تزويج علي ابنته أم كلثوم إلى عمر؛ أن ذلك فرخ غبنّاه. وعن هشام بن سالم عن الإمام جعفر قال: لما خطب إليه (خطب عمر أم كلثوم من علي) قال له أمير المؤمنين: إنها صبية، قال: فلقي العباس، فقال: ما لي أبي بأس؟ فقال: ما ذاك؟ قال: خطبت إلى ابن أخيك فردوني، أما والله لأغورن زمزم، ولا أدع لكم مكرمة إلا هدمتها، ولأقيمن عليه شاهدين بأنه سرق، ولأقطعن يمينه. فأتاه العباس فأخبره وسأله أن يجعل الأمر إليه فجعله له [3]. والبعض ذهب إلى أن أخبار تزويج النبي ﷺ ابنتيه إلى عثمان وأن الإمام عليًّا رضي الله عنه زوج عمر رضي الله عنه إنما هي أخبار آحاد لم تثبت أو أنه زوجه جنية تمثلت أم كلثوم.

وبعضهم ذهب إلى أن تزويج الرسول ﷺ إلى عثمان كان صحيحاً في وقته؛ لأن ذلك قبل إمامة علي رضي الله عنه [4]. ورواية عن زرارة قال: إن ذلك جائز، حيث كان من امرأة نوح ولوط خيانة لهما [5].

(١) الحر العاملي: وسائل الشيعة. المجلد ٧. جـ ١٤. ص٤٢٤.
(٢) الحر العاملي: وسائل الشيعة. المجلد ٧. جـ ١٤. ص٤٢٥.
(٣) الحر العاملي: وسائل الشيعة. المجلد ٧ جـ ١٤. ص ٤٣٣ – ٤٣٤.
(٤) عبدالنبي الجزائري: المبسوط. ص٩٥. ص١٠٣ – ١٠٤.
(٥) الحر العاملي: وسائل الشيعة. المجلد ٧. جـ ١٤. ص ٤٣٠.

وعلى العموم، فهذا منزلق خطر يوسع الشقة بين المسلمين، وعائق كبير ضد وحدتهم ومستقبل قوتهم ضد أعدائهم، وإذا كنا نجد المبررات التاريخية القديمة في عداء الشيعة للخوارج أو عدائهم من كان يسب الإمام عليًّا في العهد الأموي، فإن ذلك أمر انقضى، ولا يوجد بين ظهرانينا اليوم من يرى رأي الخوارج في علي ولا من يسبه. وتوسيع فكرة الناصب إلى أن تشمل كل من يعتقد بفضيلة غيره، أو ينكر النص عليه، كما هو نص العروة الوثقى أمر يحتاج إلى وقفة تصحيح من علماء الشيعة؛ لأن جمهور المسلمين ومنهم السنة يعتقدون بفضيلة أصحاب رسول الله ﷺ جميعاً، ومنهم علي، كما أنهم لا يرون أن الرسول ﷺ نص على كون الخلافة له من بعده. أما بقية الصفات المذكورة للناصب فلا أحد من المسلمين يعتقد بها، وترك هذا التصحيح يجعل الباب مفتوحاً لأصحاب الأغراض، ليس فقط لاستغلال ذلك لفرقة المسلمين، بل إلى الزيادة والكذب والتأويل إلى أن يتسع الخرق، فيصعب سده من أصعب المهمات، ولا شك أن كثيراً من رواة الشيعة - لأسباب في أنفسهم - تقولوا على الأئمة ما لم يقولوه، ودونته كتب الشيعة دون مناقشة وتمحيص؛ لأنهم يخافون من رد أي رواية عن الإمام، إلى درجة أن شيخاً مثل الكليني يورد روايات في الحال، حينما يشكل على الشيعة أمر فقهي لا يعلم الرأي فيه، فتقول هذه الروايات الموضوعة على لسان الإمام الصادق أن ينظر إلى العامة (المسلمين من غير الشيعة) فيخالفهم في المسألة التي أشكلت عليه «فإن الحق ما خالفهم»[1].

والأعمال الصالحة يتقبلها الله من جميع المسلمين دونما تمييز بينهم، ولكن ترد رواية مرفوعة إلى الإمام الصادق أنه قال لمنصور بن الصقيل:

(١) الكليني. الأصول. ص٣٩ عن زيد العقيدة. ص ٢٣٦.

يا منصور إن أكثرتم أو قللتم فو الله لا يقبل إلا منكم [1]. وهذا من الشطط والضلال.

إن إخفاء الشيعة لعقائدهم وكتبهم منذ صراعهم السياسي الأول مع مخالفيهم ليس فقط حرمهم فرصة تنقيتها، وإنما يشجع الكثير من مريديهم على المبالغة والكذب، دون أن تتهيأ لعلماء الشيعة الحرية أو القدرة على تنقيتها. إن الاضطهاد السياسي الذي تعرض له الشيعة طيلة حياتهم السياسية أوقعهم في دائرة مظلمة جعلتهم يخفون عقائدهم، وتزين الروايات لهم أن ذلك أحب عند الله. ففي رواية عن علي بن ساباط قال: أخبرني بعض أصحابنا عن محمد بن مسلم قال: قال أبو جعفر: يا ابن مسلم، الناس أهل رياء غيركم، وذلكم أنكم أخفيتم ما يحب الله ﷻ، وأظهرتهم ما يحب الناس. والناس أظهروا ما يسخط الله ﷻ، وأخفوا ما يحبه الله. يا ابن مسلم، إن الله ﷻ رأف بكم، فجعل المتعة عوضاً لكم عن الأشربة [2].

وفي تعليل لماذا أن الزنا جعل الشارع لثبوته أربعة شهود، وفي القتل شاهدين على الرغم من أن القتل أفظع من الزنا، يأتي التأويل موضوعاً على لسان الإمام الصادق: «إن الله تبارك وتعالى أحل لكم المتعة، وعلم أنها ستنكر عليكم، فجعل الأربعة شهودًا احتياطاً لكم، لولا ذلك لا أتى عليكم» [3].

---

(١) المجلسي. البحار. المجلد ١١. ص ١٣٨.

(٢) الكليني. الروضة. مطبوع مع أصول الكافي. جـ١٢. ص١٥٥-١٥٦. ومن الممكن أن تفهم هذه الرواية بأنها رد فعل لشيعة الكوفة ضد الأحناف الذين أحلوا شراب النبيذ كما هو معلوم من خلاف كتاب الفقه.

(٣) محمد بن بابويه القمي. من لا يحضره الفقيه. ص ٣٢٩. وانظر أيضاً كتابه (علل الشرائع). ص ٥٠٩. المكتبة الحيدرية.

وفي هذا إقناع للمريدين أنهم دون سواهم على حق. وأن الشارع سبحانه وتعالى قد شرع الأحكام مراعياً بذلك أفكارهم وعقائدهم.

وحتى لا يطلع الشيعة وخاصة أحداثهم على علوم غيرهم من المذاهب فيتأثروا بها، جمع لنا الحر العاملي ست روايات كلها تنهى عن سماع حديث (العامة)[1]. وهذا ينم عن خوف الشيعة على مريديهم من أن ينفضوا عنهم، كما يدل على عدم ثقة بما عندهم مقارنة بما لدى غيرهم.

وعند المجلسي في كتابه بحار الأنوار باب في فضائل الشيعة ذكر فيه أنهم: «هم أهل دين الله، وهم على دين أنبيائه، وهم على الحق، ولا يغفر إلا لهم، ولا يقبل إلا منهم».

وذكر روايات عن الأئمة بهذا المعنى منها ما رواه عن الإمام الحسين ابن علي: «ما أحد على ملة إبراهيم إلا نحن وشيعتنا وسائر الناس منها براء». وأخرى عن الإمام جعفر في حق من هم على غير التشيع، قال: «لا والله ما هم على شيء مما جاء به الرسول ﷺ إلا استقبال الكعبة فقط»[2].

وتتفتق عقول الملفقين عن آراء أريد بها استبقاء أفراد الشيعة على هذا الاعتقاد؛ لأنهم دون غيرهم على حق، وسيدخلهم الله الجنة، ويغفر لهم وإن زنى فرد منهم وسرق، كما في تلك الرواية الموضوعة على لسان الصادق [3]. وهذا خطأ فادح؛ لأن فيه تسهيلًا على المسلم الشيعي المتهاون في أحكام الله واقتراف الآثام، مازال أنه مقيم على حب آل النبي ﷺ. وهذا ما هو واقع مع

(١) الحر العاملي. وسائل الشيعة. المجلد ٧. جـ ١٥. ص ١٩٦.
(٢) المجلسي.. بحار الأنوار. المجلد ١٥. ص ١٠٣ – ١٢٦.
(٣) المصدر السابق. ١٣٢. ١٤٠.

الأسف، ليس في واقع اليوم، بل هو من القديم سجلته كتب الشيعة في رواية عن عبدالله بن كيسان، قال: قلت لأبي عبدالله (جعفر الصادق): جعلت فداك أنا مولاك عبدالله بن كيسان.. وإنني أخالط الناس في التجارات وغير ذلك، فأخالط الرجل فأرى له حسن السمت وحسن الخلق وكثرة الأمانة، ثم أفتشه فأفتشه عن عداوتكم، وأخالط الرجل فأرى منه سوء الخلق وقلة أمانته، ثم أفتشه فأفتشه عن ولايتكم، فكيف يكون ذلك؟ قال: فقال لي: أما علمت يا ابن كيسان أن الله أخذ طينة من الجنة وطينة من النار، فخلطها جميعاً ثم نزع هذه من هذه وهذه من هذه، فما رأيت في أولئك من هؤلاء من قلة الأمانة وسوء الخلق والزعارة مما مسهم من طينة النار، وهم يعودون لما خلقوا منه [1].

وهذا فيه معذرة لأفراد الشيعة العصاة؛ لأن هذا العصيان ليس منهم، إنما هو من طينة غيرهم، بل ورد ما هو أصرح من ذلك في رواية عن أبي إسحاق الليثي قال: قلت للإمام الباقر... يا ابن رسول الله، أجد في شيعة أمير المؤمنين ومن مواليكم من يشرب الخمر ويأكل الربا ويزني ويلوط ويتهاون في الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد.. فكيف هذا؟.. واني لأجد الناصب الذي لا شك في كفره يتورع من هذه الأشياء لا يستحل الـ.. فكيف هذا؟... فرد الإمام: إن الله مزج طينتكم بطينتهم، ولو ترك طينتهم على حاله ما عملوا صالحاً ولا... فما تراه من شيعتنا من ربا وزنا ولواطة وخيانة وشرب خمر وترك للصلاة والصيام و... فهي كلها من عدو ناصب وسبخه ومزجه الذي مزج بطينته، وما رأيته في هذا العدو الناصب من الزهد والعبادة و... فذلك كله من طين المؤمن وسبخه ومزاجه، فإذا عرضت أعمال المؤمن وأعمال

(١) المجلسي. البحار. المجلد ١٥ ص٢٤.

الناصب على الله يقول الله عز وجل: أنا عدل لا أجور وعزتي وجلالي.. ما أظلم مؤمناً بذنب مرتب من سبخ الناصب وطينته ومزاجه، هذه الأعمال الصالحة كلها من طين المؤمن ومزاجه. والأعمال الرديئة التي كانت من المؤمن من طين العدو الناصب يلزم الله تعالى كل واحد منهم ما هو من أصله وطينته.. فإذا كان يوم القيامة نزع الله من العدو الناصب سبخ المؤمن ومزاجه وطينته مع جميع أعماله الصالحة ويرده إلى المؤمن، وينزع الله من المؤمن سبخ الناصب ومزاجه وطينته و... مع جميع أعماله السيئة ويرده إلى الناصب عدلاً منه ويقول للناصب: لا ظلم عليك هذه الأعمال الخبيثة من طينتك ومزاجك أنت أولى بها، وهذه الأعمال الصالحة من طين المؤمن، وهو أولى بها[1].

إن هذه إساءة بالغة ليس من قبل هؤلاء الرواة من الشيعة ضد مخالفيهم، ففي أمثاله الكثير في كتب الشيعة، ولكن في ذلك إساءة للأتقياء والعلماء من الشيعة في كل عصر وزمان؛ لأنهم في هذا المنطق وتحت هذا المقياس يستوي الأخيار من الشيعة بأشرارهم، وتختلط الأمور على العقلاء، فينقادون إلى الجهلاء والمغرضين، وفي هذا تبعة ثقيلة على علماء الشيعة في تنقية هذه العقائد والتبرء من أصحابها بعد أن تجذرت في النفوس[2].

ونتساءل: من أين للشيعة هذه الأفكار؟ والجواب: هذه نجدها ومثيلاتها لدى اليهود، وفي أقوال الحاخامات وشراح التلمود، وما نقلناه لا يعدو أن يكون نقلاً قام به الموالي الشيعة الذين هم على صلة بالأفكار اليهودية المنتشرة خاصة في المدائن عاصمة الدولة الفارسية التي كان فيها وجود يهودي رسمي في بلاط الشاهنشاه. جاء في تعاليم التلمود: «اعلم أن أقوال الحاخامات هي

(١) المجلسي. البحار. المجلد ١٥. ص٢٨ -٢٩.
(٢) الكليني. الأصول. جـ١١. ص٢٨٠.

أفضل من أقوال الأنبياء»، وجاء أيضاً: «الإسرائيلي عند الله أكثر من الملائكة، وإذا ضرب أممي إسرائيليًّا فكأنما ضرب العزة الإلهية ويستحق الموت. ولو لم يُخلق اليهود لانعدمت البركة من الأرض ولما خلقت الأمطار والأرض. والفرق بين درجة الإنسان والحيوان كالفرق بين اليهود وباقي الشعوب»، وجاء أيضاً في تعاليم التلمود: «الأجانب (غير اليهود) كالكلاب، والأعياد المقدسة لم تخلق للأجانب... والكلب أفضل من الأجنبي؛ لأنه مصرح لليهودي في الأعياد أن يطعم الكلب، وليس له أن يطعم الأجنبي...».

وخلق أرواح الشيعة المنزهة عن أرواح (العامة) مشتقات تماماً من نص تعاليم التلمود القائلة: «تتميز أرواح اليهود عن باقي الأرواح بأنها جزء من الله، كما أن الابن جزء من والده». وقد ذكر القرآن مقالة اليهود هذه بأنهم: ﴿أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ﴾ إن من الأسباب التي جرت الويلات والمشكلات على الشيعة طيلة تاريخهم هي تلك الأفكار الخارجة عن تقبل المجتمع الإسلامي، وعدم ملاءمتها للفكر الذي يدين به المجموع، مما أوغر صدور الآخرين عليهم [1].

وقد أفزعت فكرة سب الصحابة ﷺ أحمد الكسروي الذي كان أستاذاً في جامعة طهران، وتولى قبلها مناصب قضائية عدة، فكتب نافياً صحة ما تردده المصادر القديمة من ارتداد أكثر الصحابة أو سبهم، وقد تعلق بأفكاره هذه بعض أبناء جيله وتلامذته، ويروى أن فعله لم يكن بسبب ديني، وإنما كان للاتجاه المادي ورفض كامل للدين عند جميع الفرقاء على السواء.

ومطولات كتب الشيعة بعد أن تبحث أحكام النواصب على عمومهم، فإنها أيضاً تخص بالبحث الخلفاء الراشدين الثلاثة: أبا بكر وعمر

(١) د. محمد علي البار: المسيح المنتظر وتعاليم التلمود. ص١١- ١٢. الدار السعودية. ١٩٨٧م.

وعثمان ﷺ وتشتد في تكفير الاثنين؛ لأنهما في رأيهم هم أول النواصب الذين نصبوا حيلة في سقيفة بني ساعدة، حيث بايع عمر أبا بكر، وقال له: ابسط يدك أبايعك. فتسبب في ذلك مبايعة الناس لأبي بكر. وتصف رواية الكليني أن الناس ارتدوا عن الإسلام عند مبايعة أبي بكر إلا أربعة، وفي رواية: إلا ستة. وذكر منهم المقداد وسلمان وحذيفة.

وهذا شطط كبير في الحكم على جميع المسلمين، ومنهم صحابة الرسول ﷺ بالكفر؛ لأن الردة عن الإسلام كفر، وكيف يتم مثل هذا الإجماع على هذا الأمر القبيح في العقيدة، ولا يتنبه له إلا بضعة أفراد من الصحابة، وهذا طعن شديد على المسلمين والإسلام معاً ولا يمكن حصوله عقلاً.

ويبدو لي أن هذه الروايات وأمثالها في تكفير الصحابة وعلى الأخص الشيخين، وتلك التي تأمر بسبهما والبراءة منهما وضعها رواة الشيعة في مدة احتدام الصراع السياسي في العصر الأموي وما قبله من اقتتال بين أصحاب علي وأصحاب معاوية. وقد كانت الكيسانية وما تفرع عنها من فرق شيعية غالية قد توسعت في سب الصحابة خاصة بعد خروج المختار بن عبيدالله الثقفي.

إن مصادر الشيعة في أغلب الأحيان لا تورد اسم أبي بكر وعمر صريحاً حينما يتعلق الأمر بسبهما أو لعنهما أو تكفيرهما، وإنما تورد اسم كنايات أو إشارات مثل لفظة (الرجلين) أو (صنمي قريش) أو (الجبت والطاغوت) أو (فرعون وهامان)، وذلك حماية لنفس كاتبها وألا يتعرض للمساءلة. أما تلك المصادر التي كتبت في مدة ساد فيها التشيع، وأمن فيها المؤلفون من الشيعة، فقد يرد اسمهما صريحاً، كما في بعض المصادر التي كتبت في العصر البويهي أو الصفوي.

أورد الكشي في كتابه (الرجال) رواية أسند آخرها إلى داود بن النعمان، قال: دخل الكميت بن زيد الشاعر المعروف على الإمام الصادق، فانشده... فقال الكميت: يا سيدي، أسألك عن مسألة.. ثم قال: أسالك عن الرجلين؟ فقال «يا كميت بن زيد، ما أهريق في الإسلام محجة من دم ولا.. إلا وذلك في أعناقهما إلى يوم قائمنا، ونحن معاشر بني هاشم نأمر كبارنا وصغارنا بسبهما والبراءة منهما»[١].

وقد تأول المجلسي في كتابه (بحار الأنوار) قول الإمام الحسين لمنهال ابن عمرو: «وأصحابنا في قومنا مثل بني إسرائيل في آل فرعون يذبحون أبناءنا ويستحيون نساءنا»... قال المجلسي: «فلما تقدم استدلال علي أن المراد بفرعون وهامان وجنوده أبو بكر وعمر وأتباعهما» [٢].

وعند المجلسي في كتابه (البحار) (باب كفر المخالفين والنصاب)[٣]. حيث جعلهما في حكم واحد، وهذا خلاف ما عليه أكثر علماء الشيعة ومحققيهم، والسبب في ذلك أن المجلسي كتب (البحار) في مدة احتدام القتال بين دولة الصفويين الشيعية ودولة الأتراك السنية، وهذا يفسر ورود اللعن صريحاً باسمي الشيخين في كثير من مواضع الكتاب، منها ما نقله المجلسي من كتاب (تقريب المعارف) لأبي الصلاح الحلبي (عن أبي علي الخراساني عن مولى لعلي بن الحسين قال: كنت معه في بعض خلواته فقلت: إن لي عليك حقاً إلا تخبرني عن هذين الرجلين عن أبي بكر وعمر؟ فقال: كافران، كافر من (أحبهما)[٤]. كما أورد المجلسي رواية عن أبي حمزة

(١) الكشي. رجال. الطوسي. اختيار معرفة الرجال. ص٢٠٦ – ٢٠٧.
(٢) المجلسي. البحار. المجلد ١٣. ص٢١٣-٢١٤.
(٣) المجلسي. البحار. المجلد ١٥ القسم الثالث. ص ١٤.
(٤) المجلسي. البحار. المجلد ١٥. القسم الثالث. ص١٤.

الثمالي أنه سأل الإمام علي بن الحسين عنهما فقال: «كافران، كافر من تولاهما»، ثم قال: وتناقل الخبر عن علي بن الحسين ومحمد بن علي بن جعفر بن محمد من طرق مختلفة أنهم قالوا: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: من زعم أنه إمام وليس بإمام. ومن جحد إمامة من الله. ومن زعم أن لهما في الإسلام نصيباً»[1]. ويروي المجلسي تعليلاً لماذا سمي أبو بكر بالصديق وعمر بالفاروق عن الإمام الصادق: «أن الرسول ﷺ سمي أبا بكر بالصديق لما كشف الرسول ﷺ له أن يرى سفينة بني عبدالمطلب تضطرب، فلما رآها أبو بكر أضمر في نفسه أن الرسول ﷺ لساحر، فقال له الرسول ﷺ: صديق أنت».

وعمر سمي بالفاروق لأنه فرق بين الحق والباطل وأخذ الناس بالباطل[2]. ومثل هذه الروايات كثيرة في كتب القدماء والمتأخرين من الشيعة، ولكن بالنسبة للباحث النزيه المتجرد من الهوى، لا يمكن له أن يفهم النص دون معرفة الظروف التي قيل فيها، ولكن مبدئياً ننزه أيًا من الأئمة علي وبنيه من أن يقولوا مثل ذلك في أبي بكر وعمر، ولكن لا أستبعد أن يخرج ذلك من أتباع الشيعة، كما ذكرت إبان الفتنة الكبرى بين المسلمين في العصر الأول، فمن أحل أن يقتل يحل أن يشتم ويكفر من باب أولى؛ لأنه لم يقاتل إلا من اعتقد بخروجه عن الإسلام، وهذا شأن كثير ممن دخل في معركة الجمل وصفين والنهروان، جميعهم مسلمون، ولكن الكثير يشتم ويكفر بعضه بعضاً ، منهم المتأولون ومنهم أصحاب الأهواء والأغراض السياسية، ففي حرب الجمل بين علي وعائشة رضي الله عنهما قال الراوي: .... وجعل

(١) المجلسي. البحار. المجلد ١٥. القسم الثالث. ص١٤.
(٢) المجلسي. البحار. المجلد ١٥. القسم الثالث. ص ٢١٨ -٢١٩.

يسير بي حتى أتينا عائشة ﵂، فسمعت سب عثمان ﵁ علانية فبكيت، فقلت: لا أقيم في بلد يسب فيه عثمان ﵁ علانية[1].

ففي هذه المعارك الكبيرة التي قاتل المسلمون بعضهم بعضاً، أفرزت مقالات وحججًا لكل منهم ضد الآخر، استخدم فيها الجميع كل ما أوتي من برهان يصلح له تأويلاً من القرآن أو الحديث أو المنطق، ثم دخل في هذه الاحتجاجات أناس ورواة لا يخافون الله، كل همهم إرضاء السامع وبيع ذممهم بأبخس الأثمان. فإذا كانت وقعة الجمل قد قتل فيها ما يزيد على خمسة عشر ألف قتيل فعليك أن تقدر عظم المأساة والقتلى في صفين والنهروان[2]. وما نتج عن ذلك من تمزق وشتات بين المسلمين في مدة لم تكن بالقصيرة، فلما استقرت الخلافة إلى معاوية وتنازل له الحسن بن علي تنفس المسلمون الصعداء واستبشروا خيراً، وسموا ذلك العام عام الجماعة، حقنت فيه دماؤهم، وتصالحوا فيما بينهم، ولكن نتائج هذه الحروب ومآسيها صبت على رأس المنهزم الأخير، مهما قيل عن شرعية وجوده وقتاله، وهكذا ظهر تيار كبير في بداية العصر الأموي يعزو ما حدث للمسلمين للإمام علي وأتباعه.

روى الشيخ المفيد في أماليه أن رجلاً سأل ابن عباس عن علي، فذكره مادحاً إياه: «لم يشرك ولم.. ولم.. فقال الرجل: لم أسألك عن هذا، وإنما سألتك عن حمله السيف على عاتقه يختاله ويختال به حتى البصرة، فقتل أربعين ألفًا، ثم سار إلى الشام فلقي حواجب العرب فضرب بعضهم بعضاً حتى قتله، ثم أتى النهروان وهم مسلمون فقتلهم عن آخرهم..»[3].

---

(١) الشيخ المفيد. الجمل. ص ١٧٨.

(٢) الفتنة ووقعة الجمل. رواية سيف الضبي. جمع أحمد راتب عرموش. ص ٢٤ وما بعده. بيروت ١٩٨٤م.

(٣) الشيخ المفيد. أمالي المفيد. ص ١٤٦.

وأدى الخصام السياسي بالأمويين إلى وضع أحاديث وروايات ضد علي وأصحابه[1] كما قام العباسيون فيما بعد بوضع أحاديث في سب معاوية والأمويين[2] وهكذا فإن واقعة سب الإمام علي وأصحابه في العصر الأموي تثبتها الكثير من المصادر غير الشيعية، سواء على المستوى الرسمي من قبل الأمراء الأمويين أم على المستوى الشعبي بعد أن شاع موضوع الشتم على الأفواه. ذكر المسعودي رواية تفيد أنه «لما حج معاوية طاف بالبيت ومعه سعد بن عبادة، فلما فرغ انصرف معاوية إلى دار الندوة، فأجلسه معه على سريره، ووقع في علي رضي الله عنه، وشرع في سبه، فرجف سعد، ثم قال: أجلستني معك على سريرك، ثم شرعت في سب علي، والله لا أكون في خصلة واحدة من خصال عليٍّ أحب إليَّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس»[3].

وبطبيعة الحال، فإن هذا الشتم كان يؤذي آل علي، فقد ذكر الطبري عن المنهال بن عمرو قال: دخلت على علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، فقلت: كيف أصبحت أصلحك الله؟ قال: ما كنت أرى شيخاً من أهل المصر مثلك، لا يدري كيف أصبحنا، فأما إذا ما تدري أو تعلم فأخبرك: أصبحنا في قومنا كمنزلة بني إسرائيل في آل فرعون، إذ كانوا يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم، وأصبح شيخنا وسيدنا يتقرب إلى عدونا بشتمه أو سبه على المنابر، وأصبحت قريش تعد أن لها الفضل على العرب؛ لأن محمدًا منها....[4].

---

(١) الطبري. تاريخ. جـ٢. ص١١٢.

(٢) الطبري. تاريخ. جـ ٣. ص٢١٧ وما بعدها.

(٣) المسعودي. مروج الذهب. جـ٥. ص٤٠. ابن عبدربه. العقد الفريد. جـ٤. ص٣٦٦.

(٤) الطبري. المنتخب. جـ١٣. ص ٨٩.

ولم يكن لآل علي حول ولا قوة للرد على خصومهم حينذاك. روى الطبري عن سالم مولى أبي جعفر قال: كان هشام بن إسماعيل يؤذي علي ابن الحسين وأهل بيته، يخطب بذلك على المنبر، وينال من علي، فلما ولي الوليد بن عبدالملك عزله وأمر به أن يوقف للناس، قال: فجمع علي بن الحسين ولده وحاشيته ونهاهم عن التعرض له[1].

وفي رسالة الجاحظ المتعلقة بفضل هاشم على عبدشمس انتقاد الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان حيث قال: «... حسبك من جهله أنه رأى من أبلغ التدبير في منع بني هاشم الخلافة أن يلعن علي بن أبي طالب على منابر، ويرمى بالفجور في مجالسه، وهذا قرة عين عدوه وعين وليه..»[2].

وذكر ابن عبدربه رواية تفيد أن محمد بن هشام حج سنة من السنين فنزلت رفقة بجانبه فيها رجل كبير، فقيل له: إنه عراقي من الكوفة فاستدعاه محمد بن هشام وأمره بلعن علي، فقال: أو ما ترضى مني بما رضي به من هو خير منك، فمن هو خير مني فيمن هو شر من علي؟ قال: وما ذاك قال: الله وهو خير منك في عيسى وهو خير مني في النصارى وهم شر من علي، إذ قال: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[2].

ورواية أخرى تذكر أن معاوية جالس ومعه الأحنف بن قيس (وهو من أصحاب علي) إذ دخل رجل من أهل الشام فتكلم وسب عليًا فرد الأحنف: اتركوا عليًّا في قبره.. فقال معاوية: والله لتلعننه على المنبر، فأبى الأحنف فتركه معاوية[3]. وأخرى تذكر أن معاوية أمر عقيلًا أن يلعن عليًّا، فقام

(١) الطبري. المنتخب. جـ١٣. ص ٨٩.
(٢) الجاحظ. آثار الجاحظ. ص٢١٦. الطبعة الأولى ١٩٦٩.
(٣) ابن عبد ربه. العقد الفريد. جـ٤. ص ٢٨.

عقيل على المنبر، فقال: إن أمير المؤمنين أمرني أن ألعن عليًا فالعنوه لعنه الله. فقال معاوية: إنك لم تبين؟ فقال: الكلام على نية قائله[١].

ويؤكد ابن عبدربه في العقد الفريد أن معاوية كان يلعن عليًّا على المنبر، وكتب إلى عماله في الأمصار أن يلعنوا عليًّا على المنابر، وقد فعلوا ذلك[٢].

والخلفاء العباسيون على علم بما كان يفعله الأمويون في سب الإمام علي، فقد ذكر أن محمد بن عبدالله بن حسن (العلوي) لما خرج في المدينة على الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور جرى بينهم كتب متبادلة احتج فيها محمد بن عبدالله بقرابته من رسول الله ﷺ وبأمور أخرى، فرد عليه المنصور، وكان مما ورد في قوله: «وابتلى بالحرب أبوك فكانت بنو أمية تلعنه على المنابر، كما تلعن أهل الكفر في الصلاة المكتوبة، فاحتججنا له وذكرنا فضله وعنفناهم وظلمناهم فيما قالوا فيه»[٣].

واستمرار السب لعلي زمن الأمويين جعل المجتمع يستمرئ مثل هذا العمل، ويقبل به، وقلما يحصل منكر لذلك، وذلك لغلبة السلطان. ذكر المسعودي في مروج الذهب: أن ابن عباس وقد كان أعمى في حينه سمع قوماً يسبون عليًّا، فقال لقائده: أدنني منهم، ثم قال لهم: أيكم الساب لله؟ قالوا: نعوذ بالله قال: أيكم الساب لرسول الله؟ قالوا: نعوذ إليه، قال: أيكم الساب لعلي؟ قالوا: أما هذا فنعم، قال: أشهد أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: من سبني فقد سب الله، فمن سب عليًّا فقد سبني، فأطرقوا[٤].

(١) المصدر السابق. جـ٤. ص ٢٨.
(٢) المصدر السابق. جـ٤. ص ٣٦٦.
(٣) المصدر السابق. جـ٥. ص ٨٤.
(٤) المسعودي. مروج الذهب. جـ٤. ص٤٥١.

ويبـدو أن ذلـك لم يكـن يحصل إلا من أهـل الزلفى وأهـل الجهالة أو مـن صغار لا يعلمون من هو علي بن أبي طالـب. وقد ذكر أن سبب ميتة أبي العباس بن محمد أحمد الملقب بأبي العبر، وهو شاعر أحمق أنه كان هجاء، وقـد خرج إلى أرض الكوفـة، فسمعه بعض أهلها يقـول في علي قولاً قبيحاً، فقتله هناك[1].

ولما ولي الخليفة الأموي العادل عمر بن عبدالعزيز أمر بالكف عن سب علي بعدما أصبحت عادة، فمدحه الشعراء على ذلك، فقال فيه كثير عزة:

وليت فلم تشتم عليًّا ولم تحف بريًا ولم تتبع مقالة مجرم

وقـد أنكـر الشاعر عبيـدالله بن كثـير السهمي على خالـد بن عبدالله القسـري وكان والياً للأمويين على مكة، وكان يسـب عليًّا والحسن والحسين على المنبر. قال عبيدالله السهمي:

لعـن اللـه من يسـب عليًّا وحسيناً مـن سوقة وإمـام

يأمن الطير والحمام ولا يأ من آل الرسـول عند المقام

وينسـب لعبـدالله بـن الوليد بـن عثمان بن عفـان ﷺ أنـه كان يلعن عليًّا ﷺ ويقول: إن عليًّا ﷺ قتل جدي الزبير وعثمان [2].

(١) الأصفهاني. الأغاني. جـ٢٠. ص ٩٣ النسخة القديمة.

(٢) الجاحظ، فضل هاشم علي ابن عبدشمس. رسائل الجاحظ، ص ٢١٤-٢١٥. الطبعة الأولى. ١٩٦٩م.

ورأي الخـوارج معروف في علي وعثمان ﷺ وهـو أنهم يكفرونهما، ومن يتولاهمـا[1]. وكان السيد الحمـيري الشاعر المعروف مـن أبوين خارجيين، ولكنه يتشيع لعلي فقال يهجو والديه:

لعـن اللـه والـديّ جميـعـاً ثـم أصـلاهـمـا عـذاب الجحـيـم

حكما غدوة كما صليا الفجر بلـعـن الـوصـي بـاب العـلـوم

لعنا خير من مشى فوق ظهر الأرض أو طاف محرماً بالحطيم[2]

ويذكر المسعودي في أخبار عمر بن عبد العزيز أنه ترك لعن علي ﷺ على المنابر وجعل مكانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ وأنـه كتب إلى عامله على المدينة أن يقسم في ولده عشرة آلاف دينار.. وقال له: «.. فطالما تعديتم حقوقهم»[3].

---

(١) يوضح هذا النهج للخوارج كتاب نافع بن عبدالله بن عبدالله زعيم فرقة الأزارقة، وهم من الخوارج إلى عبدالله بن الزبير يدعوه إلى الأخذ برأي الخوارج، قال: «أما بعد: فإني أحذرك من الله ﴿يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا﴾..... فاتق الله ربك، ولا تتولَّ الظالمين، فإن الله يقول: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾، وقد حضرت عثمان حين قتل، فلعمري لئن كان قتل مظلوماً لقد كفر قاتلوه وخاذلوه، ولئن قاتلوه مهتدين وإنهم لمهتدون – لقد كفر من يتولاه وينصره ويعضده. ولقد علمت أن أباك وطلحة وعلياً كانوا أشد الناس عليه، وكانوا في أمره بين قاتل وخاذل، وأن تتولى أباك وطلحة وعثمان... ولقد ملك علي بعده فنفى الشبهات وأقام الحدود... فبايعه أبوك وطلحة ثم خالفاه ظالمين له، وإن القول فيك وفيهما لكما، قال ابن عباس: إن يكن علي في وقت معصيتكم ومحاربتكم له كان مؤمناً، أما لقد كفرتم بقتال المؤمنين وأئمة العدل. ولئن كان كافراً كما زعمتم وفي الحكم جائر لقد بؤتم بغضب من الله، لفراركم من الزحف ولقد كنت له عدوًا..».
انظر الكامل للمبرد. جـ٣. ص١٠٣٧. البابي الحلبي. مصر. ١٣٥٦ هـ.

(٢) السيد الحميري، ديوان شعر السيد الحميري، مكتبة الحياة، بيروت .ص٣٩١-٣٩٣.

(٣) المسعودي. مروج الذهب. جـ ٥. ص ٤١٩. ٤٢١.

وليس الشعر والشعراء وحدهم عكسوا الواقع الشائع المتعلق بلعن علي أو سبه، بل أيضاً مجالس القضاء قد شهدت أحكاماً في هذا الصدد. فقد ذكر القاضي وكيع في كتابه أخبار القضاة أن سالم بن إبراهيم بن أبي بكر ابن عياش نازع أحد الأشخاص في إمامة علي بن أبي طالب، فاتهمه خصمه بسب علي و... فحدث إنكار لهذه الواقعة وطالب الناس بقتله.. ولكنه عوقب بالجلد ثلاثين جلدة، وكان محمد بن جعفر بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين حاضراً في مجلس هذه القضية[1].

كما أن بحوث الفقهاء تناولت مسألة اللعن، وعما إذا كان داخلاً في الوعيد الذي ذكره الرسول ﷺ لمن يسب أصحابه، فقد ذكر ابن تيمية أن من لعن بعض السلف الصالح عُدّ داخلاً في الوعيد وإن كان متأولاً[2].

ثم هل اللاعن يُعدّ فاسقاً؟ فإن كان فاسقاً بهذا يخرجه من الإمامة أو القضاء؟ ذكر السرخسي وهو حنفي المذهب: أن الفسق لا يخرج صاحبه من الإمامة والسلطنة، فإن الأئمة بعد الخلفاء الراشدين قلما يخلو واحد منهم عن فسق، فالقول يخرجه من أن يكون إماماً بالفسق يؤدي إلى فساد عظيم، ومن ضرورة كونه أهلاً للإمامة كونه أهلاً للقضاء..[3].

وهكذا يبدو أن واقعة سب الإمام علي في العصر الأموي لها دوافع سياسية واضحة، وكان عمر بن عبدالعزيز أول خلفاء الأمويين الذي أوقف السب؛ لغلبة تدينه وعدله على دوافعه السياسية. فقد حكى هو عن نفسه: أنه كان غلاماً يقرأ القرآن على شيخ من أولاد عتبة بن مسعود، فمر الشيخ بعمر

(١) وكيع. أخبار القضاة. جـ٣. ص١٩١- ١٩٢.
(٢) ابن تيمية. رفع الملام. ص١٢٣ – ١٢٤.
(٣) السرخسي المبسوط. جـ٥. ص٣٢.

يومًـا وهو يلعب مع صبية يلعنون عليًّـا، يقول عمر: فجئت إليه فأعرض عني، ثم قال: أنت اللاعن لعلي؟ قلت: نعم، قال: متى علمت أن الله سخط على أهل بـدر بعد أن رضي عنهم؟ فقلت: وهل علي من أهل بدر؟ ثم قلت: لا أعود. ثم ذكـر عمر أنـه كان يحضر الجمعة مع والده الـذي يخطب على منبر المدينة، ويقـول عن والده: إنـه إذا مر على موضع لعن عليًّا مـن الخطبة تلعثم، فكان يعجـب لذلك، فسأله يوماً فقال له أبوه: إن من ترى من تحت منبري من أهل الشـام وغيرهم لو علموا من فضل هذا الرجل ما يعلمه أبوك لم يتبعنا منهم أحد. قال عمر: فوقرت كلمته في صدري، فأعطيت الله عهداً لأغيرنه إن كان لي بهذا الأمر نصيب. وقد قال الشريف الرضي في حق عمر بن عبدالعزيز:

أنت نزهتنا عن السب والقذف فلو أمكن الجزاء جزيتك[1]

وما سلف من تحقيق اعتمدنا فيه على مصادر غير شيعية، أما مصادر الشيعة فتذكر موضوع لعن علي وسبه بشيء من المرارة، ولا تخلو من زيادات ومبالغات. ويعد من يشتم عليًّا في كتب الفقه الشيعية أنه ناصبي إلا أن يفعل ذلك تقية، وقلبه مستقر على محبة علي[2].

اعترف بعض محققي الشيعة أن الروايات الدالة على النصب وأحكامه السالفة روايات لم تصـح أسانيدها، وإنها مخالفة للمشهور من الأصحاب، وإنها متعارضة فيما بينها[3].

---

(١) ابن أبي الحديد. شرح نهج البلاغة. جـ٤. ص٥٨ – ٥٩.

(٢) المجلسي. البحار. المجلد ١٦. ص٢٢٤ – ٢٣٦، الحر العاملي. وسائل الشيعة. مجلد ٧. جـ١٤. ص ٤٢٥. ابن أبي الحديد. شرح نهج البلاغة. جـ٤. ص ٥٨ – ٦٣، وكذلك انظر جـ ٥. ص ١٣١.

(٣) الحكيم. المستمسك. جـ١. ص ٣٧٣.

الكذابون علـى أئمة الشيعة حسب رواية الكشـي في الرجال[1] عن ابن سنان عن الصادق:

مسيلمة: يكذب على رسول اللّه ﷺ

عبدالله بن سبأ: يكذب على علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

المختار: يكذب على الحسين بن علي رضي الله عنهما.

ثم ذكر الصادق الكذابين:

الحارث الشامي.

بيان.

المغيرة بن سعيد.

بزيغا.

السري.

أبو الخطاب.

معمر.

بشار الشعيري.

حمزة البريدي.

صائد النهدي.

وقد نقل أبو سعيد نشـوان الحميري (ت٥٧٣هـ) في كتابه الحور العين عـن أبي طالـب في كتـاب الدعامـة: «أن كثيرًا مـن أسانيد الاثنـي عشرية مبنيـة على أسام لا مسمى لهـا من الرجال...»[2]. ونحاول أن نستعرض تلك الأسماء، ونلقي الضوء على الدور الذي قاموا به في النقل والكذب من جهة، ومن الاستعارة من الأفكار اليهودية.

(١) الكشي: رجال. ص ٢٥٧ – ٢٥٨.

(٢) المصدر السابق: ص٣٠٧. ط٢ عام ١٩٨٢، بيروت.

obeikandl.com